

# قلوب مغلقة

## حز اشعار آخر



فاير فلاي  
ميرفت البتاجي



Des. Teemo Jordan

قلوب مغلقة

ميرفت البلتاجي

جميع الحقوق محفوظة © عصير الكتب للنشر  
الإلكتروني

<http://book-juice.com>

قلوب مغلقة

المؤلفة : ميرفت البلتاجي

نشر في : أبريل ٢٠١٧

تنسيق داخلي : عصير الكتب للنشر الإلكتروني



بسم الله الرحمن الرحيم

..... ملخص .....

أحنا هنتجوز أمتي رسمي؟؟

رمقها بنظرة هازئة من علياءه

ومين جاب سيرة الجواز.. اللي زيك يا حبيبي آخره

ورقة عرفي ما تساويش عندي أكثر من كدة

انسحب الدم من عروقها وجحظت عيناها برعب

بس أنت مفهمتيش كدة؟

قهقه بدون أن يصل المرح لتقويسة شفتاه القاسيتان

مش غلطتي أنك عبيطة... القانون لا يحمي المغفلين... أنا قطعت الورقة بتاعتي

وبتاعتك كمان.. متعبيش نفسك علشان تشبني أي حاجة علشان مش هتقدري... قومي

البسي هدومك ومش عاوز أشوف وشك

تاني أبداً.

## الفصل الأول

.....

. ريتاج... يا رورو... أنتي نايمه في مية... قومي الولد صحي وشكله معذب الدادة...

نفخت بقوة وهي تمسك بالوسادة لتضعها فوق رأسها متأففة:

. يوووووه هو كل يوم... قومي قومي... الولد بيعيط... ما هو أنت أبوه زي ما أنا

مامته... مافيش مرة تقوم أنت وتخليني أنام شوية...

. حبيبي أنتي كل يوم نايمه... أنتي مش بتشبعي نوم ولو نمتي الأربع وعشرين ساعة...

دفعت الوسادة عن رأسها ليتوقف شعرها معلناً عن عصيانه وعيناها تتوسعان

برعب.. فتراجع ليث مدعياً الخوف:

. سلام قول من رب رحيم... انصرف... انصرف

وقفت على ركبتيها على الفراش وهدرت بنبرة غريبة:

. هو أنت بقيت كدة من أمتي...

. كدة إزاي يعني؟؟

. كدة... زي راجل متجوز من عشرين سنة مثلاً...

مط شفتيه:

. يعني... عدينا أول خمس سنين.. وقربنا نقفل العشرين...

أمسكت الوسادة وألقته بوجهه:



ضربات قوية على الباب أجفلت كليهما... نظرت بتأفف باتجاه الباب بينما ظهرت  
مسحة من الإحراج في عينيه وأمه تناديه:

. أنتم مش سامعين كل الخبط دا... يا ليث... يا ريتاج... معقولة كدة الولد موت نفسه  
من العياط وأنتم ولا هنا... صحيح آخر زمن اللي نشوف فيه الأبهات والأمهات نايمين  
في العسل الأسود على دماغهم وولادهم مع الدادات...

تأوه ليث عندما لكزته ريتاج بعنف:

. اتفضل قوم شوف مامتك قبل ما تفرج علينا الخدم... اتفضل مستني أيه...

. قايم أهه يا رورو... هدي نفسك

. أنا هادية.. أنا هادية أهه شوفتني بشد في شعري...

على عجل ارتدى ملابسه... ثم رمق زوجته التي تمسكت بموقفها فقط رفعت الغطاء  
أعلى صدرها ثم رمقته بنظرة متحدية:

. أنا نايمة في سريري... محدش له عندي حاجة...

ابتلع تعليقه وأسرع للباب ليوقف سيل الطرقات:

. بونجور ماما

حدجته بنظرة اتهام ثم اختلست نظرة خلفه رغم محاولته الفاشلة للتعتيم... فابتهجت  
ريتاج ملوحة بيدها:

. يسعد صباحك يا تانت الحاجة....

نظرت لابنها:

. اوووووف... أنتم إيه... كنتم ميتين...

حك رأسه بإحراج:

. ماهو يا ماما...

. ماما إيه وبتاع إيه... وهو دا وقته... الناس بتقول يا فتاح يا عليم وأنت والهانم بتاعتك

....أوووووف.... خليها تنجر تقوم تشوف ابنها... احنا مش خدامين حضرتها

. ماهو مع الدادة يا ماما... الدادة شغلتها....

صاحت درية بعصبية:

. وهي الدادة دي مش من لحم ودم... وهي كانت خلفته ونسيته... أمال مراتك بتتهب

إيه في البيت لما كل حاجة للدادة...

نهضت ريتاج لافة الملاءة حولها ثم تطلعت لحماتها من أسفل ذراع ليث:

. بصراحة يا تانت أنا موخمة قوي... ونفسي غامة عليها... وحاسة كدة زي ما أكون...

شهق ليث بفرح غير عابيء بنظرات أمه المصدومة:

. أنتي حامل يا رورو... يا حبيبة قلبي...

أوقفته أمه عن عناق زوجته وهي تقلده بسخرية:

. أنتي حامل يا رورو... يا خيبتك في ابنك يا درية... بدل ما تشدها من شعرها علشان

تقوم تشوف طلباتك وطلبات ابنك... خلاص نخيت يا حيلة.. لا والهانم حامل

كمان....

تمتمت ريتاج بدلال:

. ودي فيها إيه يا تانت ...

التفتت لها درية بصراخ لا يهدأ:

. بت أنتي... مش عاوزة أسمعك بتقولي تانت دي تاني ...

اخشن صوتها وهي ترفع يدها بتحية عسكرية:

. تحت أمرك يا حماتي ...

زفرت درية بانزعاج:

. ولا حماتي ...

نظرت ريتاج لزوجها المحتار وهتفت بنبرة بريئة:

. مكنتش أعرف إن حضرتك بتحبيني قوي كدة علشان تطلي بنفسك أني أرفع

التكليف... حقيقي يا درية أنتي طلعتي عظيمة عظيمة أعظم عظمت الستات....

كزت درية على أسنانها وصرخت وهي تهول مبتعدة ترغي وتزبد... قهقهت ريتاج وهي

تدخل الغرفة يتبعها ليث معاتباً:

. مش هتبطلي شقاوة بقي ...

. أنا.. انا يا ليث... مش شايف مامتك بتعمل إيه ...

. دي أمي يا ريتاج مهما عملت... معلش اصبري عليها... ما تنسيش أني ابنها الوحيد.

. أنا بردو معملتش حاجة... أنا بس كنت ...

. بتحرقني دمها....

. هي اللي حاطة عليه بنزين طول الوقت... كل دا بيحصل قدامك... تخيل ايه اللي  
بيحصل من وراك... بس متقلقش يا حبيبي... أنا بعرف أسوي أموري معاها... أنا هنزل  
أ...أ.....

وضعت يدها على فمها وأسرعت للحمام....

لحق بها يسألها بقلق من خلف الباب الذي أغلقته:

. ريتاج... أنتى كويسة...

زاد قلقه عندما لم ترد...

. ريتاج... في إيه...

وبعد دقائق طويلة فتحت الباب ليصدمه شحوبها... تلقاها بين ذراعيه يحملها

للفراش.. وضعها برفق:

. ريتاج... أنتى حامل بجد زي ما قلتي لماما...

غمغمت بنبرة متعبة:

. مش عارفة... يظهر كدة...

بجدية مفاجئة:

. أنتى بتهرجي... أنتى مش عارفة أن الحمل معاكي مش سهل ولازم يكون تحت اشراف

الدكتور

. اهدى يا حبيبي... أنا كنت شاكة بس... ومقصدتش أنى أحمل... أنا عارفة أننا متفقين

لما يكون فيه حمل أنه يكون مترتب... بس يظهر في غلطة حصلت..

. غلطة يا ريتاج... ولا... على العموم مش وقته عتاب... اتفضلي البسي هدومك هنروح  
لمهاب دلوقتي وهكلمه يفضي لنا وقته... حضرته عامل نفسه دكتور بجد من بعد ما  
أخذ الدكتوراة...

. أنت بس اللي متغاض منه علشان لسة مخلصتش الرسالة بتاعتك

اقترب مقبلاً شفتيها:

. وأنا أعمل إيه... كل ما أمسك الورق وأبدأ أكتب... ألاقيكي نايمة جنبي... وأنتي  
أحلى عندي من مليون دكتوراة...

. بس أنا قربت أخلص الماجستير بتاعي وشكلك هيبقى وحش قوي لو بدأت في  
الدكتوراة بتاعتي قبل ما تخلصها

. وأنتي نويتي أمتي أن شاء الله

تلاعبت بعينيها:

. أسرع مما تتخيل... موتوا بغيظكم ..

\*\*\*\*\*

بعد انتهاء مهاب من الكشف عليها نظر لليث بتدقيق:

. احنا مش قلنا هناجل شوية موضوع الحمل دا... أنت إيه...

اشرقت ملامح ريتاج وليث بسعادة غامرة... ثم بدأت ملامح ليث بالتجهم:

. يعني هيحصل لها مشاكل زي الحمل الأول...

ألقى مهاب نظرة خاطفة على ريتاج التي تهز رأسها ساخطة... ثم نظر لابن عمه وربت  
على ذراعها قائلاً بنبرة مأساوية:

. شوف يا بني... احنا هنعمل اللي علينا والباقي على ربنا...

فجأة انفجرت ريتاج والطبيب بقهقهات عالية... كز ليث على أسنانه وهدده بقبضته:

. أنتم بتتهرجوا وأنا محروق دمي

خفف مهاب من ضحكاته:

. خلاص.. أقولك... ابعده طنط درية عن مراتك وهتبقى زي الفل...

زمجر ليث:

. مهاب

. خلاص.. اهدا يا عم الأسد... مراتك هتبقى زي الفل إن شاء الله هي والبيبي... بس لو

اتبعت تعليماتي بالحرف الواحد... مواعيد الأدوية والزيارات الأسبوعية... ممنوع ممنوع

النسيان... أنت هتكون مسؤول قدامي على التعليمات وتنفيذها بحذافيرها...

نفخ ليث بغيظ:

. هو ربنا مش هيتوب علينا منك... مافيش دكتور غيرك في البلد دي.. أنت أصلاً مش

دكتور نسا... أمري لله.. اتفضلني قدامي يا أم العيال...

. أمرك يا بو العيال.. بس مش على بيتكم... هروح لأمي حبيبي أفرحها... وحضرتك

هتوصلني وتروح تجيب سيف من الحضانة...

ثم التفتت لمهَاب:

. إلا صحيح يا دكتور... أنت مش ناوي تفرح وتفرحنا بيك ولا إيه... مافيش حتى  
عروسة كدة قدرت تضحك عليك وتدخلك القفص ال....

تنح ليث بتهديد فأردفت بسرعة:

. الذهبي طبعاً...

مط مهاب شفاهه بابتسامه مرسومة بأثقان لم تقنع ريتاج:

. أن شاء الله... أنتي عارفة ماما مالهاش سيرة غير الجواز... الجواز... وشكلها عن  
قرب هتدبسنني...

قهقهه ليث وهو يسحب زوجته من ذراعها:

. كلنا لها يا بن عمي... أشوفك على خير... ما تنساش اجتماع حيوانات الغابة يوم  
الخميس...

. ودي حاجة تنسى

زمجرت ريتاج حانقة:

. أظن بتاخذوا راحتكم على الآخر في الحفلة دي... حتى ياسر أخويا معرفش أقنعتوه  
ازاي يكون معاكم...

قهقهه ليث:

. أخوكي دا أصلاً صايع بالوراثة... سوري يا رورو مقصدش حاجة وحشة... بس ياسر دا  
الوحش بتاع الشلة... وحش غير قابل للتدجين الله يكون في عون اللي هتقبل  
تتجوزه...

. وطبعاً حضرتك الليث...أسد الغابة...وأنت مين يا مهاب..

تلاعبت نظرة شقية خلف نظاراته الذهبية الطبية:

. الفهد الأسود...

بخيبة أمل:

. أنت متأكد أنك تنفع تكون ضمن الشلة دي أصلاً...

سألها ليث بعتاب:

. قصدك إيه...مهاب مش لايق عليه أنه يكون حيوان وأنا ينفع..

. حبيبي أنت قلتها بنفسك مش أنا...

زمجر يدفعها برفق:

. طب اتفضلي قدامي وأنا هعرفك إزاي تقولي على جوزك أنه حيوان...

خلع مهاب سماعاته الطبية وهو يهز رأسه بضحكة ما لبثت أن ماتت على شفتيه عندما  
أغلق الباب....

الآن فقط يستطيع أن يعود نفسه من دون أن يرهق نفسه بالتظاهر أنه ذلك الشخص  
السعيد كما يوهم كل من حوله...فما ذنبهم ليحملوا معي أحزاني وأوزاري...

يطلبون مني الزواج...بل يطالبونني به...مساكين لا يعرفون أنني يمكن أن أحقق لهم  
أي طلب يخطر بالهم...إلا هذا الطلب...

طرقات على الباب لم يسمعها...أجفل عندما فوجيء بمن تقف أمامه تضبطه بما  
يخفيه عن كل العالم....وكان الوقت قد فات ليرتدي قناعه....فاتخذ الطريق الأيسر

لإخفاء مشاعره... هب كأعصار أهوج ملوحاً بيده أمام الطبيبة الشابة التي ترمقه بتلك  
النظرة التي يزدريها كرهه للموت:

. هي وكالة من غير بواب يا دكتورة... أبسط قواعد الذوق أنك تخبطني على الباب قبل  
ما تدخلني على مديرِك في المستشفى

نكست رأسها متوردة الوجنات بحرج:

. آسفة يا دكتور... بس والله أنا خبط كثير... وافتكرت حضرتك مش موجود... أو لا  
سمح الله تعبان...

. دا مش مبرر يسمح لك تدخلني عليا بالطريقة دي...

حاولت التبرير مرة أخرى فقاطعها بقحة:

. خلصنا... عاوزة إيه...

بارتباك شديد ودموع ملحّة تهدد بتحطيم ما تبقى من كبريائها تحت قدميه:

. حضرتك... زي ما حضرتك عارف... حضرتك أني...

صرخ بنفاذ صبر:

. حضرتك... حضرتك... هو انتي السبع سنين اللي درستي فيهم طب مكانش فيهم ألا

كلمة حضرتك اللي جاية تسمعها لي غيباً...

رفعت رأسها ليلمح بندم شديد وبعد فوات الأوان احتقان عيناها المحمرتان وشفاتها

المهترتان وكأنها على وشك البكاء....

توقف معتدلاً وقد تغيرت نبرة صوته ومد يده ليحاول إصلاح ما أفسده... ولكنها  
هزت رأسها بكبرياء شديد وبحركة عسكرية حافظت لآخر نفس على كرامتها وهي  
تغادر كما دخلت... بهدوء.

وقف مذهولاً متعجباً من كل هذا الكبرياء المحشو في تلك الأنثى النحيلة... من يراها  
لا يظن أبداً أنها من تلك النوعية الأبية التي تفضل الموت على أن يشهد مخلوق على  
ضعفها... رغم هشاشتها الواضحة وكانها على وشك الانكسار مع أي نسمة هواء  
ربيعية.

مط شفثيه مرددا ليصدق نفسه:

. هي اللي جابته لنفسها... تاخذ بقي على دماغها.. وكمان عندها لدغة في الرء وكل  
كلامها حضرتك.... كان اسمها إيه؟؟؟

\*\*\*\*\*

. مالك يا رقية... من ساعة ما خرجتي من عند الدكتور مهاب وأنتي حابسة نفسك في  
خزنة الأدوية ونازلة عياط يا بنتي مش حلوة علشان مستقبلنا الخنقة دي... الله يهديكي  
لو تهدي شوية وتفضفضي... هو الدكتور عمك حاجة... أوعي يكون... أستغفر الله  
العظيم

هدرت رقية من خلال نحيبها:

. سلمى... وحياة أبوكي أنا مش ناقصاكي... هلاحقها منك ولا...

. أيوة... ولا من إيه بقي؟؟؟

عادت لتبدأ وصلة بكاء جديدة فزفرت سلمى وهي تضم صديقتها لصدرها:

. خلاص ... لو كنتي كدة من الصبح كنت قلت مرارة أبوكي المفترية سمعتك كلمتين  
حمضانين... بس أنتي جاية زي الفل لحد ما دخلتي للوحش المفترس ملتهم دكاترة  
الامتياز الصغنتين...

رمقتها رقية لتسلل ضحكة من بين دموعها فدفعتها سلمى من كتفها:

. أيوة كدة يا شيخة... قال على رأي الست نجاة... النبي تبسم... تبسم للنبي...

. خلاص يا سلمى أنا بقيت كويسة... يالا نخرج من هنا...

أمسكتها من ذراعها:

. لا والموسكي ما هسيك إلا ما أعرف..

تهدت رقية بضيق تعلم أن صديقتها الوحيدة لن تتركها قبل أن تعرف كل شيء:

. ولا حاجة يا ستي... حضرته روحه في مناخيره مش طابق حد... وحظي بقي أنني كنت

موجودة وقتها ففش غله فيا... وزعلان قوي أنني بقوله حضرتك... بس..

صمت سلمى للحظات ترمق صديقتها قبل أن تنفجر ضاحكة... زمت رقية شفيتها

بضيق:

. أنتي بتضحكي على إيه...

. أنتي قلتي له حضرتك... باللدغة بتاعتك دي وعاوزاه يسكت لك....

زغرتها رقية بغيظ:

. سلمى... عفاريتي بتتنطط في خلقتي... غوري من وشي قبل ما أعمل معاكي الغلط

شمخت سلمى بأنفها:

. غلط مين يا خلة السنان أنتي...شوفي وزنك وشوفي وزني...يا بنتي أنا لو قطعوني  
هعلموا منك ثلاثة...ثلاثة إيه...قولي أربعة خمس....اوعي من وشي أنا مش عارفة  
أتنفس براحتي لأخرم لك وشك...

هزت رقية رأسها ضاحكة وصدقتها تتخطاها للخروج من خزانة الأدوية...

هذه هي سلمى..دائمة المزاح بشأن حجمها ووزنها الثقيل ولكنها تملك قلباً ذهبياً  
نقياً....وبدأت بتلقينها النصائح فور خروجها وتأبطها لذراعها:

. اسمعيني زمبقولك كدة..الأشكال دي أولها وأخرتها الجزمة اللي في رجلك...أو  
لمؤاخذة الصندل زي ما تيجي تيجي...وخصوصاً مرأة أبوكي العقربة...ماشي يا  
سندريلا...

. حضراتكم سايبين شغلكم والعيانين وقاعدين تتسايروا مع بعض...ما نفتحها كافيه  
ونقعد وندردش وأن شاء الله ما حد شاف شغله...

تسمرت رقية مكانها بينما رفعت سلمى يدها بتحية عسكرية:

. احنا آسفين يا دكتور...غلطة ومش هتكرر تاني يا خويا

. نعم يا دكتورة...

. يوه...هو أنا قلت حاجة عن إذنك عندي عيانين...رقية...يا رقية...ياللا انتي وقفني  
اتسمرتي في مكانك...

لم تسمع كلمات سلمى...كان مهاب قد سمرها بعينه في مكانها...لم تعرف ما  
يريد..هل يرغب في الاعتذار منها...لا...لم يبدو عليه أي رغبة في التراجع...جابهت  
نظراته بتحدي مماثل لتمحي أي بقايا انكسار من لقائهما...أحنت رأسها بخفة:

. عن إذتك يا دكتور...

راقبها تسير برفقة صديقتها حتى تواریا خلف أحد الأبواب...

.....

## الفصل الثاني

.....

. هاي... أنتي فين... سرحانة في إيه... ريم... ريم الأرض تنادي ريم... عودي يا ريم..

شبح ابتسامة لون ثغرها الشاحب:

. أيوة يا ريتاج أنتي عاملة دوشة ليه فرجتي علينا المطعم

وضعت ريتاج يدها على خدها تتأمل صديقتها:

. والله... بقى أنا سايبية جوزي وأمي وسيف وجاية لحضرتك بعد ما فرعتيني في التليفون

علشان اتملى في وشك وأنتي سرحانة... غني يا وحيد... قول مين... مين شاغل

بالك...

احمرت وجنتيها الشاحبتان بقوة ونكست رأسها بارتباك:

. هو باين عليا قوي...

اعتدلت ريتاج وهي ترمق صديقتها باستغراب وتسألها بجدية:

. مالك يا ريم... في إيه... مشاكل في الشغل... قولي وأنا أخلى ليث يقفل لها

لهم... أنتي عارفة أنها تابعة لمجموعة شركات عبد الجواد

. أه طبعاً... بس مافيش داعي خلى الناس تاكل عيش يا حضرة مرأة صاحب

الشركات... وأنا اللي كنت فاكراكي شيوعية طلعتي رأس مالية ماركسية

. هه سبنالك البرجوازية... انحتى يا حبيبي في الصخر على مهلك... كنت جايبة لك  
شغلانة زي الفل في الشركة الأم... لكن حضرتك صممتي على الشركة  
دي...ليه...فيها إيه الشركة دي...

دارت عينها يا حراج:

. يوووو بقي يا رورو... ما فيهاش... قريبة من بيتي... ما أنا قلت لك الحكاية دي قبل  
كدة

. أيوة.. بس مكنتش فاكراكي هتملي كدة..

احتدت ريم فجأة بدون مبرر:

. قصدك إيه... هو أنا عملت إيه يعني... أنتي عرفتي حاجة؟؟ والله العظيم...

قاطعتها ريتاج والارتياب يزداد توجساً:

. فيه إيه يا ريم... أنا معرفش أي حاجة عنك... هو حصل حاجة أنا معرفهاش؟؟

دمعت عينا الفتاة:

. لا... ولا حاجة.. أنا اللي أعصابي بايظة... سوري يا رورو..

. أنتي طلبتي مني أقالبك ليه يا ريم... عاوزه تقولني حاجة؟؟

رفعت ريم عينها المدمعتان لصديقتها... دهشت ريتاج وهي تتأمل دموعها التي لم

تنزل:

. يا اااا يا ريم... أنا عمري ما شوفتك بالحالة دي... كانت دايماً عيونك شقية  
وبتضحك... إيه اللي حصلك يا بنتي ما تحكي... تكونيش وقعتي في المحظور  
وحببتي....

كان الرد صمتاً أفضل من أي إجابة... أمسكت ريتاج بيدها تربت عليها بحنان:

. وفين المشكلة... هو كمان بيحبك؟؟

بصوت مخنوق النبرات:

. مش... عارفة..

. يعني إيه مش عارفة...

احتدت ريم بعصبية:

. قلت لك مش عارفة وخلص هو تحقيق...

رمقتها ريتاج بقلق:

. طب إهدي واشربي العصير... ووقت ما تكوني عاوزة تحكي... أنا هسمعك...

بغل شديد رمقتها ريم لتصب جام غضبها على رأسها:

. طبعاً وأنتي خاسس عليكى إيه... متجوزة من الراجل اللي بتحببته وعندك طفل وعاشة

في قصر مكنتيش تحلمي بيه....

قهقهت ريتاج:

. مش بقولك برجوازية... لا وحقودة كمان.... أنا عارفة أنك بتقولي الكلام دا من ورا

قلبك علشان في حاجة كبيرة قوي مخياها عليا... لما يكون عندك استعداد...

وقفت ريم وصرخت لتشير فضول كل رواد المطعم:

. أنتي إيه... مش بتحسي بأي حد غير نفسك... اصحي وفوقي وشوفي الدنيا حواليك  
عاملة إزاي... الدنيا مش وردني زي ما فهمونا... الدنيا كلها ديابا ونمور وتعالب... وناس  
كثير لابسة أقنعة تداري بيها حقيقتها القدرة... اللي زيك نفدت من زمان... واللي زيي  
لسة لقمة سهلة بين أنياب أي حيوان....

حاولت ريتاج تهدئتها مرة أخرى ولكنها لم تسمح لها... رمقتها بشرارات نظراتها  
الحاقدة وسحبت حقيبتها بعنف أدبي لسقوط أكواب العصير... لم تهتم للفوضى التي  
أحدثتها ورمقت ريتاج بنظرة محتقرة أخرى:

. ادفعي تمن الحاجات دي... وتبس كويس للجرسون..

\*\*\*\*\*

نظر ياسر مرة أخرى لساعته وقد ظهر عليه التأفف والضجر... ثم ارتشف رشفة من مج  
اللاتيه قبل أن ينظر تجاه رفيقته بنظرة ملولة ماطاً شففيه بملامح ساخطة:

. وبعدين... قاعدة تلفي وتدوري بقالك ساعة... وفي الآخر مفهمتش حاجة... ضيعتي  
وقتي...

ثم أردف بنبرة أكثر سخرية:

. وزني ما أنتي عارفة... وقتي بفلوس... فلوس كثيرة قوي يا مدام...

تراجعت في مقعدها تخفي بمهارة توترها البادي في رجفة رموشها وهي تخفضهما على  
فنجان قهوتها الذي لم يمسه... غرزت أظافرها الطويلة المطلية بلون وردي في مساند  
مقعدها وهي تعيد بصوتها الرقيق ذو البحة الطبيعية:

. ياسر... أنا بحاول أبني اللي اتهد بينا... وأنت مش بتساعدني... لازم نتقابل في نص الطريق علشان...

ضاقت عيناه وشفته تتسعان بابتسامة ساخرة:

. نبي... أنتي نسيتي أن اللي انكسر مش ممكن يتصلح ولا إيه يا مدام...

بدون يأس هتفت بأمل:

. ممكن نبي من أول وجديد...

شبك أصابعه في بعضهما يتأملهما بفتور:

. مش لو كان عندي نية فعلاً... أنتي ناسية أننا منفصلين من خمس سنين...

زفرت حانقة بمرارة:

. مش ناسية... كنت ليك الصدر الحنون اللي بترمي عليه همومك... والكتف اللي

بتشكي له من قسوة الدنيا... والإيد اللي بتمسح دمعتك قبل ما تنزل تهد من الصورة

اللي بتحاول تظهر بيها قدام الناس... لحد ما اتصالحت مع مامتك وأختك...

واتصالحت مع نفسك... ونسيتني...

حاول ألا يظهر تأثيره مشيحاً عيناه عنها لمج اللاتيه الفارغ:

. بلاش نجيب سيرة الماضي... ارتباطنا كان محكوم عليه بالفشل من أول يوم... كنتي

في احتياج ليا... زي ما كنت في احتياج ليكي... يعني مصالح متبادلة... ولا نسيتي

أنك كنت متلاحقة من كل العصابات في أمريكا... ومن البوليس... وأنا أويتك وحميتك

ودفعت ديونك... وكل مشاكلك خلصت...

تمت من خلال دموعها التي هطلت من عينيها الفيروزيتان بدون حساب:

. أنا حبيتك يا ياسر بجد...ولما اتجوزنا...

قاطعها بنبرة صلبة كملامحه:

. أنا مخدعتكيش يا ميسم...من أول لحظة علاقتنا فيها بدأت تاخذ منحني

مختلف...قلت لك أنها مش هتدوم....وكان لازم تعرفي أنني مش بقول كلام في

الهوا..

أطرقت لتساقط دمعاتها على يديها المكورتان في حجرها...لتسمعه يردف بنبرة أحد

من نصل حاد:

. مكانش في داعي تكلفي نفسك تذكرة طيران وتيجي لحد مصر....أنا بعث توكيل

للمحامي بتاعي في أمريكا علشان يتابع إجراءات الطلاق....

رفعت رأسها بابتسامة متلعبة:

. غلط يا ياسر بيه...حساباتك كلها غلط...يمكن أكون زي ما قلت...كنت محتاجة

لك...ورضيت بشرطك للجواز...ويمكن أكون لسة مديونة لك بحاجات كثير...بس

عمرك ما هتقدر تكسرنى...أنا جيت دلوقتي بس علشان زي ما بيقولوا عندكم "العيش

والمالح" اللي كان بينا...قبل ما أقابلك كنت زهقانة وقرفانة من أمريكا...وكان نفسي

أرجع لبلدي...بس لما عرفتك واتجوزنا...اتحملت علشانك...كنت بتيجي لي

أجازات ومكنتش بلحق أشبع منك...بس كنت راضية...ودلوقتي...مافيش حاجة

تصبرني على الغربية

اعتدل مستقيماً في مكانه يرمقها بتروتر:

. قصدك إيه؟؟

أعادت شعرها المسدول للخلف بحركة واثقة... ثم شمخت بأنفها بابتسامة هادئة:

. يعني أنا رجعت مصر خلاص... أي انفصال حضرتك عاوزه هيكون هنا... مش هناك... أنا لقيت شغل وسكن... ودا عنواني... علشان تعرف تبعت أوراق الطلاق... أه سوري نسيت... في مصر مافيش أوراق طلاق ومحاكم... الرجل بيروح للمأذون ويطلق مراته... سواء كانت راضية أو مش راضية... تصرف مثالي لأي رجل شرقي... وأثبت أنك رجل شرقي بالوراثة يا ياسر بيه... أنا بانتظار ورقتي...

أوقفها وهي تهتم بالوقوف:

. استني عندك... أنتي مينفعش تعيشي في المكان اللي أنا فيه؟؟

. ليه؟؟

. هو كدة وخلاص... ميسم أنا بحذرك... ارجعي لأمريكا وأنا هبعت لك مصروف يكفيكي كل شهر...

ضحكت بدلال وكأنها ليست المرأة التي كانت تبكي منذ لحظات على ضياعه منها:

. أووووه بيبي... أنا خلاص ربت حياتي... وأنت خلاص مافيش لك سلطة عليا... باي باي..

استدارت لتذهب عندما توقفت فجأة ترمقه من خلال كتفها:

. على فكرة نسيت أقولك أنا بشتغل فين... ضروري تعرفه هو قريبك... في شركة ليث

عبد الجواد الهندسية...

وقف مجفلاً يناديها ولكنها تظاهرت أنها لم تسمعه واستمرت بخطواتها الواثقة حتى  
ابتعدت عن مرمى نظراته...

جلس متهاكاً يفكر... كيف وصلت لأن تدبر عملاً في شركة زوج أخته... متى  
وكيف...

ثم رفع رأسه بنظرات نارية حيث اختفت وطوح بيده مج اللاتيه الفارغ ليسقط على  
سيراميك المطعم محطماً...

\*\*\*\*\*

أغمضت عينها بقوة وهي تضع المفتاح في الباب... أهلكها التمني مرة أخرى... لو  
كانت أكثر قوة... لو كانت تستطيع ان تقول لا... ولو مرة واحدة فقط...  
استدار المفتاح في قفل الباب بسهولة... دخلت وأغلقت خلفها بسرعة... وقفت لاهثة  
تستند على الباب... صدرها يعلو ويهبط وكأنها كانت في سباق الركض...  
مرة أخرى... حدثت نفسها... مرة أخرى سأسلم له كل شيء... بدون قيود... وبدون  
شروط... سأبتلع احتجاجاتي... سأرضى بفتات ما يلقيه لي... ماذا أفعل... أحبه...  
بحركات آلية اتجهت لغرفة النوم... وقفت على الباب تنظر إليه بتنهيدة موجهة... مثل  
كل مرة... يتصل بها ولا تسمع إلا كلمة واحدة "أنا عاوزك"  
ثم يغلق الخط... كمن تستجيب للنداهة ورغم كل احتجاجاتها الصامتة... تجد نفسها  
تسرع لتلبي... وكيف لا تلبي وهي تعشقه حد الجنون... ولكنه لا يمنحها شيء... أي  
شيء وهو يسلبها كل شيء... حتى كرامتها وكبريائها... أصبحت ممسحة لتسلطه  
وتحكمه...

ها هو ينتظرها في الفراش كل مرة... ينتظر أن تلقي بنفسها بين برائنه... كضحية باعت  
نفسها للذبح من أول مرة...

التفت نحوها بتأفف:

. لسة مخلعتيش هدومك... بسرعة مافيش وقت....

أغلقت رموشها على دمعة كادت تفر من معقلها وهمت بدخول الحمام لتنفذ أمره  
بالخلع عندما أوقفتها نبرته الساخرة:

. إيه... مكسوفة... من أمتي؟؟

التفتت له ورسمت ابتسامة شحيحة:

. لا.. كنت هغسل وشي...

لوح بيده باستعجال:

. مش وقته... اقلعي هدومك وتعالى بسرعة... بسرعة يا ريم...

ونفذت... وكانها وجدت لتنفيذ أي أمر له... حتى لو أمرها أن تلقي بنفسها من سطح

البناية... لا شك أنها ستنفذ بدن تفكير... كما تفعل الآن تماماً وهي تلقي نفسها

العارية من كل قيم وأخلاق وكرامة ليفرغ فيها شهوته كما اعتاد أن يفعل دائماً...

في كل مرة تكون بين ذراعيه تنسى أو تتناسى كل شيء... وتفكر أنها ربما هذه المرة

ستحظى بأكثر من رغبة مشتعلة كالوميض... ربما هذه المرة سيعلن لها عن رغبته بأن

يطلبها رسمي للزواج... فستفانى في إسعاده... لعلها تحصل على تلك اللمحة

الراضية... ولكنه فجأة يبعدها عنه كمن يخشى عدوى الجرب ويولي لها ظهره وينهض  
متجهاً للحمام يغتسل منها.

لقت نفسها بين مآلات الفراش تحاول إخفاء نفسها من نفسها... خجلة من  
مواجهتها...

عندما خرج يلف خصره بمنشفة ويفرك شعره المبلل بأخرى... رمقها بنظرة ملولة:

. قومي البسي وروحي... استحمي في بيتكم... أنا مش فاضي...

شهقت... ليس من كلماته الجارحة ولا من أسلوبه الفظ... ولكن لأنها ما يزال قادر

على جرحها... جلست تنظر له غير عابئة بستر نفسها وسألته بصوت مرتعش:

. هيشم أحنا هنتجوز أمي رسمي؟؟

رمقها بنظرة هازئة من علياءه وقهقهه بازدراء:

. ومين جاب سيرة الجواز.. اللي زيك يا حبيبي أخره ورقة عرفي واتنين شهود مشكوك

في ذمتهم... ما تساويش عندي أكثر من كدة

انسحب الدم من عروقها وجحظت عيناها برعب:

. يعني أيه... أنت ضحكت عليا

قهقهه بدون أن يصل المرح لتقويسة شفتاه القاسيتان:

مش غلطتي أنك عبيطة... القانون لا يحمي المغفلين... أنا قطعت الورقة بتاعتي

وبتاعتك كمان.. متتعيش نفسك علشان تثبتي أي حاجة علشان مش هتقدري... قومي

البيسي هدموك ومش عاوز أشوف وشك تاني أبداً.. أنا أصلاً مليت منك... بقيتي ورقة محروقة معنكيش حاجة تقدميها لي تاني... بقيتي مستهلكة...

. أنت... أنت إزاي كدة...

التمعت عيناه ببريق شيطاني:

. كل واحدة تفكر تفرط في نفسها قبل الجواز... لازم يحصل لها كدة.. وأكثر من كدة... احمددي ربك أني مش فاضي اليومين دول... كنت اتصلت بأهلك كفاعل خير وبلغتهم على عمايل بنتهم من وراهم...

أخذت تلطم بقوة وبدون وعي فصرخ بها:

. بقولك إيه... عمايل الجنان بتاعتك دي تروحي تعملها في بيتكم... أنا مش فاضي...

ثم أمسكها من ذراعها وجذبها لتسقط على الأرض أسفل قدميه... دفع بقدمه ملابسها الملقاة على الأرض في وجهها صارخاً:

. يالا ألبسي وإلا أقسم بالله العظيم أرميكي برة زي ما أنتي كدة...

أسرعت تنفذ أمره مدفوعة بذلك الغضب المشتعل في عينيه بإصرار... كانت متأكدة أنه سينفذ تهديده... فلم يكن الرجل اللطيف الذي عرفته وعشقتة... ولا الدكتور المحاضر الدائم التجهم والذي تعلقت به في صفوف المحاضرات... كان كائناً حيواني الطباع والأخلاق... لا تعرفه... كانت ترى ومضات منه خلال شهور تعارفهما... عندما ابتدأت علاقتهما تزداد قوة... فهو السبب الرئيسي الذي دفعها لتطلب العمل في هذا الفرع من شركات عبد الجواد... لأن هيثم شومان يعمل فيها... تعرفت عليه بشكل مغاير... فقد ساعدها على أن تقترب منه... بعد أن كان نجمة في السماء لها... أصبح

بين يديها...حبيباً وعاشقاً...لم تفكر مرتين عندما عرض عليها الزواج العرفي..مدعياً  
أنه لا يستطيع الصبر حتى عودة أمه من زيارة ابنتها في الخليج...وافقت لتكون  
معه...ولتثبت له مع الحب تزول كل الحواجز...

كانت قد انتهت من ارتداء ثيابها أمامه عندما بدأ بدفعها من جديد حتى بابا  
الشقة...أمسكت بيده قبل أن يدفعها خارجها بتوسل مقيت:

. هيثم...أرجوك...

ظنت أنه يفكر عندما توقف لحظات..وداعبها الأمل الذي تسرب سريعاً عندما فتح  
يده مطالباً:

. مفتاح الشقة...

مدت يدها بذهول في حقيبتها وناولته له لا تصدق أنها فعلاً لن تراه بعد اليوم...إلا في  
العمل....

وقفت أمام الباب الذي صفق في وجهها تظن أنها في حلم...بل كابوس...فتح الباب  
فجأة ليطل بنظراته الهازئة عندما رآها لا تزال واقفة:

. بالمناسبة....خلي عندك كرامة وقدمي استقالتك من الشركة أو اطلبي نقلك لأي فرع  
تاني...ريحتك فاحت قوي ومحدث طايقك هناك.  
انتفضت عندما صفق الباب في وجهها مرة أخرى.

\*\*\*\*\*

قلوب\_مغلقة\_حتى\_إشعار\_آخر\_#

الجزء الثاني من

ريتا\_القلب\_#

.....يتبع.....

مع تحياتي

ميرفت\_البلتاجي\_#

## الفصل الثالث

.....

تجمع الرجال الأربعة حول المائدة المحجوزة باسمهم أول خميس من كل شهر في هذا المطعم الشهير في أحد أحياء القاهرة العتيقة....

كان المكان متميز بالغير مألوف وهو ما جذب اهتمامهم للتردد عليه لسنتين متواصلتين... فالموائد القصيرة الأرجل فوق البسط المشغولة يدوياً بأنامل صبايا قرى أسوان الشهيرة بهذه الحرفة الفريدة... وقد افترشت فوق كل مائدة ما لذ وطاب من مكسرات من مختلف البلاد بالإضافة لأباريق القهوة التركي والعربي... ولا تخلو المائدة من البيرة الخالية من الكحول.. ودائماً على استعداد لتلبية الطلبات الغير معتادة أيضاً... وضع النادل ذو الملابس القديمة... بسرواله الواسع كسراويل الشوام وصديريته المنقوشة ويعلو رأسه طربوش أحمر صغير... وضع النرجيلة ذات الزجاج الملون الجذاب يتطاير من فوهتها دخان ذا رائحة مميزة... هتف ليث وهو يرمق نسيبه بنظرة غامزة:

. يا بختك يا عم... شيشة محشية.. وريحة فواحة... زي العصفور حر طليق... مافيش ست هتروح لها آخر الليل تشمك وتقولك ريحة إيه دي...

أخذ ياسر عدة أنفاس وأخرج الدخان ببطيء:

. خلينا لك التعميرة العنابي يا عم الأسود... وعامل سبع الرجال... يا خيبة على الرجالة...

أمسك ليس بمبسم نرجيلته التي وضعها النادل أمامه وأخذ عدة أنفاس:

. عناب عناب بس الليلة تعدي على خير... ولا أنت مش عارف أختك... عندك مهاب  
أهه... مش متجوز وييشرب خوخ...

تجاهله مهاب وهو ينفث دخانه هو الآخر فالتفت للأخير:

. وأنت يا باش مهندس تعميرتك إيه... رمقهم هيشم بنظرات ساخطة ثم نفث دخانه  
قائلاً:

. مش بتعرف تشم يا ليث بيه...

قفز ياسر ضاحكاً:

. يا بن الإيه... إيه دا... أنت بتهرج... هيشم ...

. إيه يا ياسر... خايف...

تجهم وجه ليث:

. مش مسألة خوف يا باش مهندس... بس أحنأ جاين المكان دا نفك عن نفسنا شوية  
في سهرة عزابي... مافيش داعي نجيب الكلام لنفسنا...  
مط شفتيه بملل:

. وأنا اللي كنت فاكراً أن ناس زيكم مش بيهمها أي حاجة... طلعتوا ناس فالصو.

رمق ليث ياسر بغضب فهتف ياسر:

. باين التعميرة بتاعتك خلتك تخرف يا هيشم...

كتم هيشم أنفاسه ثم أخرجه بحشجة ضاحكة:

. أهه الحجر خلص... ارتحتوا... ولا كأنه كان موجود... بس... اوعوا تشموا الدخان  
قوي أحسن ريتاج هانم تبيت البيه برة...

انتفض ليث واقفاً:

. أنت زودتها قوي...

وقف مهاب ممسكاً بذراع ليث:

. اهدى يا ليث... هو مش واعى بيقول إيه... لو سمحت يا ياسر وصله لعربيته... ونبه  
عليه القعدة معانا ليها أصول... يا يلتزم بها يا أما...

وقف هيثم مترنحا:

. هتكرموني من الجنة ونعيمها... يا خي طرززرزرز فيكم كلكم...

نهض ياسر متأففاً ودفعه بنظرات اعتذار أمامه:

. أنت بجد خرفت... ولولا الزيت اللي شربته دا كان حسابك هيبقى عسير...

ساد الهدوء بعد ذهابهم... دفع مهاب ابن عمه ليجلس:

. خلاص مشي روق بقى وخذ لك نفس عناب...

. أنت بتهرج أنت كمان... أنا مش عارف المخلوق المستفز دا مصرين أنه يجي معانا  
ليه...

. مش أنا يا حبيبي... نسيبك هو اللي بيحبيه...

. سيبك منه وقولي... مالك... مش بتاخذ وتدي ليه زي عوايدك

. لا ولا حاجة...عادي...

. هو أنا مش عارفك يا مهاب...ما تنطق يا عم أنت...

أخرج زفرة كبيرة بدخان كثيف خرج من فمه وأنفه:

. بابا هيخطب لي

ظن ليث أنه لم يسمع جيداً:

. نعم يا خويا

. زي ما سمعت كدة...حضرتة شاف لي عروسة من البلد وقرر أنه يخطبها لي...

وأنت عارف لما عمك بيحط حاجة في راسه...

. أنت هتقول لي...طبعاً عارف لما الدكتور سلامة عبد الجواد يحط حاجة في دماغه

لازم تتنفذ ولو على رقابنا كلنا

. المشكلة يا ليث أن المرة دي مش هقدر أقوله أنني موافق...مش هقدر أتجوز واحدة

علشان أبويا هو اللي اختارها...

أوماً ليث بتفهم:

. يظهر أن العيشة في الفلاحين أثرت على دماغ أبوك...وناوي تعمل إيه...

. مش عارف...صدقني مش عارف...دا خلاص قرأ الفاتحة مع أبوها وعاوزني أروح له

في الأجازة علشان نتمم الجواز....

. ومين العروسة أن شاء الله...

. والله ما انا فاكِر...شكرية ولا حشرية ولا بلا أزرق...مش فاكِر...  
. طب ما تخطبها وشوية قول لأبوك أنكم ما اتفقتوش مع بعض...  
. على أساس أن أبويا راجل عبيط...أيه رأيك أنه ناوي يكتب الكتاب على طول..  
. وقعت يا دكتور ومحدث سمي عليك...فاكِر لما كنت بتقولي أنك هتتجوز هانم من  
هانم جاردن سيتي...أديك هتتجوز الجردل والهوانم يروحوا بقى لأصحاب نصيهم  
هتف مهاب بوجه محققن:

. أنت بترهج يا ليث...شايطني مولع قدامك ودا اللي ربنا قدرك عليه...  
. لو كان عمي بيسمع لي كنت كلمته...بس أنت عارفه...شورته من دماغه...بس أكيد  
هبقى معزوم أن شاء الله...ولا ناوي تاكل عليا الملبس....  
زم مهاب فمه بغضب وألقى أقرب الأطباق إليه في وجه ابن عمه ونهض بنزق:  
. أنت رجل لا تطاق معرفش مراتك طايقاك إزاي...الله يكون بعونها..  
. استنى يا مهاب...رايح فين...ومين اللي هيحاسب...والبلوة اللي طفحها الزفت أنا  
اللي هدفع تمنها كمان...الله يخرب بيوتكم هتودوني في داهية.

\*\*\*\*\*

رينين مستمر لا يتوقف...تسائلت لما لم تلق بهذا الهاتف اللعين حتى الآن لترتاح من  
ضحيجه...سخرت من نفسها بمرارة "ما زلت بانتظاره...ماذا تنتظرين منه...لهذا الحد  
أصبحت رخيصة اللحم والكرامة بلا أي كبرياء...أم تنتظرين منه أن يتصل ليخبرك أنه  
يريدك...يشتهي إفراغ رغبته الحيوانية في أي ماعون...وتصادف أنك المتوفرة...ماذا

تبقى لديك... غير الهواء الذي تنفسيه ولا تستحقين منه نفحة... أمك تكاد تجن منذ الصباح لم تردي عليها بأي كلمة تطمئنها... مازلت مسمرة أمام بوابة العمارة التي يسكنها وكانت مرتعاً لعشقتكم الحرام....

لم تعد نظرات المارة المشفقة من منظرها الباكي تارة والجائعة على قطعة من اللحم الرخيص الملقاة في الشارع تارة أخرى... لم تعد توليها أي اعتبار... اعترفت لنفسها باستهانة: نعم... أنا بانتظاره... سيعود وسيبحث عني... وسيعيدني إليه... نعم... لقد كان غاضباً من أمر ما... وربما مرت فورة غضبه الآن.. وسيكون سعيداً أنها لم تبعد... وقفت تنفض التراب عن ثوبها المهلهل عندما لمحت سيارته تركن على الرصيف المقابل... تطلعت للسيارات يمينا ويساراً تتحين فرصة للعبور... وكادت تفعل عندما توقفت مسمرة فجأة تظن أنها تهذي... ولا يحدث ما تراه فعلاً... لا يمكن أن يستبدلها بهذه السرعة... فتح الباب المجاور ووقف بانحناءة ينتظر خروج أحدهم... هذا لا يمكن ان يحدث... لقد تأبطت ذراعه وتوسدت كتفه هاربة بخجل من نظراته الجائعة... التي كانت ملك لغيرها وما زالت... نعم ما زالت...

ركضت نحوهما ولا شيء سيبرد نيران براكينها غير تمزيق ذلك الشعر الناعم عن رأسها... ومسح أرض الشارع بابتسامته الناعمة...

ونسيت حذرها تماماً فلم تسمع ذلك الصرير العالي لسيارة تحاول تفادي تلك المجنونة التي زرعت فجأة في نهر الطريق وتسمرت ولم تلتفت لأبواق السيارات... حتى انتهى كل شيء... تبعث على الأرض... وسالت الدماء الحارة تروي تشققات الأسفلت التي عانت من قيظ النهار... وتصبح مجرد لوناً جديداً يميز تلك البقعة من الطريق... ومع طلوع النهار ستكون بالكاد ظاهرة للعيان... ربما في ساعات الصباح الأولى وقبل أن تردهم الطرق بالسيارات سيقرب كلب متشرد أجرب يتشمم رائحة

الدماء فيها.. ثم ينظر حوله باحثاً عن مصدرها.. ولا يجد شيئاً فيكمل طريقه في رحلة بحثه اليومية عن طعام.

.....

. هه جولتي إيه يا شكران...

. كان بودي معصيش لك أمر يا بابا...ولكن...

. ولكن إيه يا بنتي بس الله يهديكي...هو الداكتور مهاب فيه حاجة تتعيب

. مش دا المشكل يا بابا وحضرتك عارف...

. المشكل إيه بقى يا فصيحة هانم....

. المشكل يا حاج أنه ما شافيش ولا مرة...في حد بيتجوز غوميضي اليومين دول يا

حاج

. لا..مافيش...بس الداكتور سلامة أمر....وكلمته سيف على رجعتي...ولا أنت عاوزه

تصغريني يا بت أزهار....

وضعت الحاجة أزهار صينية الشاي تحمل ثلاثة أكواب على المائدة الدائرية الصغيرة

أمامهم وتربعت جواره على الكنبه البلدي قائلة وهي تنازله كوب الشاي:

. ما عاش ولا كان اللي يصغرك يا بو توفيق...ما تتهدي يا بت يا شكران ولا الشهادة

اللي أخذتها هتجعدي كل ليلة عملي فيها فونت عليا وعلى أبوكي....

. فونت إيه بس يا أمي...الحكاية يا أمي...

قاطعتها:

. لا حكاية ولا رواية... جال أبوها راضي وأنا راضي مالك أنتي بقى يا شكران يا بت  
أزهار...

. مالي ايه بس مش أنا العروسة... وأنا اللي هتجوزه...

. إيوة هتتجوزيه ورجلك فوج رجبتك... أحنا معلمنكيش علشات توجفي  
جصادنا... علمناك علشان تتجوزي جوازة ترفع الراس... ولما يجي الداكتور سلامة  
ويطلبك لولده منجدرش نجوله لا... المحروسة بتنا بتجول لازم تشوف العريس  
اللؤل...

انتفضت واقفة بحدة:

. يعني إيه يعني... هي بيعة ولا شروة...

هم والدها بالحديث عندما أوقفته زوجته:

. عنك أنت يا بو توفيق... إيوة يا بت بطني... هي بيعة وشروة.. عجبك.. يا دار  
مدخلك شر... معجبكيش... جدامك حيطان البيت اضربي راسك فيهم واحد  
واحد.. ولما تجيكي صداع خدي حباية أسبرين ونامي... واتستغطي جويس يا ضنايا  
حاكم هوانا بالليل بيوبجي بارد جوي...

دببت قدميها في الأرض بغضب وهي تغادر الغرفة... رشف زوجها رشفة أخرى من  
كوب الشاي:

. كتي ناشفة عالبت يا أزهار..

. اكسر للبت ضلع يطلع لها أربعة وعشرين... متخافش عليها يا بو توفيق... ولا أنت  
عاوز ترفض طلب الداكتور ونوبجي مألثة العب كله.

. مش الجصد يا أم توفيق...بس يا واش يا واش دي أول فرحتنا...مش كفاية الواد  
الحيلة حج على المخروبة دي اللي اسمها أطاليا ومحدث سمع عنه خبر من يومها...  
. ربنا يرد غيبته ويفرح جلوبنا يا رب...

\*\*\*\*\*

ربن مستمر كدر سكون الليل الهامس بنسائم العذبة...امتدت يده ليفتح نور  
المصباح...ثم لكز زوجته:

. رورو...رورو...حببتي...تليفونك بيرن

جلست مجفلة تمسك تليفونها متممة:

. خير اللهم اجعله خير...خير اللهم اجعله خير يا رب

. مين...؟؟

. مش عارفة...رقم غريب

أمسك منها التليفون وفتح الخط:

. ألو...مين حضرتك...

استمع لحظات قبل أن يمد يده بالتليفون:

. بتقول أنها مامت ريم...وحالتها وحشة قوي...

انتزعت ريتاج التليفون من زوجها:

. أيوة يا طنط... لأ... أيوة... قصدي أيوة شفتها النهاردة... كانت غريبة قوي... اتخانقت  
معايا ومشيت... من العصر تقريباً... يعني إيه لسة ما رجعتش.....

ثم تبادلت مع زوجها النظرات القلقة:

. حاضر... حاضر يا طنط ان شاء الله خير... أول ما هعرف حاجة هكلمك.

وضعت التليفون جانباً وتمتمت بذهول:

. ريم مرجعتش البيت لحد دلوقتي... أنا متوغوشة عليها قوي... وهي كانت مش طبيعية

النهاردة... ما أنا حكيت لك كل اللي حصل..

. متعرفيش أن كان ليها علاقة بحد ولا...

. يعني إيه علاقة دي...

. أهدي يا ريتاج... مش قصدي حاجة وحشة... احنا بنبحث كل الاحتمالات

. لأ... هي عمرها ما قالت لي ان ليها علاقة بحد... وكنت صديقتها الوحيدة اللي

خرجت بيها من الكلية... مامتها هتتجنن... جيب العواقب سليمة يا رب... بكرة مش

هروح على الشغل على طول... هعدي على بيت ريم أطمئن عليها الأول.

. ريتاج...

. نعم يا حبيبي....

. مش ناوية تقدمي على إجازة من الشغل...

. ليه.. هو المدير بتاعي زهق مني..

. أنتي عارفة قصدي إيه بلاش لف ودوران..

تنهدت وهي تغرق رأسها في الوسادة:

. هيصل يا ليث... بس قدام شوية... لسة بدري...

. حبيبي أنتي عارفة أن حالتك مش زي أي حامل... أنا مش هتحمل أن يحصل لك أي

مضاعفات... كفاية أن الحمل حصل بدون أي تخطيط... ..

. خلاص ماشي... بعد شهر هقدم على إجازة.. ارتحت يا سيدي..

. مافيش فايده في عنادك دا..

. لأ مافيش... فكرت مين هيحل محلي..

. اه فيه مهندسة جديدة جاية لسة من أمريكا بشوكها اسمها ميسم الأحمدى...

جلست منتبهة له بنظرات حارقة:

. وحياة تانت درية...

. إيه يا رورو.. انتي لسة بتغيري يا قلبي...

. على فكرة أنت فهمتني غلط... دا مالوش دعوة بالغيرة... دا له دعوة بالسواكير

والأكياس... واخدلي بالك يا ليث بيه

. واخد يا معلمة ريتاج... وهو فيه حد غيرك يقدر يملا قلبي يا روح قلبي...

. هنشوف... مدة الشهر اللي باقي لي... لو الفار لعب في عبي...

. إيه هتجيبني له مصيدة...

. لا يا ظريف... هطلع له النمر اللي جوايا... فاكره...

. احم..احم... ما تيجي ننام أحسن...

. أنا بقول كدة...وأنت من أهله...

\*\*\*\*\*

طرقات على الباب كادت تنزع مفصلاتہ الصدئة من مكانها...

نهضت متأففة لتفتح مزلاج الباب وتفتحه أمام زوجة أبيها التي أخذت تنظر لها

بازدراء:

. ناموسيتك كحلي يا دكتورة...

استرقت رقية نظرة سريعة على ساعة الحائط القديمة ذات البندول ثم واجهتها:

. خير يا عزيزة...يا فتاح يا عليم....

. خير.. هو أنتي هتفضللي نايمة للضهر...عاوزة أروق الشقة وأهويها من ريحة الكمكمة

والأدوية زي ما تكوني بترجعي من المستشفى بريحتها....

. يا شيخة حرام عليكي...شقة إيه وتهوية إيه...أنا راجعة وش الصبح وقلت محدش

يصحيني...ما تنضفي باقي الشقة ولا هي وقفت على أوضتي..

. أيوة...هي بقى وقفت على الأوضة دي...مش كفاية مستولية لوحذك على أوضة

شريحة وبرحة وسايبة ولادي الاتنين مزنوقين في أوضة شبر في شبر...وكمان مش

عاوزاني أنضفها

. وأنتي من أمتي بتنضفي أوضتي

. أهه حكمت بقى النهاردة....

صرخت رقية بعلو صوتها

. بابا... يا بابا ابا لو سمحت قوم حوش مراتك عني يا ناس حرام عليكو .... دي عيشة  
تقصر العمر...

خرج أبوها من الحمام يرمق كلاهما بملل:

. إيه حصل تاني صوتكم جايب آخر الشارع ليه..

قبل أن تنطق التفتت عزيزة بدموع لم تعرف من أين جاءت بها:

. والله يا عبده كل اللي قولتو أني عاوزة أنضف لها المكان... مسلمتش منها يا  
خويا... قامت هبت في وشي زي الوابور الخربان... قال إيه صحيتها ليه... وهي تصحى  
وقت ما هي عاوزة وأنا أقف استناها لما تصحى وبعدين أنضف المكان...

زغرها والدها بنظرات ناربة:

. ليه بقى إن شاء الله كنتي الخدمة اللي أبوها جابها ولا إيه؟؟؟

. بابا.. أنت بتصدق اللي بتقوله؟؟

صرخت عزيزة ضاربة بيدها على صدرها:

. يعني أنا كدابة...

تهجم والدها عليها يرغب بضربها فوقفت عزيزة بينهما:

. خلاص يا عبده خلاص... أنا مسامحة... راحت ولا جت أهى تعتبر زي أختي الصغيرة

. وماله.. ما يمنعش أن الأدب حلو... والأدب فضلوه عن العلم يا دكتورة ولا فاكرة

أنك بشهادتك دي راسك هتعلّى على راس أبوكي... يا تقعد بأدبها يا تتعلم الأدب.

صرخت رقية بحدة جرحت حنجرتها:

. هو دا كل اللي عندك... كتر خيرك يا بابا... كتر ألف خيرك... بس يكون في معلومك  
أنت ومراتك... مهما تعملوا... أنا قاعدة في بيت أمي اللي ورثته عن أبوها... وما فيش  
قوة هتقدر تخليني أخرج منه إلا لما أروح لبيت جوزي... ولو كان جوزي معندوش  
شقة هتجوزه في الشقة دي.. وأنت بقى أبقى دور لمراتك وولادك على شقة... كفاية  
قوي أني مستحملك لحد دلوقتي

هتفت عزيزة بشماتة:

. يا لهوي... هي حصلت تبوي في وش أبوكي... احس على التربية... أمك معرفتش  
تربيكي...

تحملت رقية كما فات بأعصاب باردة... حتى وضعت عزيزة اسم أمها في جملة  
مفيدة... ولم تعرف ما حدث بعد ذلك إلا ما تكلمت به ذاكرتها من ومضات خاطفة...

فقد وجدت نفسها تقفز في الهواء لتتخطى والدها وتمسك بشعر زوجته ويدها  
الأخرى تنزل بضربات كالمطرقة على رأسها صارخة:

. ما تجيبش سيرة أمي على لسانك... والله لأعلمك الأدب...

ولم يفلح والدها في الفص بينهما فتركهما ودخل غرفته...

.....

## الفصل الرابع

.....

شهمت سلمى عندما وقعت عينها على وجه صديقتها:

. يا نهار ألوان... إيه الألوان اللي في وشك دي يا رقية

. وحياة أبوكي يا سلمى بلاش تسأليني

. يخرب بيت العفاريث بتاعتك اللي بتسقط على طول دي... هي مش بتشهد

أبدأ.. مرات ابوكي تاني...

. أيوة... ارتحتي... وعلشان ترتاحي أكثر... زمانها قاعدة بتلم سنانها وشعرها من

الأرض...

. يا مفترية... عملي فيها إيه...

. الواجب اللي هيخليها تبعد عن طريقي سنتين ثلاثة قدام...

. بالشفاء... وأنا اللي كنت فاكراكي واخدة شهادتك في الطب...

. قدامي يا سلمى قبل ما الدكتور مهاب يسمعنا كلمتين على الصبح

. لا ما هو الدكتور مهاب مش موجود

توقفت رقية عن السير فجأة:

. ليه... ماله.. هو عيان

. لا... عقبال عندك بيقولوا هيخطب...

.....

. بصراحة يا بابا مش عارف أقولك إيه... أفكرك أني دكتور ومدير مستشفى... ولا أن  
عندي خمسة وتلاتين سنة... ولا أني مش قاصر ولا عاجز أني ألاقى زوجة لنفسى  
رمقه والده بنظرة هادئة جالساً بوقار في مجلسه داخل مندره الدوار حيث يستقبل كبار  
البلد للتباحث في شئون القرية... ولكنه اليوم قرر التفرغ لابنه العاصي  
. خلصت كلامك...

رفع مهاب رأسه المطرق ثم أسدل جفونه باحترام:

. أيوة يا بابا... اتفضل حضرتك

. هسألك سؤال واحد وإجابته واحدة... ومش عاوز لف ودوران... أنت ناوي تعصاني يا  
مهاب

هتف بدون تصديق:

. لأ يا... .

هب الدكتور سلامة واقفاً يرفل في عبائه المهيبة:

. خلص الكلام... أنا قلت كتب كتابك على شكران بنت الحاج زيدان النمر

الليلة... يبقى الليلة

. بابا انا مشوفتهاش... معرفهاش

. كنت بتلعب معاها وأنت صغير في المولد

. أنا مش مصدق اللي حضرتك بتقوله دا... معقول بابا حضرتك دكتور ومش ممكن  
اللي بتعمله فيا دا...

. أنا قبل ما أكون دكتور أنا أب يا مهاب... وأنا عارف أنت مش عاوز تتجوز  
ليه... شكران بنت حلال وهتاخد بيدك علشان قلبك يرجع يدق تاني...

تهدلت ذراعاه بإحباط:

. يعني دا قرار حضرتك الأخير

. لأ طبعا... القرار قرارك يا بني... عاوز تسمع كلامي... هتكسب زوجة صالحة وعيلة  
ورضاي عنك... عاوز تعصاني... أنت حر... تخرج من الدوار على مصر طوالي تروح  
للمستشفى تلم ورقك وكل حاجتك ومن بكرة هعين الدكتور يوسف حجاج مدير  
بدالك...

لم يصدق مهاب ما يسمعه:

. أنت بتلوي دراعي يا بابا؟؟؟

. أه... يمكن تحس بقلبي اللي بيتلوى عليك من وجعه بقالي سنين من يوم الله يرحمها  
س...

قاطعه مهاب بألم:

. خلاص يا بابا... تحت أمرك... أنا هعمل اللي أنت عاوزه

. على بركة الله.. والدخلة إن شاء المولى بعد شهر... جهز شقتك وهات فرش جديد  
وأوضة نوم جديدة

بنظرة ساخرة رمق والده:

. بس عفشي جديد يا بابا

هدر الحاج سلامة بحدية:

. نفذ أوامري بدون نقاش... أنا قلت عفش جديد يبقى عفش جديد...

أحنى رأسه:

. حاضر يا بابا... أي اوامر تانية

. كلم ابن عمك ليث في التليفون خليه يحضر كتب الكتاب هيكون شاهد..

خرج مهاب لا يكاد يرى أمامه... لم يلاحظ أمه التي تقف على الباب تسمع وترى

دون أن تتدخل... قفز في سيارته وانطلق بها ووجهها يطارده في كل مكان...

دخلت زوجته تحدقه باتهام:

. ليه كدة بس يا سلامة...

جلس وقد ظهر الإرهاق على ملامحه:

. كان لازم أعمل كدة يا سعاد... مهاب هيصع نفسه من غير ما يحس... والسنين بتجر

سنين والعمر بيجري... هستنى إيه أكثر من كدة

. أنا مقدرة وعارفة بس

. مافيش بس... هو كدة لازم نقطع عرق ونسيح دم... ووجع ساعة ولا كل ساعة... وأنا

واثق في شكران هي اللي هتقدر تخرجه من دوامة الوهم اللي هو عايش فيها...

. فكرك هتقدر..

. قولي إن شاء الله يا حاجة...

. إن شاء الله.

.....

هتف ليث في التليفون ضاحكاً:

. أنت بتهرج... كتب الكتاب الليلة... الليلة... الدكتور سلامة مش بيضيع وقت... هو

خايف لتهرب ولا إيه... أوعى تكون العروسة معيوبة ...

زمجر مهاب من بين أسنانه:

. ليث لو سمحت الموقف مش متحمل أي هزار... متتأخرش الليلة كتب الكتاب بعد

صلاة المغرب... وقول لريتاج

. مظنش ريتاج هتيجي... صاحبته ريم غايبة من امبارح ولسة مش لاقينها...

. هتكون راحت فين دي... مش دي اللي بتشتغل في فرع الشركة في المعادي...

. أيوة هي... مع الزفت اللي اسمه هيثم...

. أه افكرتها... طب ما نسأل هيثم مش يمكن يعرفها...

. يعرفها منين بس... هو مديرها... بس...

. جرب مش هتخسر حاجة

. يعني عاوزني أكلمه كمان بعد قلة أدبه أمبارح...

. قول لياسر وهو يسأله...المهم متأخرش على المعاد بتاعي مش عاوز بابا يفتكر أني  
مبلغتكش..

. ألف مبرووك يا عريس ربنا يتمم بخير...

نفخ مهاب وهو يغلق الخط في وجه ابن عمه:

. أنسان مستفز بجد...

.....

. إيه دا...شوفي..شوفي من اللي داخل دا...العريس بذات نفسه...

وجدت رقية رأسها يرتج وهو يستدير نحوه...استغربت ملامحه العابسة فلم يكن يبدو

عليه علامات الفرح التي تسبق الزواج...تجاوزهما وقد هب إعصاره الذي يتبعه

ليتسائل الجميع عن حال هذا العريس الغريب:

. هو أيه أصله دا...مافيش مساء الخير يا دكاترة...

جذبتها رقية:

. احنا مالنا خيلنا في شغلنا..

. على رأيك...قال العروسة للعريس والجري للمتعايس...

اتجهت رقية لغرفة الاستراحة...زفرت بارتياح عندما وجدتها خالية...استلقت على

الفرش الصغير المخصص للمناوبات الليلية وسرح خيالها في فارسها الذي لم يشعر

بها يوماً...

سخرت من نفسها:

"أصغر حكاية حب في تاريخ البشرية... امبارح بس عرفتي أنك بتحبينه ... والنهاردة هيتجوز... قليلة البخت حتى في الحب يا رقية... ولا كنتي شايفاه فارس عصر وأوانه اللي هيرحمك من عيشتك الهم وياخدك معاه لفوق... لفوق... أهه وقعتي ومحدث سمي عليكى...

خلعت حجابها وأخذت تفرك شعرها بأصابعها ثم استلقت على الوسادة تأمل في استعادة ذلك الحلم الذي قطعه عليها عزيزة البومة....

.....

. يا دكتورة سلمى... فين الدكتورة رقية...

. أهلاً يا دكتور سليم... خير في حاجة... الدكتورة في الاستراحة معاد شغلها لسة مش دلوقتي أصلاً

. كنت عاوزها في موضوع مهم المريض اللي في العناية المركزة بتاع عملية الكلى مش لاقى التقرير بتاعه وهي اللي كانت كتبتة...

. والله مش عارفة... هي على العموم لسة داخله دلوقتي ملحقتش تنام..

. أوك شكراً هروح أشوفها...

وصل لغرفة الاستراحة وبدون أن يطرق الباب دخل على الفور:

. دكتورة رقية.....

وقف متسماً مدركاً لخطأه الفادح...حبس أنفاسه بإحراج شديد وتراجع للخلف عندما  
استرعى انتباهه تلك الابتسامة التي لونت ثغرها وكأنها تسبح في أحلام وردية...وبدون  
سابق إنذار...شعر بقلبه لأول مرة...يدق!!!!

\*\*\*\*\*

. على فين يا ياسر...

. مشوار كدة يا أمي...مهـاب ابن عم ليث كتب كتابه النهاردة

. صلاة النبي أحسن...تعيش وتجمال يا حبيبي...عقبالك يا نصري...هو أنت مش

ناوي تملى حجري يا ياسر بعـيالك؟؟

رفع عيناه للسقف وقد بدأ موال كل يوم:

. حاضر يا أمي...عن قريب إن شاء الله

. حاضر حاضر...أنا زهقت من كلمة حاضر بتاعتك دي...يا أما تشوف عروسة

بمعرفتك ولا أشوفلك أنا...اختار...كان عيني على البت ريم صاحبة أختك...بس يا

حبة عيني من امبارح وهم مش لاقينها....جيب العواقب سليمة يا رب...

انتبه فجأة لحديث أمه:

. ريم...ريم اللي احنا نعرفها دي..

. أختك عندهم في البيت من الصبح وحالهم ما يسر عدو لا حبيب...

ضاقت عيناه بذكرى قديمة عندما لمح ريم بجوار هيثم في السيارة أثناء خروجهم من

الشركة...

أمسك تليفونه واعتذر من أمه:

. عن إذتك يا ست الكل خدي بالك من نفسك وادعي لي يمكن عروسة الدكتور  
مههاب يكون لها أخت ولا بنت عم تشنكلني أرجع لك وهي في دراعي..  
. أنت بتتريق على أمك يا ياسر... ماشي مسمحاك ..بس أنت اعملها...

فتح الخط ليصله صوت هيثم:

اعتذر من أمه بإشارة وهو يغادر البيت ويرد على هيثم:

. أيوة يا هيثم... أنت مش عارفي ولا أيه؟؟ أنت مسحت رقمي من عندك...

. لا أبداً يا ياسر... مش لابس النضارة علشان كدة مشوفتش الاسم... خير لسة عاوزة

تبستفني على ليلة امبارح

. ريم مرجعتش من امبارح يا هيثم

لحظات من الصمت المتوتر جاءه صوت هيثم مختلفاً:

. ريم مين...؟؟

زم ياسر فمه بغيظ وقد ادرك أن صديقه يراوغ:

. ريم... ريم حجازي اللي بتشتغل عندك في الشركة.. إيه مش فاكرها؟؟

. وأنا هفتكر كل الموظفين اللي في الشركة... ثم وأنا مالي ترجع بيتها ولا مترجعش هو

أنا كنت الوصي عليها

. هيثم بلاش لف ودوران أنا عارف أن أنت على علاقة معاها

بعصبية زائدة هتف هيثم:

. المعلومة دي ملهاش أي أساس من الصحة يا ياسر بيه وأنا ماليش أي علاقة بريم ولا غيرها... لو سمحت بلاش اتهام الناس ظلم بس علشان حتى حشيش دخنتها في ساعة مزاج....

. أوك يا هيثم زي ما أنت عاوز... ولكن... قسما بريي لو اكتشفت أن ليك أي علاقة بأي حاجة حصلت لريم حسابك هيكون معايا أنا...

نظر هيثم للهاتف في يده بعد أن أغلق ياسر الخط بوجهه... تلفظ بلعنة وضغط على ازرار التليفون يتصل بها.. يعلم تماماً أنها لن تقاوم رؤية اسمه على هاتفها وسترد قبل انتهاء الرنة الأولى....

امتقع وجهه عندما أجابه المجيب الآلي "هذا الرقم مغلقاً أو غير متاح .. من فضلك حاول الاتصال في وقت لاحق"

حاول مرة واثنتان وثلاثة وكل مرة يمني نفسه أنها سترد....

ألقي الهاتف بعيداً ودار حول نفسه كالأسير بانتظار قرار الإعدام

فتح باب غرفته ووقفت على عتبها ترمقه بنظرات غريبة

. هيثم... مالك... في حاجة...

التفت ليحدجها بنظرات اتهام معذبة... وجهها الذي لا يخلو من المساحيق... ملابسها

التي لا تناسب سيدة بعمرها... بنطلون ضيق وبلوزة حريرية شبه شفافة... صرخ بقوة

يكاد يشد شعره وتخرج عيناه المحمرتان من محجريهما:

. أنا ماااااالك...سييني في حالي بقى...حرام عليكى....أنتي عاوزة مني إيه...إيه اللي

رجعك تاني...مش كنت مشيتي وريحيتني من بلاويكي

اهتزت رموشها الاصطناعية في محاولة بائسة لتبدو متأثرة:

. متنساش أني أمك...ومايصحش تكلمني كدة

قهقهه بضحكة لا علاقة لها بالشعور بالسعادة:

. ضحكيتني يا إقبال هانم...ميصحش...وأنتي من أمتي بتهتمي باللي يصح واللي

ميصحش...طول عمرك بتعملي اللي في دماغك...تتجوزي من دا وتتطلقي من

دا...تحبي دا وتخوني دا....لدرجة أنك مش متأكدة من اسم أبويا

الحقيقي...اعطيتيني اسم اللي كنتي متجوزاه وقت ولادتي....حتى بعد ما كبرتني

وشعرك شاب...لسة زي ما أنتي وسس...

شهقت تمنعه من نطقها:

. هيشم....

سالت دموعه صارخاً:

. عاوزة مني إيه...روحي شوفي حالك...وأبوس إيدك أنسي أن ليكي أبن....وأنا مش

هفتكر أنك أمني...هضحك على الناس وأقولهم تاريخ غير تاريخك...هقول أمني

الحاجة أقبال ماتت وهي بتحج..واتدفنت في البقيع مع الصحابة علشان يترحموا

عليكي ويتمنوا لو ينولوا حسن خاتمتك....

. أنا همشي يا هيشم...ورغم كل وساختي اللي بتعرك لازم تفتكر...أني مهما

كنت...أمك...واللي أنت وصلت له دا...بفضلي...

قهقهه مرة أخرى:

. أنت مصممة تضحكيني النهاردة... فضل إيه يا أم فضل... أنتي ناسية أنك أتخليتني  
عني وأنا عمري عشر سنين ولولا الرجل الطيب اللي ساقه سوء حظه أنه يتجوزك هو  
اللي حماني من الشارع ورباني زي ما أكون ابنه لحد ما اتخرجت من الكلية وعملت  
دراسات وبقيت دكتور... أنتي تعرفي أنا اشتغلت إيه لحد ما وصلت للي وصلت  
له... وجاية تقولي فضل... دي القلط والكلاب في الشوارع ليهم فضل على ولادهم  
أكثر منك... وبسببك أنتي دمرت بنات ناس... عارفة ليه... علشان بشوفك في كل  
واحدة بعرفها... ومش يرتاح إلا لما بدمرها... هو دا فضلك عليا... تحبي أكمل ولا  
كفاية كدة...

رمقته بنظرة بائسة ثم ولت ظهرها وغادرت... تهالك على فراشه ينتحب بصوت عال  
وكأنه يفرغ مخزونه من دموع لم يذرفها طوال حياته.

\*\*\*\*\*

خرجت وجدان من المطبخ مسرعة لتفتح الباب بعد طرقات ملححة تمسح يدها في  
فوطه المطبخ:

. حاضر... جاية أهه ياللي بتخبط...

فتحت الباب لتقف مذهولة أمام ضيفها الغير منتظر:

. إيه.. مش هتقولي اتفضل..

تصدرت الباب بنظرات قوية بعد زوال الصدمة:

. لأ مش هتفضل يا جمال بيه.. راجل البيت مش موجود

رمقها بنظرات تسلية:

. هو أنتي متعرفيش... أنا راجل البيت

. دا كان زمان وجبر... أنت عاوز إيه وإيه رماك علينا تاني...

. دي طريقة واحدة محترمة تكلم بيها جوزها نفخت بفروض صبر:

. اللهم طولك يا روح... ما قلنا جبرنا يا جمال بيه... وابني أخذ حكم غيابي منك

بالطلاق

قهقهه جمال بشيطانية:

. لا والله ابن أبوه صح... وسعي كدة خليني أدخل بلاش قلة ذوق...

بدأ الخوف يجتاحها وهو يقتحم الشقة وكأنه يعيش فيها طوال عمره... ازدردت لعابها

بصعوبة تتظاهر بالشجاعة التي بدأت أساساتها بالذوبان أمام وقاحة جمال محجوب:

جلس على أحد مقاعد الأنتريه الوثيرة وأشار لها:

. اقلبي الباب يا وجدان واعلمي لي كوباية شاي من إيديكي...

ضربت يداها على بعضهما ووقفت مسمرة مكانها:

. أنت راجل غريب يا جمال بيه وميصحش....

قاطعها قهقهته العالية ليرتجف قلبها بين ضلوعها وهو يستطرد:

. تكونيش صدقتي نفسك أنت وابنك ناقص الرباية دا... أه عمل جدع وراح واخذ حكم

غيابي بالطلاق... بس اللي ميعرفوش ابنك الحيلة أني استأنفت الحكم في نفس

الأسبوع... ورديتك يا وجدان

ضربت يدها على صدرها وهي تتهاوى على أقرب مقعد:

. يا نهار أسود...

. آمال كنتي عاوزاكي أسيبك كدة... وبعد اللي ابنك عمله في الحساب المشترك اللي

بيني وبينه وفلوسي اللي نهبتها.. مش ممكن هسيبكم أبداً ألا لما أدفعكم التمن

أضعاف.. ولا نسيتي أنا مين... دنا جمال الدين محجوب يا وجدان... قرش

المحاكم... اتفضلتي انجري حضري لي لقمة أكلها وجهزي لي الحمام... ويا ريت

تلبسي الحتة الشفتشي البمبي... أنتي كبرتي وخوختي أه... بس الدهن في

العتاقي... هتفضلتي مبرقالي كدة كثير... قومي يا ولية حضري لي لقمة أكلها...

سارت للمطبخ بخطوات مرتبكة.... لا تعرف أن كانت على رأسها أم ما تزال واقفة

على قدميها....

.....

قلوب\_مغلقة\_حتى\_إشعار\_آخر\_٤#

الجزء الثاني من

ريتاچ\_القلب#

.....يتبع.....

مع تحياتي

ميرفت\_البلتاچي#

## الفصل الخامس

.....

. يعني أنت عاوز تفهمني أنك لسة مشوفتش العروسة...

زمجر مهاب من بين أسنانه:

. ياسر... هو أنا هلاحقها منك ولا من ليث... خلوا الليلة تعدي على خير أنا مش طابق

نفسي...

تبادل ليث وياسر النظرات المرححة كاتمين قهقهاتهم عندما لم يتمالك ليث نفسه:

. إلا صحيح يا مهاب... أفرض يعني... أن العروسة طلعت شبه عمي سلامة

كدة... هتعمل إيه؟؟

نفخ مهاب حانقاً:

. اللهم طولك يا روح....

صوت والده يناديه فهب واقفاص ليتخلص من مزاح صديقيه السمج:

. أيوة يا بابا جاي....

وضع والده يده على كتفيه يضمه بحنان:

. ألف مبروك يا مهاب... المأذون وصل يا بني تعال حط إيدك في إيد عمك الحاج

مصطفى...

. بابا... حضرتك واخذ بالك أني لسة مشوفتش العروسة

قهقهه الدكتور سلامة بابتهاج:

. بكرة تشوفها وتشبع منها... مستعجل قوي يعني... تعالى الرجالة هيستعوقونا..

ثم رفع رأسه ينادي ليث وياسر:

. أنتم عاوزين عزومة ولا حاجة يا شباب

أسرع ليث وعديله للحاق بهم...

رفع المأذون المنديل:

. بارك الله لكما... ألف مبروك...

اشتدت يد الحاج مصطفى على مهاب:

. ربنا يبارك لك فيها يا بني... شكران هدية من ربنا ليك... حافظ عليها وحطها في

حبابا عينك وربنا هيبارك لك أن شاء الله... أن حبيتها بجد هتاخذ خيرها... وأن

كرهتها... عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم... مقدرتش تتحمل رجعتها بيت أبوها

مفتوح لها معززة مكرمة زي ما خرجت منه معززة مكرمة... فاهمني يا مهاب يا بني...

أوما مهاب مأخوذاً:

. ش... شكران في عينيا يا عمي هتقي الله فيها إن شاء الله

وعلت الزغاريد لتدخل العروس محاطة بقربياتها تتأبط ذراعها أمه لتركها تقف جواره

مطرقة خجلة...

لم ير منها شيئاً إلا رأسها المغطى بحجاب رقيق وردي اللون... أمسك يدها ليصافحها  
فأدهشته هشاشتها وهو الذي كان يظن أن الفلاحات يتمتعن بخشونة لمدامتهم على  
العمل في الحقول...

رفع رأسها بلمسة من سبابته على ذقنها وقبل جبينها متمتماً:

. مبروك يا....

هنا قررت شكران أن تلتقي عيناها بعينه كي تسمع اسمها من بين شفثيه لأول مرة  
وترى نفسها في أعماق عينيه...

فجأة وجد نفسه يسبح في فضاء واسع لا نهاية له... فضاء شديد الزرقة وكأن الطبيعة  
وهبتها قطعة من السماء....

. شكران...

دغدغ ذلك الصوت المثير أذنيه ولكنه كان ما يزال طافياً على زرقة بحيرتها.. فتمتمت  
مرة أخرى بذات الهمس وكانها ترسل له قبلة جريئة:

. شكران...

هز رأسه بقوة وهو يأخذ نفس عميق متمتماً:

. آسف... كنتي بتقولي حاجة؟؟

. لأ... كنت بقولك إسمي بس... يظهر أنك نسيتته....

. لأ... أنا... كنت...

. سرحان...

هز رأسه .. فجأة وجد نفسه وكأنه تحت تأثير تعويذة ما.. فنهض واقفاً بسرعة وتلفت حوله ليجد الغرفة التي كانت تعج منذ لحظات بالمدعوين فارغة تماماً... وصدى أصواتهم يأتي من بعيد...

. هم الناس راحوا فين؟؟

. خرجوا... قالوا يمكن عاوز تتعرف على مراتك...

. أه... مراتي... أنتي... حلوة قوي على فكرة...

حدجته بنظرة قوية بدون احراج ثم تمت بثقة:

. عارفة...

مد يده يلمس وجنتيها الشديدة النعومة... فزجرته بلطف:

. قلنا نتعرف... بس اللمس ممنوع...

تحجرت يده مكانها... ثم أعادها جواره وهو يضحك بسخرية:

. بتضحك على إيه؟؟

. مش شايفة الموقف يضحك... مراتي وأول مرة أشوفك... وممنوع اللمس...

انقلبت ملامحه الهادئة لعاصفة غاضبة في لحظة واحدة وهو يمسك بذقنها بين سبابته وابهامة قائلاً بخشونة:

. مع أني في الحقيقة يحق لي أخذك في أي أوضة دلوقتي وآخذ منك حقي الشرعي... محدش يقدر يمنعي...

ردت بهدوء منافي لحالة الرعب التي تملكها:

. تحب تاخده هنا...

. أنتي جريئة قوي..

. مش بتقول حقا ولازم تاخده...خده في أي مكان بقي مش هتفرق...هتقلع  
هدومك الأول ولا أقلع أنا...ولا ممكن من غير قلع هدوم على فكرة..

شهق غاضباً:

. أنتي سافلة..

هزت رأسها بأسف:

. وأنت كمان...

وقف هادراً:

. أنا مش عارف أبويا شاف فيكي إيه علشان يختارك زوجة ليا

. وأنا مش عارفة هو أنت كنت ناقص إيد ولا رجل علشان تختار بنفسك..

وقفت تجابهه التحدي:

. أنت شكلك مش هتجيبها البر..

. وماله البحر...مش بتعرف تعوم..

. اللماضة دي متنفعش معايا...أنا عاوز زوجة تسمع كلامي أنا ويس...ومتردش إلا

بحاضر ونعم...ومتشوفش غيري...فهمتي؟؟

. أه طبعاً...بس طلبك مش عندي...في الزريبة بتاعتكم هتلاقي منها كثير

. مش بمزاجك... أنتي خلاص بقيتي مراتي.. وبعد شهر هتكوني في بيتي... دجني  
نفسك من دلوقتي على أسلوبي وطاعتي... فاهمة يا... شاطرة..

أومات بريق خاطف في عينيها الغائمتان:

. فاهمة يا... شاطر... تحت أمرك يا سيدي..

شمخ بأنفه باستعلاء:

. حلوة سيدي دي... خليكى كدة على طول... نطلع بقى لا يفتكرونا... قلعنا هدومنا  
ولا حاجة...

أشار لها لتقدمه... رمقته بنظرة غامضة ثم سبقته وهي تومئ له باستكانة... أرضته  
حركتها وظن أنه كسب الجولة الأولى.

.....

. هم بيعملوا إيه جوة؟؟

. وأنت مالك... لما تتجوز هتعرف...

يعني هم بيعملوا زي المتجوزين..

شهق ليث كاتماً ضحكته:

. ياسر... أسئلتك عاملة زي أسئلة عيل في رابعة ابتدائي... ما تلم نفسك يا  
جدع... موبايلك اللي بيرن دا..

أخرجه ياسر من جيبيه وهتف بقلق:

. دي أمي... ألو ماما... أيوة يا حبييتي... مال صوتك... ماما فيه إيه؟؟

وقف ياسر وتبعه ليث قلقاً من توجهه وملامحه التي احتاجت فجأة ثم صرخ:

. ماما... ادخلي اي أوضة أقفلي على نفسك بالمفتاح وأنا جاي حالياً... ماما اسمعي

اللي بقوله يا أما انزلي عن الجيران متقعديش معاه في مكان واحد...

أغلق الهاتف ينظر حوله كالتائه فصاح ليث:

. في إيه يا ياسر قلقتني... إيه اللي حصل؟؟

. ليث... تعالي معايا.. مش هعرف أسوق للقاهرة وأنا بحالتي دي... بسرعة أرجوك...

. طمني بس..

. جمال محجوب هجم على ماما في البيت...

اشتدت ملامح ليث بتوتر ودفع صديقه:

. يالا بينا... أنا كمان ليا حساب معاه... أوعي تكون ماما قالت لريتاج....

. لأ هي منهارة ومش هتقولها أي حاجة... بسرعة يا ليث... الجبان.. تصدق بيقولها أنه

لسة جوزها وأنه ردها بعد ما أخذنا حكم غيابي بالطلاق...

. أهدى بس لحد ما نوصل...

.....

. مامي...

. نعم يا ميسون...

. أنتي نمتي؟؟

. لأ...لسة ..

هنروح لبابي أمتى...مش أنتى قلتي لما نرجع مصر هنشوف بابي

دمعت عيناها وردت بصوت مخنوق:

. أيوة يا حبييتي...بس حصلت ظروف..

. والظروف زعلانة منا ليه ومش عاوزانا نشوف بابي..

. ساعات بتحصل...بس أن شاء الله قريب قوي هتشوفي بابي وهنروح نعيش معاه

. مامي...أنتي زعلانة..

سالت دموعها عندما ضعفت مقاومتها:

. أيوة...علشان أنتي زعلانة...ولما تفرحي مامي كمان هتفرح.

. خلاص قولي للظروف تخلينا نفرح بقى...هو أنا ممكن أقابلها؟؟

. هي مين دي؟

. الظروف يا مامي...يمكن لما تشوفني تزعل عليا هي كمان وتخليني أفرح

ضممتها إلى صدرها بقوة هاتفة:

. أوعدك عن قريب قوي...قوي...هنفرح كلنا نامي بقى وخلي مامي تنام علشان

عندي شغل بكرة وأنتي هتروحي بيبي جارد

. نايتي نايتي مامي

. نايتي نايتي يا روح مامي..

.....  
. أنتي هتباتي هنا ولا إيه؟؟

. أيوة... مش ناقصة حرق دم... يمين ثلاثة كدة على ما عزيزة تفوق من العلقة

. وأنا اللي كنت بقول عليكى سندريلا... دي عمرها ما قالت لمرات أبوها لأ... تقومي

أنتي تضربيه... قال ملايكة الرحمة قال..

. سلمى... تصبحي على خير...

. وأنتي من أهله...

جلست بعد خروج صديقتها تنتهي من كتابة تقاريرها:

. أحم.. أحم... مساء الخير يا دكتورة

رفعت عينها من أسفل نظاراتها الطبية:

. مساء الخير يا دكتور سليم... أنت مروحتش لسة

. لأ.. عندي مناوبة الليلة في الطوارئ... وأنتي...

. مطولة شوية... في حاجة..

. لا... أبداً... كنت عاوز ...

. عاوز إيه يا دكتور؟؟

أعاد نظارته فوق أرنية أنفه متلجلجاً:

. كنت عاوز... أعزمك على العشا... ممكن؟؟

أعدت رأسها للتقرير:

. لأ مش ممكن..

استدار ليذهب بخاطر مكسور... ثم وقف فجأة وعاد وكأنه ابتلع حبة شجاعة:

. ليه؟؟

رفعت رأسها مرة أخرى ترمقه باستغراب:

. ليه إيه؟؟؟

. ليه مش عاوزه تتعشي معايا؟؟

. كدة... أنا حرة..

. في حد تاني..

خلعت نظارتها تتأفف:

. مافيش يا دكتور لا حد تاني ولا حد أولاني... أنا مش بفكر في أي حاجة إلا شغلي

وبس... أظن واضح... ولا أقول كمان

. لأ... واضح تمام يا ذك...

وفجأة رن جرس استدعاء الأطباء...وقفت بجزع فهتف سليم:

. دا المريض بتاع العناية المركزة..

صرخت وهي تركض:

. لأ... لأ... مش ممكن...

لحق بها سليم على عجل... كانت غرفة المريض تعج بالأطباء والممرضين في ظرف  
ثوان يعلمون على إنعاشه بعد توقف القلب... وأخيراً أشارت الأجهزة لعودة القلب  
لعمله...

ربت رقية على شعره بحنان:

. امسك نفسك يا رأفت أرجوك... أوعى تستسلم...

سألها سليم بغيرة واضحة:

. إيه الحكاية يا دكتورة... يهملك المريض دا قوي

أجابته دون أن تلاحظ نبرته... فقد كانت مشغولة بتتبع العلامات الحيوية للمريض:

. أيوة يا دكتور... رأفت مريض مكافح... استحمل كثير وقاوم كثير قوي... وحرام لما بعد  
كل دا يروح فجأة كدة...

. يا بخته...

التفتت بحدة:

. بتقول حاجة يا دكتور

. لأ... ولا حاجة... اتفضلي مش هترجعي الاستراحة

بعناد جذبت مقعد وجلست جوار مريضها:

. لأ... أنا هفضل هنا أتابع الحالة ليحصل لها انتكاسة... عندك مانع يا دكتور

أكله غيظه وهو ينصرف بعد أن أهداها نظرة نارية كارهة...

. هو إيه أصله دا..

. بيغير يا دكتورة..

التفتت لا تصدق الصوت الذي خرج لتوه من مريضها فهتفت:

. رأفت... أنت بتتكلم..

أوماً بإجهاد ثم أردف:

. أيوة...

. حمد الله على السلامة

. الله يسلمك...

. ياااااه أخيراً...

. ليه أنا بقالي كتير في غيبوبة

. يعني.. حوالي شهر...

. أثاريني... حاسس أني ميت

. بعد الشر عنك... هتكون بخير ان شاء الله وإلا هخسر الرهان

. رهان إيه؟

. لا دا موضوع طويل... لما تتحسن ان شاء الله هقوله لك...

نظر حوله وسألها بإجهاد:

. مافيش حد من أهلي هنا...

هزت رأسها بالنفي... فظهر عليه التأثر:

. ولا مراتي...

ربتت على يده:

. بقولك إيه... أنت بترغي كثير قوي لواحد كان في غيبوبة... ارتاح دلوقتي وبكرة الصبح

هنقعد نرغي لما تزهدق..

همت بالابتعاد عندما التفت أصابعه الواهنة حول يدها فانتبهت له يقول:

. مش عاوز أبقى لوحدي

ربتت على يده:

. عمرك ما هتكون لوحديك... أنا معاك..

أغمض عينيه بشعور جارف بالراحة

.....

فتح ياسر الباب بمفتاحه تلفت حوله صارخاً:

. أنت فين يا جمال محجوب... وريني نفسك...

خرجت أمه من إحدى الغرف فأسرع نحوها يضمها بين ذراعيه:

. ماما.. أنتي بخير... كلميني يا ماما...

أومأت برأسها:

. أنا بخير يا حبيبي... الحمد لله...

. هو فين... مش بيطلع يوريني نفسه ليه..

. مشي يا ياسر...

تبادل ياسر وليث النظرات ثم ربت على أمه:

. خلاص أهدي يا أمي وقولي إيه اللي حصل...

حكّت له كل ما حصل دون أن تفوت أي تفصيلة كما طلب منها.. وأنّعت حكايته:

. دخلت الأوضة زي ما طلبت مني.. قعد يضرب في الباب ويزعق... وشوية يهدد

ويتوعد... ولما زهق خرج... بس مقدرتش أخرج من الأوضة ألا لما سمعت صوتك..

. خلاص يا أمي... هو جبان.. أجبن من أنه يواجهني... اللي عمله دا بيعت لي رسالة أنه

رجع ومش ناسي اللي عملته

صاحت باكية:

. دا بيقول أنه ردني يا ياسر... أنا مش هتحمل يعمل فيا حاجة تاني... أنا كبرت يابني

على البهدلة دي

. ما عاش ولا كان اللي بيهدلك يا أمي... أوعدك النهاردة آخر يوم هتشوفي فيه الراجل

دا في حياتك... بتصدقي وعدي ولا لأ..

أومأت برأسها فتابع:

. ادخلي نامي وارتاحي دلوقتي... وأنا هتصرف...

اطمئن لدخولها والتفت لزوج أخته ملوحاً بقبضته في تهديد:

. الجبان الحقيير...

. اهدا يا ياسر المهم أننا عرفنا أنه رجع علشان ناخذ احتياطاتنا...لازم نأمن ماما  
وريتاج...مصيبة لو حاول يرهبها زي ما عمل مع ماما...ريتاج حامل يا ياسر ومش  
حمل أي ضغوط أنت عارف صحتها ضعيفة...

. أطمئن يا ليث أنا هعرف اوقفه عند حده

. على ما تاخذ تدابيرك هعين حرس خصوصي لريتاج وغضب عنها هتاخذ أجازة من  
الشركة وعندي البديل اللي هيستلم شغلها فوراً...مهندسة شاطرة وبابن عليها عارفة  
شغلها...وارد أمريكا جديد...

انتبه ياسر لكلامه فسأله بحنق:

. اسمها إيه المهندسة دي؟؟

فكر ليث قليلاً:

. اسمها غريب قوي...أسمها...اه افكرت...ميسم كامل العزب...

أخرج ياسر زفرة حارقة ضاغطاً على نواجذه:

. ليث...لو طلبت منك طلب...واترجيتك أنك متسألش عن السبب تنفذه

. على حسب...أقدر ولا لأ..

. لأ تقدر...عاوزك تطرد المهندسة دي

. أطردها...ليه...تعرف عنها حاجة مش كويسة

. ليث...قلت لك من غير ما تسأل عن السبب

. مينفعش يا ياسر... ١٥ اسمه قطع أرزاق... وعلشان أعمل كدة لازم يكون فيه سبب  
قوي وقاهر كمان...

. مش هقدر أقولك على السبب

وقف ليث باستسلام:

. آسف... وأنا مش هقدر أنفذ طلبك... ولما يكون عندك استعداد للكلام أنا  
موجود... تصبح على خير.

\*\*\*\*\*

## الفصل السادس

.....

. الأخبار إيه يا سناء

. للأسف يا دكتور... مافيش أي أخبار... ولا حركة ولا كلمة... أسبوع كامل من ساعة ما فافت من الغيبوبة وهي على دا الحال.... ساعات بحس أنها سامعانا... بس مش عاوزه ترد..

. لازم ترد.. ولازم تفتح عينيها ونعرف هي مين... مافيش معاها أي إثبات شخصية... أحنا مدخلينها على مسؤوليتنا... أنتي عارفة المستشفى الاستشاري ميعرفش حاجة اسمها حالة إنسانية

. عارفة يا دكتور... ربنا يقدرك على فعل الخير...

شرد الدكتور في ملامحها المغطاة تماماً بلفائف الشاش بعد عمليات التجميل المتتالية لترميم وجهها المحطم، وترقرقت عبراته:

. مش واخدة بالك.. سنها تقريباً من عمر سالي... ربنت الممرضة على كتفه بتعاطف:

. تعيش وتفتكر يا دكتور أدهم... مسكينة اتخطفت بدري

. لكل أجل كتاب... ربنا بيسبب الأسباب... يمكن لولا اللي حصل لسالي مكانتش

المسكينة دي لقت حد يساعدها

. حظها من السما يا دكتور... ربنا يسعدك ويفتحها في وشك زي ما بتقف مع الغلابة

. المهم...خدي بالك منها..وأني تطور في حالتها بلغيني به فوراً في أي وقت اتصلي  
...بيا...

. أن شاء الله ربنا هياخد بيدها وهتبقى زي الفل  
يا رب..

.....

. أنت لسة مصمم يا ليث...أسبوع واحد بس وزهقت...

. ريتاج...وبعدين الموضوع دا قفلناه خلاص...ارتاحي علشان تحافظي على  
صحتك...

. هي حلوة قوي...

زفر وهو يعدل من رباط عنقه:

. هي مين؟؟

. المهندسة اللي طائر بيها السما...

. ماخدتش بالي...

. إزاي بقى...داليا بتقول عليها تحل من على المشنقة...

هتف بغمزة عين:

. لو ماما سمعتك بتقولي الاكسبريشن دا هيجي لها ذبحة

. ليث...أنت بتتهرب من الموضوع...

التفت ليضمها لصدره:

. وحياء ريتاج عندي... مش بشوف ستات غيرك... محدش بيملى عيني بعدك... أفهمي  
بقي...

. ماشي هصدقك دلوقت بس لو...

كتم فمها بقبلة طويلة أنهاها على عجل:

. اتأخرت يا رورو....

. على فكرة هروح المستشفى النهاردة معادي مع مهاب

كاد أن يوافق عندما توقف فجأة:

. لأ... مينفعش... وأنا عندي اجتماعات طول اليوم...

. خلاص إيه المشكلة.. هروح أنا..

. لأ...

رفعت حاجبيها باستهجان:

. في إيه يا ليث

عاد يضم خصرها بين ذراعيه:

. حبيتي... من ساعة ما عرفت بخبر حملك وأنا عندي فوبيا... بليز خديني على قد

عقلي... السواق هياخدك ويوصلك ومعكي البودي جارد واحد هيركب معكي العربية

وواحد هيكون وراكم بعربية

. ليه كل دا...الحكاية مش مستاهلة

كز على أسنانه:

. ريتاج... لو سمحتي... خليني أكون مرتاح ومطمئن عليكى...

. أنا حاسة بحاجة غريبة بقالها أسبوع... تكونش فاكر أن ريم اتخطفت وخايف

ليخطفوني باعتباري أنتمتها

. بلاش تهريج... خلينا جد... أنا خايف عليكى نقطة وأول السطر عندك اعتراض

. وأنا أقدر... أنا اللي جبتة لنفسى

. أها يعني بتعترفي أنك تعمدت الحمل بدون مشورتى

. قصدي لما اتجوزتك يا حبيبي... مع السلامة.. خد بالك من نفسك أنت كمان.

. لا إله إلا الله

. محمد رسول الله.

.....

. أنتي نازلة يا ريتاج..

التفتت لحماتها ترسك ابتسامة سعيدة:

. أيوة يا تانت... عدني معاد عن الدكتور مهاب... عاوز حاجة أجيبها لك وأنا

جاية... يمكن أعدي على السوق أعمل شوبنج

ساخرة وهي ترمقها باحتقار:

. وهو اللي زيك يعرف يعمل شوبنج

. اللهم طولك يا روح...ليه يا تانت...هو الشوبنج معمول لناس وناس..

قلبت درية هانم شفتها بامتعاض:

. الأشكال اللي زيك محدثي النعمة ميعرفوش يعملوا شوبنج...لهشوف يوم أكون

فاضية فيه أعلمك عملي شوبنج أزاى...

قهقهت ريتاج بفهم:

. ما تقولي كدة من الأول...أنتي عاوزة تشتري حاجة البيبي بنفسك

اهتزت درية بارتباك:

. لأ طبعاً...أنا كنت هعمل فيكي معروف...أنتي متستاهليش أصلاً...ياللا روجي شوفي

بتعملي إيه بلاش قرف..

هزت رأسها تخبط على يديها بتعجب:

. طب فوتك بعافية بقى يا حماتي...

اهتزت من لاضحك وهي تسمع صوت حماتها تصرخ:

. سيتامبوسيبيل...دوا الضغط يا حمديّة ...

ركبت السيارة فأغلق الحارس خلفها الباب وصعد يركب بجوار السائق ثم سألها:

. على المستشفى يا مدام

. أيوة...ولا أقولك...نروح الشركة الأول...عاوزة أشوف حاجة...

.....

. ليث بيه...المهندسة ميسم العزب طالبة مقابلة حضرتك

. خليها تنفضل..

وقف باحترام ليصافح السيدة الأنيقة:

. أهلاً يا باش مهندسة...اتفضلي

. آسفة لإزعاجك يا ليث بيه..

. أبداً تحت أمرك..

وضعت ملف بين يديه قائلة:

. دي دراسة جدوى لمشروع هيساعد كثير في خفض التكاليف ورفع الأسعار

واستعمال عمالة أكثر لتوفير فرص عمل...

أمسك الملف يتصفح أوراقه بإعجاب

. جميل جداً...أنتي نشيطة قوي يا باش مهندسة...بقالك شهر في الشركة وأسبوع

واحد بس في منصبك الجديد وبدأت البشايير تهل...أمسك الخشب

. أتمنى بس أن المشروع يعجب حضرتك..

. معرضه على مجلس الإدارة وإن شاء الله هرد عليكى بعد دراسة وافية. وطبعاً لو

اعتمدنا المشروع دا هيكون ليكي مكافأة كبيرة وزيادة في المرتب...احنا بنشجع

الناس اللي بتجتهد

. شكراً يا ليث بيه...أتمنى أكون دائماً عند حسن ظنك...عن إذنك...

خرجت وبدون أن تنتبه وجدت نفسها تصطدم بأحد ما... مدت يدها تعتذر:

. أنا آسفة... أنتي كويسة؟؟

اعتدلت ريتاج واقفة تشعر بالحرج الشديد:

. أنا بخير... أنتي كويسة...

. ايوة... ماشوفتكيش..

. أه طبعاً النور اللي بيشتع جوة خلاكي متشوفيش قدامك وأنتي خارجة

التفتت ميسم خلفها تحدج الباب المغلق باستغراب ثم عادت تنظر لريتاج:

. حضرتك مين؟؟

بنبرة حاولت ألا تكون مهتزة:

. أنا مرأة المدير..

انشرحت ملامح ميسم وهي تصافحها بقوة غير لا مبالية بصدمتها:

. ريتاج هانم.. أهلاً وسهلاً... كان نفسي اشوفك من زمان..

. والله...

. سمعت عنك كتير قوي يا فندم... شرف ليا أني أقابلك أخيراً... يا ريت نكون

أصحاب... أنا وافدة جديدة ومعرفش حد في مصر خالص..

. أيوة بس...

. ممكن تقبلي عزومتي على الغدا... أنا هخلص الساعة تلاتة... نتقابل قدام الشركة  
تلاتة وربع... أرجوكي ما تكسفنيش

أومأت ريتاج مدهولة:

. حاضر... هكون هنا في المعاد... بس... يا ريت ما تجيش سيرة لليث... خليها أسرار

بنات... أنتي عارفة الرجالة

. لا مش عارفاهم... مالهم...

. هقولك بعدين... مع السلامة...

ضمت ميسم يداها أمام صدرها تتمم بامتنان للصدفة الجميلة التي كانت تسعى لها  
منذ عملها بالشركة.

.....

. خلاص هتمشي

. أنتم مزهقتوش مني ولا إيه

. أظن اتعودنا على وجودك... كل ما أعدي على قسم القلب هيصعب عليا أشوف

أوضتك فاضية

. خلاص قولي يا رب أعيا تاني

شهقت:

. لا بعد الشر عنك... ما تقولش كدة...

صوت متعصب حاد فاجأهم:

. أنا لسة هستنى كثير ...

نظر لزوجته بعبوس... ثم حول عينيه لرقية:

. ما تزعليش يا دكتورة رقية... هي دينا كدة كلامها زي الدبش ومش بتعرف تعبر

كويس... هي قصدها تشكرك على تعبك معايا

. لأ يا رأفت بيه... مش دا قصدي... قصدي أقولها تلم نفسها بعيد عنك شوية اصلها

بقت مفضوحة قوي

تراجعت رقية شاحبة بينما تجمعت الممرضات على صوت دينا العالي... خطأ نحوها

ليمسك بذراعها يهزه متمتماً:

. أنتي أتجننتي إيه اللي بتقوليه دا؟

. بقول اللي شايفاه بعيني يا أستاذ... النخوذة اللي بتسلك في الراحة والحماية... لما

قرفت مش ناقص ألا تقولك تعالى ننام مع بعض...

. اخرسي...

شهق الجميع وساد صمت القبور بعد أن رنت أصدااء الصفعة على وجهها ليسمعها

الجميع... وأتبعها بكلمة واحدة:

. دينا... أنتي طالق... بالتلاتة

كان دور رقية لتصرخ هذه المرة:

. لأ... لأ...

. أنت بتضربني وتطلقني عشان خاطر دي... أنت اتجننت يا رأفت .. أنت متعرفش أن  
اللي عملته دا هيكلفك غالي قوي..

. ميهمنيش... أنتي جرحتي مراتي... ودا غالي عندي قوي...

ازدادت الهمهمات مع القبلة الأخيرة... حدقت فيه رقية لا تصدق ما سمعته  
للتو... عزز قبلته بوقوفه بجوارها يلف ذراعه على كتفيها مردفاً:

. أيوة... رقية مراتي على سنة الله ورسوله... وهي ست بعشرة من عينتك...

بعد أن افأقت دينا من الصدمة صرخت مهللة:

. أيوة قول كدة بقى ... اظهر وبان

هددها رأفت بتحذير:

. كلمة واحدة تانية وهقول كلام هيجرحك قوي يا دينا... لمي نفسك وروحي وورقتك  
هتحصلك

رفعت أحد حاجبيها بتهديد:

. بقى كدة يا سبع البرمبة... ابقى استحمل بقة وخليك راجل للآخر وأوعى تقول أي..

دفعت الجموع المحتشدة على الباب تشتتم بألفاظ نابية... كانت رقية ما تزال  
مصدومة... تحرك رأفت وأغلق الباب باعتذار .. ألتفت لها:

. رقية أنا....

. أنت إيه... أنت عارف اللي أنت عملته دا معناه إيه؟؟

أطرق لحظات:

. كان لازم أعمل كدة... بعد الفضيحة اللي دينا عملتها كان لازم أنقذ سمعتك

لطمت خديها بصراخات مكتومة:

. تصلح فضيحة بفضيحة... يا مصيبيتي...

جلس جوارها يكتفم تأوهاً وهو يضع يده على صدره... انتهت لحركته فهتفت بقلق:

. حاسس بحاجة... رأفت رد عليا

هز رأسه بشحوب شديد فأردفت:

. لسة كنت بقولك على التعليمات... ممنوع الإجهاد والضغط العصبية يقوم يحصل

كل دا؟؟

بصوت مجهود:

. أنا حقيقي آسف... كان الحل الوحيد قدامي بعد اللي عملته.. أنا أصلاً كنت ناوي

أخلص منها بعد ما أطلع من هنا... بس كنت ناوي أأمن نفسي الأول... دلوقتي هتجري

على بابي تعيط وتشتكي له من الوحش المفترس اللي خانها مع الدكتورة

بتاعته... هيقوم بابي بيعت رجالته يغيرو قفل باب الشقة اللي فيها كل ما أملك من

حطام الدنيا.. وهو مش كثير على فكرة... بس كل تعبني وشقا عمري من يوم ما وعيت

على الدنيا...

اغرورقت عيناها بالدموع فأردف ساخراً:

. مش قصدي أثير شفقتك... بس هو دا اللي هيحصل... استني لما أكملك الحكاية

يمكن أصعب عليكى أكثر...

وضعت يدها على ساعده فهتف:

. هكمل الحدوتة يا دكتورة... وبعدين بابي هيكلم المحامي يرفع قضية طلاق ونفقة  
وتبديد عفش ... شهرين تلاتة وهلاقي نفسي محكوم عليا من... تلاتة لخمس سنين...  
. عارف كل دا.... ومع ذلك اتجوزتها... كنت بتحبها..

هكذب عليك لو قلت لك أه.... بس الحقيقة أنا عمري ما حببتها.... حبيت العيشة  
الحلوة المريحة... السلطة اللي أبوها منحها لي... الجاه والنوادي اللي عمري ما  
اتجرات ومشيت جنب أسوارها.... بس هي أخذت المقابل أكثر بكتير... أخذت  
كرامتي... وعزة نفسي دهستهم تحت رجليها.... وفوق كل دا.... صحتي زي ما أنتي  
شايفة.... كل يوم زعيق وحناق وسهر برا البيت والرجوع وش الصبح مع رجالة أشكال  
وألوان....

شهقت غير مصدقة فقهقه بألم:

. أيوة... وأنا كنت ساكت... ما أنا بعث من زمان.... بعث رخيص قوي...

. مش عارفة أقولك إيه.... أنت حطيتني وحطيت نفسك في موقف صعب... أنت  
ممکن ترجع تبوس أيديها وأيدين أبوها والمية ترجع لمجاريها... وأنا اللي هضيع...  
قهقه:

. مش كدة وبس... دا بابي هيحطك في دماغه مش بعيد لو نقلك الواحات عن طريق  
اتصالاته...

. أنت بتهرج..

. لا والله...بتكلم بجد...أنت عارفة الحل الوحيد إيه؟؟

. إيه.؟؟

. أنا نتجوز دلوقتي...حالا...بكدة كل المشاكل هتتحل...مشاكلك أنتي على الأقل..

. حضرتك بتتكلم زي ما أكون حرة نفسي ماليش أهل.

أطرق لحظة ثم رفع رأسه يحدق بعينها المترققتان:

. رقية....أنا هنا بقالي أكثر من خمس شهور في المستشفى..أنا تقريبا أعرف عنك

كل حاجة....بداية من مرات أبوكي لحد....

شحب وجهها وأطرت بنحجل...رفعه يتأملها بحنان:

. أنا وأنتي محتاجين بعض يا رقية..

اختلست نظرة ساخرة له:

. جواز مصلحة تاني...

قهقهه بدون أن يرفع يده عن صدره:

. ما هو أنا لو قلت لك أني دايب فيكي مش هتصدقيني...أنتي محتاجة راجل يقف

جنبك وأنا محتاجك معايا والموقف اللي لقينا نفسنا فيه محتاج نحط إيدينا في إيدينا

بعض....من غيرك مش هقدر أعمل أي حاجة...

أجلى صوته بإحراج مردفاً:

.بالإضافة أنني عملياً دلوقتي في الشارع...بدون هدموم...وبدون أوراق....الحاجة  
الوحيدة اللي كنت عامل حسابها أنني عندي رصيد في البنك دينا متعرفش عنه  
حاجة...بس لحد ما أروح البنك محتاج مكان...هتتخلي عني يا رقية؟؟  
وقفت ترمقه بنظرات حادة...ثم انتزعت يده التي يضغط بها على صدره...دقائق  
تراقب نبضه...ثم أعادت يده:

. ضغطك عالي...خذ العلاج وخليك هنا...ساعة وهرجع لك...

واتجهت للباب فأوقفها:

. رقية....

بدون أن تنظر له تمتمت:

. ساعة واحدة...مش هتأخر..

\*\*\*\*\*

. أنتي عارفة أن الإلتزام بمواعيد الدوا أهم حاجة في حالتك...بلاش الدماغ الناشف

دا اللي أخذتیه من جوزك الرحم...

. والله فاهمة يا دكتور ومش محتاجة وصاية ...

. أيوة ما أنا عارف بأمارة ما طلعتي عيني في الحمل الأولاني...فاكرة ولا أفكرك

. خلاص بقى ما يكونش قلبك أسود كدة...إلا هي أخبار العروسة إيه..

تجهم وجهه وهو يناولها الروشتة:

. معرفش...

. يعني إيه متعرفش... هو أنت مرحتش تشوفها من يوم كتب الكتاب

. وأشوفها ليه... أهى اتحسبت عليا جوازة والسلام...

. إيه دا هي طلعت شبه عمو سلامة زي ما ليث قال ولا إيه... البطيخة طلعت قرعة؟؟

بتنهيدة طويلة:

. لا يا ستي... دي طلعت حمرا... وحمرا قوي كمان وحلاوتها قاطعة...

. وفيين المشكلة؟؟

. المشكلة أن لسانها طويل وقليلة الأدب...

باستغراب:

. أنت شوفتها كام مرة...

. مرة واحدة...

. شوفتها مرة واحدة وقلة أدبها وطولت لسانها... دا أنت على كدة سرك باتع..

. يعني إيه مش فاهم..

. أفهمك وأمري لله... العروسة... أي عروسة في مكانها على الأقل في أول مقابلة

هترسم نفسها... لو وحشة هتحلو... لو عرجة هتركب رجل خشب... لو لسانها طويل

هتقصه... فهمت...

. ودا معناه إيه...؟؟

. ضحكت تهز رأسها بأسف:

. يعني أكيد حضرتك عكيت جامد... عملت إيه يا مهاب؟؟

أجلى صوته بنحنة وهو يعدل من ياقة قميصه:

. يعني... قلت لها....

وأخذ يفكر في كلامه يراجع في ذاكرته... وبدون أن ينطق لاحظت ريتاج تبدل ملامحه

... احمرار وجهه... ثم تفصد عرقه عن جبينه حتى أنه أمسك منديل وأخذ

يمسح... هزت رأسها تكتم ضحكها:

. يا نهار أسود....

. إيه... هو أنا قلت حاجة

نهضت واقفة:

. مش محتاج تقول... بس أنا هقول... أي حاجة العروسة هتعملها فيك بعدين

هتستحقها عن جدارة... دا اقل واجب...

. ريتاج بس أنا...

. لازم تنسى يا مهاب... سالي الله يرحمها مكانتش هترضى أنك تعيش طول عمرك

مترهين في محرابها... حاول تنسى... شكران دي باينها حكاية مشتاقة قوي أشوفها..

. ماتشوفيش وحش... أخبار ريم أيه؟؟

تجهمت ملامحها بحزن:

. مافيش أي أخبار... ربنا يستر على مامتها... حالتها وحشة قوي... يالا أشوفك

الأسبوع الجاي زمان البودي جارد على نار

. يا سيدي اللي علي علي وبقيتي ماشية ببودي جارد يا ريتاج

. شوفت بقى... دا لولا أني هددتهم كانوا دخلوا معايا المستشفى بالعافية وافقوا  
يستنونني برة...

. مع السلامة..خدي بالك من نفسك...

غادرت غرفة الكشف تفكر في صديقتها التي اختفت تماماً... ترى ما الذي حدث  
لها...وقفت مسمرة وقد هربت الدماء من عروقها عندما وقف متصدراً طريقها...  
شهقت وتلك العينان ترمقانها بكل شر وكره وبغض لا تعرف مصدره...فهي المدينة له  
بكل هذه المشاعر وليس العكس...هو الذي تخلى عنها وعن أمها....هو الذي أحال  
حياتها جحيماً عندما ابتز ليث وساومه على شرفه...وهو الذي سرقها وهرب  
كالجبان...وهو الذي ملأ قلب أخوها حقداً أسود ضدها وضد أمها..  
. إيه مافيش أهلا يا بابا...وحشتني يا بابا...

قلوب\_مغلقة\_حتى\_إشعار\_آخر\_٤#

الجزء الثاني من

ريتا\_القلب#

.....يتبع.....

مع تحياتي

ميرفت\_البلتاجي#

## الفصل السابع

.....

. أنت اللي جابك..

قهقهه بتفاخر:

. إيه كنتي فاكراني هسيبها لكم مخضرة... حضرتك عايشة ملكة في قصر ابن عبد  
الجواد وأخوكي واخذ أمك بفلوسي في أرقى حي في القاهرة.... وعاشين حياتكم ولا  
كأن ليكم أب تسألوا عليه...

أخذت نفس عميق:

. أنت أزاى تتجرأ تسمي نفسك أب... لو سمحت أبعد من طريقي وأنا مش هجيب  
سيرة ليلث أني شفتك

قهقهه مرة أخرى بالتماع شيطاني:

. معقولة... ليلث بيه بيخبي عنك حاجات... يا ترى بيخبي عليكى إيه تاني...

. يعني إيه... قصدك أن ليلث شافك قبل كدة

. مش بس ليلث... وكمان ياسر... وحرمننا المصون...

دفعته من صدره ليفاجأ بتصرفها وهي تصرخ:

. أنت رحى لماما.... رحت لها... أنت مالك ومالها... دخلك بيها إيه... هي اتطلقت منك ...

رد بوقاحة وهو يمسك بيديها قبل أن تدفعه مرة أخرى:

. ليه هي كمان خبت عنك أني رديتها....

لم تشعر بالألم وهو طحن معصمها بين أصابعه مردفاً:

. وأني اتفقت معاها أننا نرجع لبعض وأننا ملناش بركة غير بعض

هزت رأسها بدموع حارة:

. أنت بتقول إيه... ماما مش ممكن ترجع لك تاني

. مش بمزاجها يا بنت أبوكي... المرة اللي فاتت رميتها في دار مسنين... المرة دي مش

هتعرفي لها طريق... همدفنها حية في أي تربة... وعمرك ما هتلاقيها..

. أنت عاوز إيه؟؟؟ عاوز إيه مننا تاني... عاوز إيه....

ازداد صراخها علوا.. تلفت حولها بقلق ثم دفع معصمها قائلاً قبل أن يركض مبتعداً:

. هكلمك في التليفون وأقولك على طلباتي...

خرج مهاب من غرفته جزعاً على صرخات.. وازداد جزعه عندما رأى ريتاج على الأرض

تحديق في الفراغ أمامها وعلامات الدهول على وجهها... ركض نحوها وركع أمامها

يمسك بمعصمها المرفوعان عندما لاحظ الكدمات عليهما:

. ريتاج... إيه اللي حصل... مين عمل كدة؟؟؟...

.....

أخذ ليث يدور حول نفسه كأسد حبيس ينفث دخاناً من كل مكان... أوقفه مهاب  
أخيراً:

. ما تهدي بقى يا عم أنت... خيلتني ...

. أهدي أزاي... إزاي يا مهاب... ريتاج مغمى عليها وانت بتقول ضغطها مش  
طبيعي... وكانت خارجة من عندك كويسة وبتضحك... وفجأة لقيتها قدام أوضتك  
بتصرخ وأيديها مكدومة... أي عقل وأي منطق... حتى الزفت اللي عينتهم يحموها ما  
يعرفوش حاجة

. هم مالهمش ذنب... ريتاج اللي أصرت يبقوا برة ...

صرخ ليث باهتياج:

. ودي كانت النتيجة...

صوت أنين أثار انتباه الرجلين فأسرع ليث يمسك بيدها يتأملها بقلق:

. رورو... أنتي بخير... حبيتي إيه اللي حصل...

فوجيء من نظرة الاتهام التي رمقته بها قبل أن تشيح بوجهها...

تراجع مهاب:

. خليك لوحيدكم...

قبل يدها رغم محاولتها لنزعها منه:

. فهميني في إيه وبلاش كدة... ريتاج أنا حاسس ببركان بيغلي في دماغي... مين عمل

فيكي كدة...

عادت تنظر بحدة:

. ليه عينت البودي جارد يا ليث... علشان يحموني من إيه... .

أجاب بصراحة فقد أدرك أنها عرفت كل شيء:

. من جمال محجوب

. وليه مقلتيش..

. علشان أنتي حامل... وضغط الأعصاب مش حلو علشانك

. وحلو أني أعرف أنه راح لماما وهددها.. وأنه ناوي يبهدلها...

. مكانش المفروض يوصلك يا ريتاج... لأو كنتي سمعتي الكلام وخليتي البودي جارد

يدخلوا معاكي مكانش قدر يوصلك

. وكنت فضلت مخبي عليا مش كدة... مش عارف أنه كان هيلاقني أي طريقة علشان

يوصلني بيها... مهما عملت...

. دي غلطي كان لازم أأجل الاجتماع وأجي معاكي

. ولحد إمتي يا ليث... مش طريقة عيشة دي...؟؟

. لحد ما ياسر يتصرف معاه...

لمس كدمات معصمها برقة فأجفلت مما زاد من غضبه وهو يصيح هادراً:

. أقسم بالله ما هعديها له.. وهيدفع التمن غالي وفاتورته أصلاً عالية قوي...

. عاوزه أشوف أمي يا ليث

. لازم ترتاحي ..

. مش هرتاح إلا لما أشوفها... لو سمحت

. خلاص... إهدي... أنا هتصرف...

\*\*\*\*\*

. مامي... أحنا لسة هنستنى... بقالنا كثير قوي...

. نظرت في ساعتها وأدركت أن ستون دقيقة مرت بالفعل على الموعد... هل يعقل أن

تكون قد نسيت... لعنت غبائها... كيف فاتها أن تدون رقم هاتفها

. مامي... مين اللي كان هيشوفني... قلتي لي أن فيه مفاجأة حلوة

تمتت بإحباط وعيناها تدوران في الشارع من خلال نافذة سيارتها:

. يظهر حصلت ظروف

. يوووه ظروف تاني... هي الظروف دي مش عاوزة تسيينا في حالنا بقى... أنا

اتضايقت منها كثير يا مامي... أحنا لازم نبلغ البوليس... مش هو يقبض على كل

الناس الوحشين... خليه يقبض على الظروف اللي قرفتنا في عيشتنا دي

أدارت محرك السيارة وقد أدركت بإحباط أخيراً أنها لن تأتي...

\*\*\*\*\*

. تعالي هنا يا بت وجولي لي... هو كان إيه اللي حوصل؟؟

. محصلش حاجة يا ماما..

. يعني عاوزة تفهميني أن الجدع كتب كتابه عليكى وفص ملح وداب...حتى مجاش  
يطل في خلجتك ولا يجول إزيكوا...دي الناس كلت وشنا...يا سواد السودا يا  
أزهار...

. أنا مش عارفة أنتي عاملة مشكلة ممافيش ليه...عريس مشوفتوش من لما كان عمري  
سبع سنين ووافقت...خطوبة وكتب كتاب في يوم واحد وكتبنا...رؤية شرعية بعد  
طكتب الكتاب وقلنا مش مشكلة...مطلوب مني إيه...أروح أسأله مجتش بيتنا ليه  
تشوف عروستك

. وهو أنا مش عارفاكي يا بت بطني...داني عاجناكي وخبزاكي...مؤكد جولتي له  
كلمتين غيرتي بيها دم الجدع خلاته ما يعوزش يطل في خلجتك

. حضرتك ممكن تسأليه على فكرة

. طب هو متصلش بيكي...

. لأ يا ماما...مسألنيش عن نمره تليفوني أصلاً

. يا ما نفسي أعرف جولتي له إيه وجالك إيه ...

رغم غضب أمها وجدت نفسها تبسم لذكرى اللقاء اليتيم مع من أصبح زوجها من  
اسبوع واحد فقط...

. ما تضحكينا معاكي

. للأسف يا ماما...اللي بيضحكني ممكن يرفع ضغطك...بعد الشر عنك...هقولك

كلمة أبرك من عشرة يا أم توفيق..باب دارنا مفتوح اللي عاوزنا أهلاً بيه واللي

مش...أحنا مش باكيين عليه...

. يا غلبي منك ومن نشوفية دماغك...

.....

فتح الباب بعد طرقات استمرت لأكثر من ربع ساعة... كان يأمل أن يبأس الضيف  
الغير مرغوب ويذهب.. فوضع رأسه أسفل الوسائد متجاهلاً الضرب العنيف على  
الباب.. وأخيراً قرر أن يفتح قبل أن يشتكيه الجيران للشرطة... كان يتجنب أي  
التشابك معهم بعد المشكلة الأخيرة عندما هددوه أن لم يكف عن جلب البنات  
لشقتة سيبلغون عنه شرطة الأداب....

وقف مشعثاً بملابس رثة وذقن غير حليق يحدق بضيفه... ثم زفر بتعب وهو يمسح  
وجهه بيده دون أن يفسح له للدخول:

. خير يا ياسر بيه..

دفعه ياسر بقوة... ورغم فرق الطول بينهما إذ أن هيثم يفوقه ضخامة ولكنه ترنح من  
دفع ياسر الذي جلس على أول مقعد بعد أن أزاح عنه الأكياس والملابس التي كادت  
تنحفي ملامحه:

. اقبل الباب يا هيثم... مافيش داعي حد من الجيران يسمع...

. وقف أمامه يسأله بتعب:

. ياسر... زي ما أنت شايف... أنا مش فايق لأي كلام... قول اللي أنت عاوز تقوله

واتفضل من غير مطرود

. فين ريم يا هيثم

صرخ يشد شعره بكلتا يديه بهستيرية:

. وانا مالي بريم وغيرها... قلت لك قبل كدة اني معرفهاش ومش عاوز أعرفها...دي  
بنت سمعتها زي الزفت أي موظف في الشركة هيقولك عنها المعلومة دي...وأنا راجل  
أخاف على منصبي وسمعتي

. وإيه رأيك أن بواب العمارة اتعرف على صورتها وقال أنها على طول بتيجي عندك...  
استشاط هيثم غضباً:

. يعني إيه الكلام دا...أنت بتجسس عليا

وقف ياسر ليجابهه:

. أحسن لك تقولي ريم فين...البوليس دلوقتي بيدور عليها ولو قلت لهم المعلومات  
اللي عندي هتلاقي نفسك كلبوش يا صاحبي مع رزمة تهم أقل واحدة فيهم سجن  
عشر سنين...

ارتبك هيثم واسود وجهه:

. أنا معملتش حاجة...وأنا مغصبتهاش...هي اللي كانت عاملة زي القراة لزقة  
ومبتطلعش...

. يعني عملت فيها إيه؟

رفع يديه لأعلى:

. كل اللي حصل بينا كان برغبتها...وشرعي..

ضاقت عينا ياسر:

. يعني إيه شرعي؟؟

تهالك هيثم على أقرب مقعد دون أن يهتم بإزاحة ما يشغله:

. يعني جواز عرفي...

. يا نهارك أسود...

هب هيثم مدافعاً:

. قلت لك كان برغبتها... أنا مغصبتهاش... قضينا كام شهر حلوين مع بعض وبعدين  
زهقت... قطعت الورقة وقلت لها مع السلامة... بس هي كان ليها رأي تاني... زعقت  
معها وطردتها... ودي كانت آخر مرة أشوفها فيها وأقسم لك بالله أنها لما خرجت من  
هنا كانت على رجليها ومكانش فيها أي حاجة...

. ودا كان أمتي... أنطق... كان أمتي؟؟

زاغت عينا هيثم وتمتم بارتباك:

. يوم ما اختفت...

أخرج ياسر دفعة كبيرة من الهواء بصدرة كان يحتبسها خائفاً من سماع هذا الرد:

. وبعدين.. محاولتش تكلمك أو تقابلك

. قفلت موبايلي علشان مسمعش صوتها... وما شفتهاش... أقسم لك بالله...

قاطعها ياسر بنظرة مزدرية:

. اللي زيك ميعرفش ربنا علشان يحلف بيه... اللي زيك حرام يطون طليق بين البشر  
العاديين لازم يتحبس في قفص زي الحيوانات... والمسكينة اللي ضحكت عليها  
وغررت بيها دي لو حصل لها أي حاجة هدفحك التمن غالي... غالي قوي يا هيثم..  
أجفل عندما صفق ياسر الباب خلفه... نظر للباب المغلق وغرق في بؤسه مرة أخرى  
يتآكله الندم.

\*\*\*\*\*

دخلت مترددة... كان نائم كما يبدو من تنفسه الهاديء المنتظم... أغلقت الباب  
بهدوء وتحركت على أطراف أصابعها... ولكنه شعر بها... فتح عيناه وراقبها تتسلل كي  
لا تسبب أي ضجة تقلق نومه... شهقت عندما فوجئت به مستيقظ:  
. أنت مافيش فايذة فيك... مش تقول أنك صاحي بدل الفيلم العربي الهابط اللي بعمله  
دا... د

. لو قلت لك أني بحب أتفرج عليك وأنتي مش واخدة بالك هتتهميني بأني بكاش...  
جلست على المقعد الوحيد بجوار الفراش الصغير الذي يحتله بالكامل بجسده  
الضخم:

. طبعاً هقول كدة... عقد الصفقة متبادلة المنافع اللي بينا مافييهوش بند نحنحة..

قهقهه بعمق فشردت في ملامحه الخشنة المليحة:

. صورة ولا كارت..

جفلت متوردة:

. رأفت بلاش تهريج

. ليه مش عاوزة تعترفي أنك بدأتني تحبيني

. هنرجع تاني للكلام دا...

. مش كفاية أنك حارماني من حقوقي الشرعية

ازداد توردها:

. أنا مش حارماك...دا كان ضمن الاتفاق كمان....وكمان صحتك متستحملش أي

مجهود زي...زي اللي بتفكر فيه دا...

. أدي عيب الواحد يتجاوز الدكتوراة بتاعته...

. أخذت الدوا النهاردة...

. أيوة يا فندم...بس عاوز أستئذن حضرتك

. خير...

. طبعاً ناوية ترجعي شغلك من أول الأسبوع على اعتبار أننا قضينا شهر العسل

خلاص...

. أيوة..وبعدين

. مش هينفع أني أفضل قاعد مستتيكي على ما ترجعي...حتى شكلها هيبقى وحش

قوي قدام والدك ومراته...

. أخنخ إزاي مأخذتش بالي من الحكاية دي؟؟ لازم نلاقي لك شغل طبعاً...أنت

اتأكدت أن حماك طردك من شركته

. أنتي شايفة إيه..

هزت رأسها بالتواء فمها:

. إذا كانت بنته بالأخلاق دي...أعتقد هيكون أسوأ منها...

. على العموم ما تشيليش هم...لازم أبدأ أدور على شغل...

. ما ينفعش يا رأفت...صحتك في المرحلة دي مش هتستحمل أي مجهود...

أخرج زفرة طويلة:

. أعمل إيه طيب...ما ينفعش كمان أنك تصرفي عليا..

قلبت شفرتها باستياء:

. نظراً أنك كنت موافق قبل كدة أنك تبيع نفسك لمراتك وأبوها...مش هتفرق بقى لما

...

فجئت به ينهض عن الفراش ليقف أمامها بوجه قد نفرت عروقه من شدة الغضب:

. أنتي شايفة كدة يا دكتورة...أنها مش هتفرق...أنك تصرفي عليا وأنا أبقى عوالة

عليكي....

. أنا مش قصدي...أرجوك اهدى علشان ضغطك....

دفع يدها عنه صارخاً:

. مالكيش دعوة بالزفت ضغطي...أنا حر فيه أرفعه أنزله أموت ولا أروح في ستين

داهية...ماهي مش هتفرق....كدة كدة أنا بعث قبل كدة....واللي يبيع مرة سهل قوي

أنه يبيع في كل مرة....مش هو دا رأيك فيا...

ردت بدون خوف:

. دا مش رأيي... دا اللي أنا شايفاه...

أساحت بوجهها بارتباك عندما أخذ يبذل ثيابه بملابس الخروج... كان يختلس نظرات  
وقحة لها دون أن يحاول التخفيف من حرجها... وقبل أن تسأله كان يصفق الباب  
خلفه... وبعده بنفس القوة باب الشقة مما دعى لعزيزة للخروج من غرفتها صارخة:

. يا عالم حرام عليكم هتهدوا البيت على دماغنا...

فتحت رقية الباب تصيح بصوت عالي:

. في حاجة يا عزيزة... كنتي بتقولي حاجة...

لوت فمها بامتعاض:

. ولا حاجة يا حبيبي... دنا كنت بكح

. أبقى كحي في عبك... دماغي بتوجعني ومش عاوزة دوشة... هنام شوية.

لوت فمها متممة بصوت منخفض:

. قال بطلوا دا واسمعوا دا... "وبنبرة أعلى"... نوم العوافي يا حبيبي ...

عادت لغرفتها تحاول إخفاء شعورها الحقيقي حتى على نفسها... كل ما تشعر به من

قلق مجرد شعور طبيعي من طيب نحو مريضه... لا أكثر ولا أقل...

سمعت همهمات خلف الباب عرفت أن زوجة والدها تعطي التقرير له بكل

التفاصيل... تذكرت المفاجأة الصادمة التي فاجأتهم بها عندما دخلت متأبطة ذراعه

وقدمته لهم بكل فخر:

. بابا... أحب أقدم لك... جوزي... رأفت عابد المنشاوي

وقتها لم تعرف أيهما أكثر إضحاكاً.. عزيزة التي ظل فمها مفتوحاً حتى سال  
لعابها... أم والدها الذي احتار في ردة فعله... فهو قد نسي منذ زمن طويل أنه  
والدها... منذ ماتت أمها ودخل عليها ذات يوم كما فعلت الآن تماماً.. وزوجته في  
ذراعه وقدمها بكل برود... وطلب منها أن تعاملها كأمتها تماماً.. لم يهتم أنه يجور على  
حقها فقد ورثت الشقة عن أمها بيع وشراء... وكأنها كانت تعرف أن زوجها لن يصون  
أمانتها الصغيرة... ولولا الأموال التي تركتها لها لما استطاعت إكمال تعليمها حتى  
حصلت على شهادتها الطبية في جراحة القلب... ردت له الصفحة ولم يستطع أن يفتح  
فمه... وعندما انتفض وحاول أوقفته بدون أن تنكسر:

. حضرتك ومراتك وولادك محتلين ثلاث أربع الشقة... وأنا وجوزي

محتاجينها... يكفيك قد إيه لحد ما تلاقي مكان ثاني غير الشقة بتاعتي....

لانت ملامحه على الفور ومد يده يصافح رأفت المذهول:

. ألف ألف مبروك يا رأفت يا بني... ربنا يتمم لكم بخير... طب كنتم قولوا كنا فرشنا

الأرض...

قاطعته رقية بانكسار لم تظن أنها ستشعر به يوماً:

. لأ... شكراً... ما فيش داعي تكلف نفسك... بس بعد أسبوع عاوزاك تفضي أوضة

أمي... وتيجي أنت ومراتك في أوضتي اللي كانت هتموت عليها... مش كدة يا عزيزة

بذهول وفمها المفتوح:

. هه... بس... بس....

أردفت رقية بدون أن تنظر لها:

. دا طبعاً مؤقتاً على ما تلاقوا شقة...ياللا يا رأفت أنا تعبانة قوي وعاوزة أرتاح...

كانت على حافة الإنهيار عندما دخلت الغرفة معه...كان يرمقها بنظرات مشفقة بينما تلهث لا تصدق أن والدها مرر موضوع زواجها بدون علمه بهذه السهولة فقط خاضعاً لتهديدها...

وبدون أن تشعر أَلقت بنفسها تنشج بالبكاء بين ذراعيه المفتوحتان بانتظارها...ربت على رأسها متمتماً بكلمات مهدئة...

أفاقت فجأة لنفسها فابتعدت محرجة:

. أنت بتعمل إيه؟؟

. أنا جوزك...أنتي ناسية ولا إيه؟؟

. لأ مش ناسية...بس ما يصحش...أحنا جوازنا على الورق بس...أنت اللي ما تنساش...

. مش هنسى ما تخافيش...زي ما اتفقنا فترة بس لحد ما الأوضاع تتظبط وبعدين كل واحد يروح لحاله...

زفرت ساخطة:

. وتتحسب عليا جوازة

امتعض ضاماً فمه:

. أنا آسف...بس شكلك أنتي كمان استفدتني .. رديتي لأبوكي ضربة في الصميم...

. أهو هو كمان محسوب عليا أب بالإسم...زي زوج بالاسم....وعيشة بالإسم...  
الحاجة الوحيدة اللي مش بالإسم هو شغلي...مستعدة أخسر كل حاجة إلا شغلي وهو  
السبب الوحيد اللي خلاني أوافق....

قطع القلق حبل ذكرياتها فأسرعت نحو النافذة تطل من شراعتها النصف مفتوحة على  
الطريق تنتظر عودته..

\*\*\*\*\*

. وإيه المشكلة يعني يا بابا...أنا مش شايف...

قاطع بصوته الجهوري الغاضب:

. لأنك البعيد أعمى مبتشوفش والتميز هرب من مفهوميتك من زمان...بقى فيه واحد  
يكتب كتابه ويقعد عشر تيام ما يبصش في خلقتها...

. ما أنا جيت أهه يا بابا

. بعد إيه يا حضرة الدكتور اللي مش محترم...بعد ما أهل العروسة والبلد أكلوا

وشي...مكانش العشم تصغرني يا مهاب...

. ما عاش ولا كان اللي يصغرك يا بابا...بس أنا...

. بلا أنت بلا زفت...اتفضل الست والدتك مجهزة زيارة تليق بمقامنا روح معاها

وشوف عروستك واقعد معاها...يا بني انتم هتجوزا بعد ثلاث أسابيع ولشة ما تعرفوش

بعض...دي إيه النايبة دي...

. ولما حضرتك عارف كدة كان لزومه إيه السريعة... كنا عرفنا بعضنا على مهل وفترة  
خطوبة وبعدين...

. ولا بعدين ولا قبلين... أنا عملت الصح والدليل اللي أنت بتعمله دا... اتفضل من غير  
نقاش وراضي عروستك..

. حاضر يا بابا...

وقف وهم بالحركة لينفذ الأمر عندما وقف:

. بابا.. ممكن أسأل حضرتك سؤال

. اتفضل يا مهاب بيه.. اسأل

. أنت قعدت مع اللي اسمها شكران دي؟؟

. أولاً مينفعش تقول عليها... ألي اسمها... زي ما تكون نكرة... وأيوة يا سيدي  
قعدت معاها... وعششت في نخاشيشي..

تسائل بدهشة:

. دي؟؟

. أيوة... بنية محترمة لبقة زكية ولماحة... ومن بيت أصل....

. دي... أنت متأكد أننا بنتكلم عن نفس الشخص...

. جرى إيه يا دكتور... أنت بتشكك في نظرتي ولا إيه؟؟

. لا يا بابا العفو... أنا عارف أن نظرتك في أي شخص عمرها ما خيبت...

ثم أردف هامساً:

. إلا المرة دي...

. بتقول حاجة يا مهاب؟

. بقول السلام عليكم ...

\*\*\*\*\*

. وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته... خطوة عزيزة يا حاجة... أهلا يا دكتور شوجة

غريبة

ياحراج هتفت سعاد:

. ما غريب ألا الشيطان يا أزهار... خليكي محضر خير آمال...الدكتور مشغول

لشوشته في تحضير الشقة من مجاميعه غير شغل المستشفى ...

زغرتة إزهار بدون اقتناع:

. إيبيه...الله يكون في عونته...بس البنية دي ذنبها إيه يتكسر بخاطرها

. ما هو جه أهه يا ولية علشان يصلحها...نادي لها خليه يلحق يقعد معاها حبة...ولا

أقولك...اديبها خبر وهو يروح لها بنفسه

. ودا يصح يا حاجة سعاد

. الكتاب مكتبو يا أزهار يعني في حكم مراته لو حب ياخذها في إيده وهو مروح

محدث يقدر يكلمه..

تبرمت أزهار:

. على جولاك... العروسة للعريس والجري للمتاعيس... أما أروح أديها خبر... الدار دارك  
يا دكتور

. تعيشي يا حاجة..

فورز ذهابها انقض على أمه:

. يعني عاجبك البستفة دي

. دا أقل واجب بعد عملتك المهيبة

. ماما... والله لو...

عاد مكانه بسرعة عندما سمع خطوات تقترب ثم دخلت أزهار مرة أخرى:

. اتفضل يا دكتور... أول أوضة في ربحك بعد أوضة المسافرين... وخلوا الباب  
مفتوح...

أوما بابتسامة سريعة بدت كأنها حركة عصبية أصابت شفثيه ما لبثت أن ذابت بعد  
خروجه وصوت أزهار المستفز يصل إليه تحدث أمه وعيناها تنتقلان بين العلب  
والكراتين:

. مكانش له لزوم التعب دا يا حاجة...

كانت الغرفة مفتوحة... أطل برأسه ليطمئن أنه في الغرفة الصحيحة... كاد ان يتراجع  
عندما فوجئ بهالة من الشعر الأشقر التي تتوهج خصلاتها الذهبية مع أشعة الشمس  
التي تتسلل من النافذة...

. أحم... أحم...

لم تتحرك الرأس وهو كل ما يراه من أعمدة السرير الأربعة... تجرأ بخطوة أخرى  
ونحنحة أخرى... دون أي استجابة.. تحرك حتى أصبحت الرؤيا واضحة تماماً  
أمامه... ممددة على بطنها بجسدها الممشوق على فراشها وقد انسدل أكوام من  
الخصلات الذهبية حول رأسها... ازدرد لعابه بصعوبة وعيناه تتجولان بحرية على  
منحنيات المشيرة حتى وصل لطرف الجلباب القصير على حدود ركبتها وقد انحسر  
بعضه ليس كثيراً ولكن لدرجة أوصلته للإحترق...

شهقة حادة أجفلته خاصة وهي تلتفت كمن لدغها عقرب... ولكن حركتها مرت عليه  
وكأنها بالتصوير البطيء... وهي تستدير ويدها تعيد خصلاتها المتمردة للخلف ثم  
عينها الزمرديتان تتسعان رعباً ويدها تلتطقان في نفس اللحظة طرف الغطاء لتستر به  
صدرها المكشوف من فتحة البيجاما الجريئة:

. أنت إيه... أنت دخلت هنا إزاي..؟

بدأ يشعر بالتسلية أخيراً:

. من الباب...

بصوت انبح من المفاجأة:

. باب إيه... هي وكالة من غير بواب.... اتفضل اطلع برة

. لأ مش هطلع... وأنا استئذنت قبل ما أدخل بس يظهر حضرتك اللي متعمدة أنني

أدخل وأشوفك بالمنظر دا....

امتقع لونها وهي تدرك معنى كلامه ثم صرخت:

. أنت كذاب

تضارست أسنانه في بعضهما:

. هتدفعي تمن قلة أدبك غالي... مامتك سمحت لي أدخل وأعتقد أنها جت وقالت لك...

ضافت عيناها وهي تفكر بجنون:

. ماما... ماما... ماشي... اتفضل دلوقتي من غير مطرود...

لم تصدق أنه خرج بهذه السهولة وهو يتجه للباب وكادت أن تسترخي عندما وجدته لفرعها الشديد يغلق الباب ولكن وهو بالداخل... ثم اتجه نحوها يراقبها بتسلية لا تستطيع تجميع جملة مفيدة في محاولة لطرده مرة أخرى نزع الغطاء الذي تستر به قائلاً بلهجة ممطوطة:

. ممكن نبطل تمثيل بقى... وفي كل الأحوال أنا جوزك...

تمالكت نفسها كي تحافظ على قوتها الخارجية على الأقل... اتخذت وضعية الجلوس ثم أعادت خصلة متمردة أخرى للخلف فأحبطته بعد أن كان ينوي إعادتها بنفسه: ماشي يا جوزي.. أهلاً وسهلاً عاش من شافك... مع السلامة...

. دا أنتي دمك طلع خفيف أهه...

لم تغب عنها لمحة الإعجاب في عينيه رغم ذلك لم تشعر أنه على استعداد ليسلم قلبه بعد...

. لسة بتحبها؟؟

جفل لاهثاً يحدجها بنظرات نارية... هل تقصد ما يظن أنها تقصده:

. قصدك مين؟؟

بارتياح بادرت:

. كل البلد عارفة أنك كنت ناوي تخطب من زمان... بس ماتت...

اقترب بحذر وأدركت أنها لم تصب الهدف من إثارتها لموضوع خطيبته وأنه سيعود عليها بنتائج عكسية...

تسللت أصابعه بين شلالات شعرها الكثيفة وبدأت تشعر بتخدير أطرافها وساعدت أنفاسه الحارة التي استمرت بالاقتراب أيضاً... وفجأة جذب شعرها بقسوة للأسف حتى شعرت وكأنه سينزعه من منابته.. أعاد رأسها للخلف وأشرف عليها متمتماً من بين أسنانه:

. ولا بطيب ولا بردي... مش عاوزك تجيب سيرتها أبداً.. أبداً لو ناوية يبقى ليكي عيش معايا... فاهمة...

أعاد السؤال بشدة مؤلمة أخرى أظفرت الدموع من عينيها:

. فاهمة...

هزت رأسها بقوة وقد خانها لسانها في التعبير بأي كلمات...

تلكأت أصابعه وهي تغادر شعرها... أغمضت عيناها بقوة تستمتع بانحسار الألم عنها عندما فتحتها برعب على لفحات أنفاسه التي أهلكت أمنياتها لتجده على مشارف شفيتها وكأنه يفكر في تقيلها ويحذرهما من أي اعتراض...

وبنبرة توصل أثارت كل غرائزه المدفونة:

. مهاب ...

لم يظن أنه قد يشعر بهذا الشعور المثمر أبداً... فكر كثيراً نعم... ولكن الفعل كان مختلفاً تماماً... كان انتهاك ذلك الفم المثير انتصاراً منفرداً... أما العزف السولو في معركة احتدمت ما بين مقاتل ومقاوم... حتى ربح المعركة ليتركها دائخة تترنح حتى سقط رأسها على الوسادة مفترشة هالة من شعرها الأشقر حولها... انتقلت عيناه للمساحة المفتوحة من صدرها وأدرك أنه لن يلقي أي مقاومة تذكر لو أكمل... قبل أن يتخذ الخطوة للتنفيذ سمع طرقات على الباب وصوت حماته يهدر خلفه بعتاب

. مش جلنا بلاش نجفلوا الباب يا دكتور... يرضيكي كدة يا حاجة سعاد...

لكزها بقوة:

. قومي بسرعة... أنتي يا... شكران...

فتحت عينها الناعستان لتقضى على كل تردده... لأو لم تكن أمه وأمها على الباب... انتفضت من مكانها تتحسس شفيتها بجزع فطمأنها ساخراً:

. لسة زي ما هم ما أخذتهمش في جيبي... بس المرة الجاية... موعديكيش...

همت بالصراخ فأوقفها:

. أمك وأمي برة...

صمتت لتستمع لصوت أمه وقد أدركت لعبتها وهي تعاتب سعاد بما تظنه قد حدث:

. يا لهوي يا حاجة لو أبوها درى باللي جرى... يتجفل عليهم باب واحد جبل  
الفرح... يا عيب الشوم يا ولاد...

نهضت راكضة لتفتح الباب وتضع يداها فوق بعضها على بطنها بحركة عاتبة:

. جرى إيه يا ماما... محصلش حاجة لدا كله... مهاب قاعد باحترامه جنب الشباك  
ومجاش ناحيتي ...

. أمال كنتم جافلين عليكم الباب ليه

. ولا حاجة... كان فيه هوا داخل ومهاب خاف عليا... أصلي كنت عرفانة وأنتي عارفة  
هو دكتور وفاهم في الحاجات دي

. صلاة النبي أحسن يعني هو فاهم وأحنا معندناش مفهومية

. ماما... لمي الدور...

هتفت سعاد:

. خلاص بقى يا أزهار... بنتك زي الفل أهه... مهاب لسة قاعد عندك يا حبيبي أروح  
وأنت تحصلني....

خرج لأمه بعد ان هدأت أعصابه المثارة تماماً... ألقى نظرة عابرة على شكران قائلاً:

. خلاص يا ماما... نروح والمره الجاية... نكمل... نقاشنا يا حرمنا المصون...

استطاعت افتعال ابتسامه وجيزة وهي تشيعهم بنظراتها بعد ان خضعت مكرهه لحضان  
حماتها.

وبعد ذهابهم التفتت لأمها بحدّة:

. ماما...إيه اللي دخل مهاب عندي الأوضة من غير استئذان

. وأنا أش دراني يا بتي

. ماما.. ما هو مش معقول هو هيدخل الدار ويفتش فيها لحد ما يلاقي اوضتي كدة  
وأنتي قاعدة مع أمه...

. أنتي هتجججي معايا ولا إيه...جال على رأي المثل النصاص جامت والجوالب  
نامت...ولا أنتي بتسبجي علشان مسألكيش عملتوا إيه والباب مجفول عليكم  
ارتبكت شكران وتوردت:

. هنكون عملنا إيه يعني...هو احنا بنطيق بعض أصلاً...ماما بحذرك...اوعي عملي  
كدة تاني...فاهمة.

شيعتها أزهار بنظرات ماكرة:

. فاهمة يا بت بطني.

\*\*\*\*\*

## الفصل الثامن

.....

. دكتور أدهم... دكتور أدهم... بشري.. المريضة المجهولة فتحت عينيها...

لم يعرف أنه قد يتأثر لهذا الحد بعد كل هذا العمر والتجارب من مثل هذا الخبر الذي قد قد يكون مر عليه آلاف المرات خلال سنوات عمله كطبيب... ولكن هذه المرة كانت مختلفة تماماً... ربما لأنه رأى فيها استعادة لشعوره المهضوم كأب... أو إحساسه الفخور كطبيب نجح في إنقاذ روح مسكينة وحيدة تماماً مثله... والتي لا تدري أنها بهذه الحركة الطبيعية جداً بالنسبة لناس كثيرة كفتح عيناها... تعيد له ثقته بنفسه التي ضاعت معالمها في اليوم الذي فقد فيه سالي... ابنته الوحيدة

. دكتور أدهم... أنت سامعني؟

. أيوة يا سناء... عرفتي منها أي حاجة

. لا والله يا دكتور زي ما تكون بتعيط من ساعة ما فاقت دموعها ما نشفتش...

المسكينة باينها شافت بلاوي كتير... الله يكون في عونها.

. اللي يشوف بلاوي الناس يا سناء... الدنيا مليانة

. ربنا يكفيك الشر يا دكتور...

. اتفضلي لما نشوف الأنسة اللي غلبتنا معاها...

.....

انتهى من الكشف عليها يطمئن على أجهزتها الحيوية... خلع السماعة الطبية من أذنيه  
ليضعها على عنقه... مد يده يمسح دموعها بحنان أبوي:

. مش نتعرف بقى ولا إيه... أنا أسمي الدكتور أدهم ودي النيرس سناء... كانت  
بتكلمك كتير قوي وأنتي غايبة عن الوعي... خدي بالك بتحبك قوي يمكن أكثر من  
ولادها

هتفت سناء:

. أه والله يا دكتور معزتها في قلبي من معزة ولادي...

. شوفتي... وأنتي بقى اسمك إيه؟؟؟

ارتبكت متلجلجة، ثم ترقرت الدموع بعينيها، فهتفت:

. لا... لا ما ينفعش كدة... أنتي يا بنتي كنتي بين الحياة والموت رينا بس وحده العالم  
أي معجزة حصلت علشان تكوني على قيد الحياة لحد دلوقتي... أكيد سبحانه له  
حكمة في كدة...

بصوت بالكاد مسموع:

. أنا... أنا... فين؟؟

جلس جوارها يربت على يدها بحنان:

. أنتي بخير إن شاء الله... حصلت لك حادثة وإن شاء الله هتبقى زي الفل.

. بس أنا مش فاكرة أي حاجة...

ضاقت عينا الطبيب بانزعاج:

. واسمك؟؟

اعتصرت أفكارها لتخرج بأي معلومة ثم هزت رأسها الذي كلفها ألماً مبرحاً:

. مش فاكرة إسمي....بس فاكرة حاجات تانية....

. زي إيه؟؟

. صور بتمر في دماغي....أنا في مكان معايا واحدة صاحيتي...حياتي كلها بتمر قدامي

بوشوش كثير...بس كلها من غير أسماء....يمكن لو شفتهم دلوقتي أفكر أسماءهم.

تبادل الطبيب النظرات مع الممرضة المشفقة:

. بس المشكلة أننا ملقيناش معاكي أي أوراق...ومنعرفش أنتي مين؟؟

سألته بخوف يداهم مستقبلاتها العصبية لتنبئها بالكارثة التي على وشك الوقوع فيها.

. يعني إيه؟؟

. أطمني...رغم أنني مش بفهم في الطب النفسي قوي...بس اللي عندك دا أكيد

مؤقت، بيسموه فقدان ذاكرة انتقائي... هكلم الدكتور عماد الأيوبي يعطيكى جلسات

لحد ما ترجع لك ذاكرتك.

تحسست وجهها بتساؤل:

. وإيه دا؟؟؟

. الحادثة كانت صعبة قوي...دكتور التجميل اضطر يعمل لك ترميم كامل لملامحك.

. يعني هرجع لشكلي القديم؟؟

هز رأسه بأسف:

أحنا مكناش نعرف شكلك القديم...ومعرش إذا كانت عمليات التجميل غيرت من ملامحك ولا لأ...

هفت بنبرة هادرة:

. ولا أنا هعرف...إذا كنت مش فاكرة إسمي...هفتكر شكلي؟؟

. مش بتقولي بتشوفي صور كثير في خيالك...مممكن تفتكري شكلك..

صرخت بانهييار مفاجيء:

. لأ..مستحيل...أنا أكيد عملت حاجة وحشة قوي وربنا بيعاقبني...أنتم ليه

أنقذتوني... أنا مستحقش الحياة يا دكتور...كان لازم أموت ...

. أستغفر الله العظيم يا رب...يا بنتي متقوليش كدة...احمدي ربك على كل

حال...وإوعي تبطري على نعمته...أنتي مش عارفة بتقولي إيه...مش عارفة...

أخذت تحاول نزع الأربطة التي تحيط بوجهها...أجهض محاولتها صارخاً:

. حقنة مهدئة بسرعة يا سناء

ناولتها له وكأنها على استعداد تام لمثل هذه الطلبات الطارئة...انتظرا حتى هدأت

وغفت في سبات عميق..

نظر لسناء:

. كلمي الدكتور عماد قولي له يبدأ معاها جلسات فورية... قبل ما تشيل الرباط من  
على وشها لازم تكون صحتها النفسية اتحسنت  
. تحت أمرك يا دكتور..

.....

ألقت هاتفها بعيداً تزفر بغضب مكبوت:

. مالك يا حبيبي أمشيرك مزعب ليه

. الست ماما مافيش فايذة فيها... من ساعة اللي حصل وكل يوم أتحايل عليها تيجي

تعيش معنا هنا لحد المشكلة دي ما تخلص وهي مصلبة راسها ما تسيبش ياسر

لوحده... قال يعني هيجوع لو قعدت عندي يومين

. من ناحيتي عرضت على ياسر يجي هو كمان بس رفض بإصرار غريب

. وأنا بقى أفضل كدة قلبي محروق عليهم

. والله يا ريتاج أنتي اللي بتعملي من الحبة قبة

. أنا يا ليث

. أيوة... ياسر مش سهل على فكرة وأكيد عامل كل احتياطاته علشان جمال ميعرفش

يوصل لماما تاني... ريحي أنتي دماغك بقى

. يعني حضرتك شايف أن اللي بعمله دا حرقه دم ملهاش لازمة... ماشي يا

ليث... أوك... ممكن تتفضل بقى... عاوزه أنام....

. ما تنامي حد ماسكك

. أه... مش هتنام معايا

. ليه بقى ان شاء الله

. هو كدة وخلص قفلت معايا.. اتفضل روح نام مع دودو هانم زمانك وحشتها قوي يا  
مون شيري

. ريتاج اعقلي وبلاش جنان

تلاعبت عيناها:

. أنا بقى مجنونة

وأخذت ترميه بالوسائد حتى أعلن استسلامه وخرج من الغرفة:

. طيب يا رورو... لولا حالتك كان بقى ليا كلام تاني... على راحتك... يا سلام دي  
ماما ما هتصدق... ابقى استحملي بقى.

.....

. يا صباح اللي بتغني على ست العرايس

. صباح الخير يا سلمى

. والله ولسة فاكرة اسمي والله فيكي الخير...

. إيه اللي حصل بس يا سوسو قالبة على أمشير ليه

. والله أسألي نفسك يا ست رقية هانم... كل يوم الوش في الوش والأسرار متداولة  
بيننا... ولا مرة فكرتي تقولي أنك اتجوزتي رأفت المنشاوي... أعرف الخبر زي زي أي  
حد غريب... مكانش العشم ولا احنا في أحزانكم مدعيين وفي أفراحكم منسيين

. والله مش كدة خالص... تعالي بس ألبس البالطو وأحكي لك.

. اوك يا رقية... لما نشوف...

.....

. بس يا ستي هي دي كل الحكاية من طقطع لسلامو عليكم

. وعليكم السلام ورحمة الله... إيه يا بنتي الفيلم الهندي اللي أنتي عايشاه دا؟؟؟

. أعمل إيه اتحطيت أنا وهو في ورطة وكان لازم حل...

. وهي مراته دي إيه... إيه الافترا والظلم دا... هي دي ستات عادية كدة ولا مخلوقات

فضائية من كوكب تاني... الله يمسيك بالخير يا مدحت يا صالح...

. وانتم عاملين إيه مع بعض يعني؟؟

. ولا حاجة... هو بيخرج طول النهار يدور على شغل ومش بيرجع إلا لما بخلص

شغلي... اتفقنا على كدة علشان بابا وعزيزة ما يحسوش بحاجة... وأول ما يمسك شغل

ويظبط أموره هنطلق

. يا نهار يا نهار... معقولة يا رقية دا حتى يبقى فال عفش

. هنعمل إيه يعني... لا هو بيحبني ولا... ولا أنا بحبه

. إزاي مش بيحبك دنا لو راجل ومراتي بلغة الرء بتاعتك دي كنت دبت في

دبادديك... الله يمسيك بالخير يا هوبة...

. هوبة مين دا كمان؟؟

. إيهاب توفيق... مش هو اللي قال "يا ناس أنا دبت في دبادييو"

. والله أنتي فايقة ورايقة... تعالي عيشي مع عزيزة يوم واحد تسد نفسك عن الدنيا العمر  
كله... كفاية زغرتها لرأفت في الداخلة والخارجة...

. الله يكون بعونك... أنا عارفة أنتي طايقاها إزاي؟؟

. يالا نشوف شغلنا قبل ما حد يسمعنا كلمتين...

\*\*\*\*\*

كانت تسير بخطوات عسكرية في طرقات مكاتب شركة عبد الجواد للمقاولات  
مشغولة بقراءة ملف بين يديها عندما جذبها أحدهم فجأة وقبل أن تصرخ كانت يد  
تكممها وتدخلها أحد الغرف المهجورة المظلمة... استمعت بقلب خافق لصوته  
يحذرهما:

. أوعي تصرخي...

عرفته من صوته فهزت رأسها بقوة... أرخي يديه فانتزعت نفسها منه لتواجهه بنظرات  
غاضبة.. مد يده ليشعل مصباح الفلورسنت بدد ظلام الغرفة فوراً لتحدد ملامحه  
المتجهمة:

. خير يا ياسر بيه... إيه شغل العصابات دا؟؟

. وإيه شغل التماحيك دا... مش أنا فهمتك أني مش عاوزك... لسة بتجري ورايا ليه

. حضرتك غلطان يا ياسر بيه... أنا ما رميتش نفسي عليك ولا بجري وراك

. ووجودك في شركة جوز أختي معناه إيه

. مالوش غير معنى واحد بس... كانوا طالبين مهندسة وقدمت ورقي... وصادف أنهم قبلوني... نقطة وأخر السطر... وصادف أنها شركة جوز أختك حضرتك... وأظن واضح جداً من يوم ما اشتغلت هنا وأنا محاولتش أتصل بيك ولا مرة... ولا كنت عاوزني أجري علشان أرضي غرورك الذكوري...

. حضرتك غلطانة يا مدام... غروري الذكوري زي ما بتقولي لسة بعافيته وفي أعلى حالاته... مش محتاج واحدة زيك علشان ترضيه وحواليا عشرات يتمنوا رضايا

. Deal... مع السلامة

أمسكها من ذراعها ليعيدها أمامه

. أفهم من كدة أنك مش هتسافري رغم كل الكلام اللي قلته

. طالما أنا مش فارقة معاك وجودي أو عدم وجودي هياثر عليك في إيه

. مش هياثر يا ميسم... بس أنا مش ناقص وجع دماغ لو حصلت لك مشكلة في يوم من الأيام... أو الديانة طاردوكي...

. اطمن يا ياسر بيه... أنا كبرت واتعلمت من أخطائي... حتى لو حصل لي أي مصايب هتكون أنت آخر واحد ألجأ له

. آمال هتلاجي لمين يا مدام

. للشيطان نفسه لو حبيت... شيء لا يعينك

. طالما لسة على ذمتي يبقى يعينني

. أحنا فيها...مستني إيه...طلقني دلوقتي واطلع على المأذون وسجل الطلاق قبل ما  
أتحايل عليك وتضطر تشفق عليا وتخليني على ذمتك  
. أنتي واثقة من نفسك قوي...يا ترى اصطدتي مني المرة دي...شكلها سمكة سمينة  
قوي...

جابهته بنظرات تحدي دون أن ترد لتترك لخياله القدر أن يرمح كيف يشاء...  
تهدلت يداها على جانبيها:

. أنا منتظرة ورقتي يا ياسر بيه...يا ريت ما تتأخرش... See u

.....

. أنت عاوز منها إيه بالضبط...كنت فاكرك عاوز تخلص منها

. ليث لو سمحت ما تخلينيش أندم أني حكيت لك على كل حاجة

. عادي ممكن تنسحب وتعتبر نفسك محكيتش وأنا هعتبر نفسي معرفتش حاجة

. يا ليث مش قصدي...بس هتجنن ومش عارف أعمل إيه

. طلقها...

. ببساطة كدة أنفذ لها اللي هي عاوزاه...افرض معشمة غبي تاني بالجواز

. وأفرض...أنت خلاص مش عاوزها...هتفرق معاك إيه

. مش عارف...لو كانت سافرت أمريكا كان الموضوع خالص هناك...أنما تيجي ورايا

هنا وتشتغل عندك...التصرفات دي مش قادر أبلعها ومش فاهم معناها...

ومش هطلقها قبل ما أعرف كل اللي مخبياه عني.

\*\*\*\*\*

تعبت عيناها من التركيز على الشارع والتحديد في الوجوه...ألقت نظرة أخرى على ساعتها وانقبض قلبها...لقد تعدت الثانية عشر...لم يعد بعد...حاولت التماسك والتماس الأعدار...ولكن كل دقيقة تمر كانت تقربها للجنون وهي تتخيله وقد انهار في الطريق وفقد الوعي دون أن يجد رعاية طبية سريعة لحالته...

أخيراً بعد أن كادت تنزل راكضة لتبحث عنه في كل مكان رأته قادماً من أول الشارع...

أغلقت الشيش بهدوء وذهبت لتفتح الباب...فوجئ بها بانتظاره...رمقها بنظرة مجهدة...أشارت بغموض وهي تشير لغرفة اخرى:

. أحنا اتقلنا للأوضة الكبيرة

تبعها بعلامات التعجب تعلقو جبينه...كانت الغرفة أكثر اتساعاً بكثير من الأولى..والفراش أيضاً يبدو رحباً...جلست على طرفه قائلة بنبرة حزن:

. دا سرير أمي...

. إذن...تم الجلاء...

رفعت عيناها إليه بنظرة سعيدة ما لبثت أن توجهت لتنهض تصيح فيه بصوت مكتوم:

. أنت مش ملاحظ أن حضرتك اتأخرت قوي...

. إيه قلقتي عليا

تراجعت بارتباك:

. مش موضوع قلق.. وطبعاً لازم أكون قلقت أنت حالتك لسة مش مستقرة...

. أممم... أنا آسف يا دكتورة... مش هعمل كدة تاني

دققت النظر في ملابسه لتصيح مرة أخرى:

. إيه اللي بهدل هدومك بالشكل دا... أنت كنت فين؟؟؟

. ولا حاجة... كنت بتمشى والمشوار طال شوية

. مافيش أخبار عن دينا

. كل حاجة اتوقعتها حصلت...

. دا معناه انك محتاج محامي شاطر

. يعني القرشين اللي طلعت بيهم هدفهم للمحامي

. مش أحسن ما تدخل السجن...

. يعني أرجع زي ما كنت...

. وتبدأ على نضيف...

. صعب قوي يا رقية بعد ما وصلت للسن دا أني أبدأ من أول وجديد

. على الأقل لما تنجح هتحس بطعم النجاح.... خد لك دش على ما أحضر لقمة

تاكلها

. لا... أنا أكلت...

. على فكرة أنا لاحظت أنك مش بتاكل في البيت أبداً

. لما اشتري الأكل من فلوسي هبقى آكل...

. أنا وأنت واحد...على الأقل دلوقتي

. لأ مش واحد يا رقية...أنا وأنتي كل واحد بينام في مكان بعيد عن الثاني...نبقى مش

واحد...بالحساب نبقى اتنين...

\*\*\*\*\*

. السلام عليكم...هي الدكتورة رقية مش هنا

التفتت له سلمى بابتسامة ناعمة ونظرة شقية

. لأ يا دكتور...النمرة مشغولة... بس فيه نمرة فاضية ومستنية أي حد يطلبها... تحب

أديك رقمها

حرك نظارته الطبية بارتباك على أرنبه أنفه:

. قصدك إيه يا دكتورة سلمى

هزت رأسها قائلة بجدية:

. ولا حاجة يا دكتور سليم...كنت بكح...عن إذنك...

غادرت استراحة الاطباء لتصطدم برقية على الباب...دفعتها للخلف:

. ارجعي بسرعة

. ليه...في إيه؟؟؟

. القلب المجروح بيدور عليكي

. قلب مين ومجروح مين أنتي بتخرفي يا سلمى

. لا وربنا... قصدي الدكتور سليم... يا حبة عيني شكله يصعب على الكافر... في

دكتورة عندها مخ تتجوز المريض وتدي الدكتور زومبة

. فيه... زي الله يسامحه اللي أداكي شهادة في الطب. لو كان يعرف أنك بتقولي

"زومبة" كان يا دوب أداكي شهادة محو الأمية

. أنا... أنا مفوتة يا رقية.. طب روحي وأنتي... كفا الله المؤمنين شر القتال...

. دكتورة رقية...

استدارت سلمى:

. أهلاً يا دكتور سليم... الدكتورة رقية لقيتها هنا وكنت لسة بقولها أنك بتسأل

عليها... اتفضل...

غمزت لرقية التي كانت تتميز غيظاً وهي ترسم ابتسامة باردة:

. خير يا دكتور

. كنت... كنت عاوزك في موضوع مهم... ممكن أعزمك في أي مكان برة

. آسفة يا دكتور... ما يصحش وما ينفعش... حضرتك ممكن تقول اللي أنت عاوزه

هنا... اتفضل أنا كنت داخلة أشرب نسكافيه... تشرب معايا...

أنهت نصف كوب النسكافيه ولم تفهم بعد الموضوع الذي يرغب سليم بالحديث معها

بشأنه:

. مش فاهمة حاجة يا دكتور يا ريت توضح

. بصراحة يا دكتورة... أنا فوجئت بخبر جوازك... كنت... كنت...

. كنت إيه يا دكتور كامل لو سمحت... أنا ورايا شغل.

. كنت بفكر أتقدم لك...

ارتفع حاجبيها حتى حجابها:

. والله... أنا مش فاهمة إيه لازمة أنك تفتح معايا الموضوع وأنا..

. متجوزة... في اعتقادي... أو حسب تحليلي للموضوع بعد دراسته من كل جانب... أن

جوازك من الأستاذ رأفت كان... كان لإصلاح...

احتدت نظراتها وهبت بانفعال:

. إصلاح إيه يا دكتور

. عفواً مش أقصد أي حاجة وحشة... قصدي موقف... إصلاح موقف بعد مراته ما

زعقت في المستشفى... أنا عارفك كويس يا رقية مش ممكن عملي حاجة غلط... ولو

جوازك دا مؤقت... أنا مستعد أستناكي لما تطلقي وأتقدم لك...

. أجبب لكم اتنين لمون وشجرة... النسكافيه مش لايق على الموقف الشعاري دا.

## الفصل التاسع

.....

. أنت كمان مش حاسس بغلظك... دي تبقى مصيبة بجد... أنت أخرجتني يا رأفت  
. أنا اللي غلطان يا هانم... ولا أنتي اللي غلظتي في حقي لما سمحتي لنفسك تقعدني  
مع راجل غريب وكمان بيتفق معاكي على الجواز... على أساس أنك متجوزة قرطاس  
لب ولا كيس جوافة

. ما هو أنت لو كنت صبرت كنت سمعت ردي

. مكانش المفروض أنك تدي له الفرصة أصلاً أنه يتكلم معاكي عن جواز وأنتي قدام  
الناس ست متجوزة والمفروض بتحترمي جوزك وتتصوني غيبته.

تأففت وهي تجلس على طرف الفراش:

. أنت عامل مشكلة مماميش على فكرة... والمفروض أنك بتثق فيا أكثر من كدة ولا  
المشكلة أنك مش واثق في نفسك... احتقن وجهه بالغضب... وهم بالرد... ثم  
امتنع... مد يده في جيبه وأخرج لها رزمة من الأوراق النقدية... أمسكتها بتعجب:

. أيه دا؟؟

. مصروف البيت

حاولت إعادته باشمئزاز:

. أنا مش هدخل في بيتي قرش واحد من فلوسك اللي واخدهم من أهل مراتك حتى لو  
كنت شقيان بيهم زي ما بتقول

أخرج زفرة وهو يرمقها بسخرية:

. كنت عارف أنك هتقولي كدة... أنا ما سحبتش أي فلوس من رصيدي يا رقيه... دا

مرتبي عن شغل اشتغلته الأيام اللي فاتت

. أنت بتشتغل...؟؟ بتشتغل إيه؟...

استلقى على الفراش من الجانب الآخر

. مالكيش دعوة...

. مش هأخذ الفلوس إلا لما أعرف

. وأنا مش هاكل ولا لقمة في البيت دا إلا لما أحس أنني مش عوالة على حد...

. على فكرة تاكل ولا متاكلش مش هيفرق معايا في حاجة

. أولك... أنتي حرة... خدي الفلوس أو ولعي فيها... مش هتفرق معايا أنا كمان بس على

أساس تصرفك هيكون رد فعلي

. هتعمل إيه يعني؟؟

أعطاها ظهره قائلاً بستاؤب:

. هتعرفي لما يحصل...

فتح عينيه قائلاً بنبرة جادة:

. رقيه... المرة دي الحكاية عدت على خير... المرة الجاية هتجزي للدكتور بتاعك

في المستشفى علشان مش هيطلع من تحت إيدي سليم... أنا لسة جوزك ولحد ما

المسمى دا يتغير متوقع منك تحافظي على كرامتي زي ما بحافظ على كرامتك.

همت بالرد ولكنها صمتت وشبح ابتسامة يلون ثغرها... وإحساس الحماية الذي يلفها به رأفت بغض النظر عن أسبابه... ولكنه شعور لذيذ وجديد حتى لو كان مؤقت... ما الذي يمنعها أن تستمتع به قدر وجود رأفت في حياتها... انتظمت أنفاسه فأدركت أنه غط في نوم عميق... يبدو أن عمله الذي يرفض إطلاعها على نوعيته يهلكه تماماً... نظرت للباب بحسرة تفكر في رحلتها الطويلة حتى الحمام لتغير ثيابها... وكيف أنها تتوخى الحذر كي لا يسمعها أحد من أسرتها فيتسائلون عن السبب... استرقت نظرة نحوه واطمأنت أنه بالفعل نائم...

بهدهوء تام بدأت بتغيير ثيابها... ولكن قلبها الذي أخذ يدق بجنون حتى ظنته سيفضحها لو وصل صوته لأذني رأفت... تمت المهمة بنجاح... رصت الوسائد في منتصف الفراش ووتوسدت جانبها تزفر بارتياح غافلة عن الابتسامة الماكرة في الجهة الأخرى.

\*\*\*\*\*

. ألو... إزيك يا ريتاج... عاملة إيه يا حبيبتى؟؟

كادت تلقي الهاتف من يدها عندما شعرت بكهرباء مفاجئة وموجة هائلة من القرف زادت من شعورها بالغثيان.. ولكنها تماكنت نفسها وأصابعها تزداد تمسكاً به:

. أنت جبت نمرتي إزاي؟؟

قهقهه ضحكته المقيتة:

. يا بت... دا سؤال تسأله واحدة ذكية زيك... دنا بقول أنك أكثر واحدة واخدة مني

ذكائي

. أولك... لو سمحت تقفل ما تتصلش بيا نهائي وانسى بقى أن لك بنت زي ما نسيت  
من زمان أنك أبويا

. أوعي تغلطي غلطة عمرك وتقفلي في وشي... مش هسامحك أبداً... وأنا غضبي  
وحش... وحش قوي يا رورو يا حبيبي...

تميزت من الغيظ:

. قول عاوز إيه وخلصني...

. عاوز الفلوس اللي أخوكي لهفها من حسابي

. وأنا مالي ...

. لأ مالك... لأنني عاوز كمان الفلوس اللي حطهم ليث بيه وديعة لحفيدي اللي وحشني  
موت... سيف حبيبي...

. يعني إيه أفك لك وديعة سيف... أنت جرا لعقلك حاجة

. لا... أنتي وابنك... وأمك وأخوكي اللي هيحصل لكم لو الفلوس دي مرجعتش في  
حسابي تاني

. أعلى مافي خيلك اركبه

. على فكرة... الحاجز الوحيد اللي بيحوشني عن أمك... هو ياسر.. ودا ديتي عندي  
حادثة عربية سايقها واد سكران مايساويش جنيه...

شحب وجهها حتى ابيضت تماما وهو يكمل"

. أما بقى سيف حبيبي...ممكن قوي حد يدي له حنة شوكولاتة ملغومة...لا دماغك ما يروحش بعيد...مش هسمه...بس ممكن أكيفه....

وقهقه بشيطانية بينما تزداد شحوباً:

. أنت مش بشر...أنت حيوان...

. أنا عارف أنك هتروحي جري تقولي للمحروس جوزك علشان يحميكي ويحمي سيف مني...ويزود الحراسة عليكم...طبعاً ما هو واجب أنه يحمي عيلته...بس يا ترى أنتي عارفة أن المحروس جوزك عنده عيلة تانية غيرك...

. أنت...أنت بتقول إيه؟

. اللي سمعته...لو مش مصدقاني...اسأليه...يمكن يعترف على نفسه...أو راقبيه... مش هتقدري علشان كل خطواتك محسوبة بالبودي جارد اللي راشقين معاكي في كل خطوة....

كل دا مش مهم عندي...المهم حسابي يرجع يتعمر تاني....والا...

كانت تشهق بصمت وهي تحدق بالهاتف بذهول.

ثم أمسكته مرة ثانية بسرعة وأخذت تضغط على أزرار الاتصال:

. ألو...ياسر...

. مالك يا ريتاج في إيه صوتك مش طبيعي

. تعالى...لو سمحت خدني من الفيلا

. أخذك...فيه إيه حصل يا ريتاج طمني

صرخت بهستيريا:

. بقولك تعالى خدني دلوقتي ولا أولع في نفسي وفي البيت علشان ترتاح

. طب خلاص إهدي أنا جاي حالا

. وما تتصلش بليث

. حااااضر زي ما تحبي... خمس دقائق وأكون عندك

انتفضت تبدل ثيابها ثم أسرعت لغرفة سيف... دفعت المريية بغلظة وشرعت بتبديل

ثيابه... سألتها بدهشة:

. في حاجة يا مدام؟؟

لم ترد عليها ثم حملت ابنها المصدوم من تصرفها... رغم ثقله ولكنها احتملت

ودفعت المريية مرة أخرى عندما أعادت سؤالها..

نزلت الدرج بأقصى سرعة احتملتها ولم تبالي بالآلام التي أخذت تدق في عمودها

الفقري....

جلست في الشرفة تحتضن ابنها الذي لم يستطع الإفلات من ذراعيها المحكمتين...

رمقتها حماتها بنظرات متسائلة:

. فيه إيه يا ريتاج... ماسكة الولد كدة ليه...

هتفت لاهثة وعيناها مسلطتان على البوابة

. مالكيش دعوة.. محدش له دعوة بيا ولا بابني

جلست درية على المقعد المجاور تحاول تهدئتها:

. ريتاج الولد مفزوع شوفي عامل ازاي... هو خايف... بصي له وطمنيه

ازداد تحكم ذراعيها حوله صارخة:

. أنت مش بتسمعي قلت مالكيش دعوة بيا

. لا بقى أنتي بقيتي مجنونة رسمي أنا هكلم سيف يشوف حل في البلوة دي

أمسكت الهاتف وأعدت الاتصال بياسر وقبل أن يرد رأت سيارته تعبر البوابة  
الحديدية...

ركضت مسرعة بانها بين ذراعيها حتى كادت تنكفأ على وجهها أكثر من مرة... خرج  
ياسر من سيارته وقد أخافه منظرها... حمل عنها الولد وسألها:

. حصل إيه يا ريتاج... ليث عمل حاجة... اتكلمي

هزت رأسها بصوت متقطع:

. خرجني من هنا... بسرعة أرجوك

. فهميني الأول

. بعدين أرجوك... خدني بعيد في مكان محدش يعرفني فيه أرجوك يا ياسر..

فتح لها الباب وأدخلها ثم وضع الولد في الكنبة الخلفية... اعتلى المقود فأمسكت  
ذراعه

. قول للبودي جارد محدش يمشي ورانا

اضطر لطاعتها مرة أخرى حتى تهدأ ويفهم ما يحدث... وانطلقت السيارة بهم...  
ولم تهدأ.. كانت تتلفت حولها وتطلب منه الدخول في شوارع جانبية والخروج منها  
حتى تأكدت أنهما ليسا متبوعين... فأعادت رأسها للخلف وأغمضت عيناها لتشعر  
بالألم يدق في عظام ظهرها...  
عضت على شفتها تنن بصمت.. أوقف ياسر السيارة في مكان هادئ على الكورنيش  
والتفت لها:

. إيه اللي بيحصل يا ريتاج... ممكن أفهم... أنتي تعبانة ولا إيه...  
. هقولك على اللي حصل.

.....

ركض ليث داخل الفيلا ينادي زوجته فاعترضت أمه الطريق قبل أن يصعد الدرج:  
. ما تتعبش نفسك مشيت  
. مشيت يعني إيه... البودي جارد كلهم برة  
. أخوها جه خدها... كانت غريبة قوي... كانت هتموت الولد في إيدها وقعدت تصرخ  
زي المجنونة  
. ليه يا ماما... إيه اللي حصل؟

. والله يا ابني محصلش حاجة... هي نزلت من فوق لابسة ولبست الولد حتى اسأل  
الدادة... زقتها وكانت هتوقعها على السلم...

زم فمه بغضب مكبوت ثم أمسك تليفونه يطلبها...أجابه المجيب الصوتي أن التليفون  
مغلق...فأعاد الاتصال مرة أخرى بنفس الإجابة...فاتصل بأخوها...

.....

نظر ياسر للهاتف الذي يرن وتنهد بتعب:

. ليث بيتصل أقوله أيه؟؟؟

. ولا حاجة...لحد ما أتأكد...لو كلمته هينكر طبعاً

. وممكن يكون أبوكي كالعادة بيحاول يعكر المية علشان يصطاد فيها

. أنا أصلا الفار بيلعب في عبي من فترة وكلام جمال محجوب أكد لي وجهة نظري..

. أنتي شاكة في حاجة

. بعدين....أصلا ما ينفعش أرجع لليث بعد ما هدد أنه يعمل حاجة في سيف

. ماهو هدد أنه يقتلني أنا كمان

. بعد الشر عنك يا ياسر...أنت تعرف تتصرف...لازم تلاقي مكان نستخبي فيه وماما

معانا...وأرجوك اتصرف بقى أنت ساكت عليه ليه مش عارفة

ضرب المقود بقوة صارخاً:

. مش لاقيه يا ريتاج...عامل زي الزبيق...بس مسيري هلاقيه

\*\*\*\*\*

. أحم أحم...مش هنا يا دكتور

أجفل سليم ثم أخذ يعدل من وضع نظارته التي لا تحتاج بارتباك:

. قصدك إيه يا دكتورة؟

أخرجت تنهيدة حب مكبوت:

. قصدي الدكتورة رقية أخذت عارضة النهاردة

حاول مداراة ارتبأكه:

. ومين قال أني بدور على الدكتورة رقية... أنا كنت ...

. عارفة... عارفة والله يا دكتور من غير حلفان، اتفضل في مكان فاضي ممكن تقعد

أعزمك على نسكافيه، ولا يمكن أجرح أحساسك الرجولي... أنا موافقة تعزمني.

كاد يرمي عرضها في قمامة النسيان عندما فوجئ بنظرتها المتوسلة تقريباً، فتح أزرار

البالطو الأبيض وجلس على المقعد الفارغ بتنهيدة مع شبح اعتذار:

. طالما على حسابي، ممكن تطلبي غدا كمان

شهقت بعدم تصديق:

. بالله عليك بتتكلم بجد

حدجها بنظرة مستغربة لعدة لحظات ثم سألها بتفكه:

. أنتي كدة على طول؟؟

أجابته بعفوية:

. لأ... النهاردة في أوكازيون

ارتفع حاجبيه بدهشة مزدوجة وفجأة انفجر ضاحكاً حتى دمعت عيناه، بينما استمرت ترمقه بنظرة جادة شاردة تحاول ملاحقة نبضاتها تسأل نفسها "هل حقاً يجلس معها، يجاذبها أطراف الحديد وبقهقه على عفويتها، هل ستستيقظ بعد قليل حزينة لتدرك أنها كانت تمارس إحدى حيل الطبيعة في إفراغ أمنياتها داخل هلاوس أحلامها...

ثم هتفت بسرعة قبل أن ينتهي الحلم:

. أنا موافقة... على الغدا

رفع أكتافه بهزة بسيطة:

. أوك... غدا...

تألقت عينها بفرح مزيجية كل أفكارها الأخرى بعيداً عن مجال أفكارها، فلا وقت لديها الآن... عليها استغلال فرصة لن تتكرر في المائة عام القادمة مرة أخرى.

. هي كانت تعرفه قبل ما يدخل المستشفى؟؟

. سألته بهيام...

. هي مين؟؟

. الدكتورة رقية... كانت تعرف اللي اسمه رأفت دا من زمان؟؟

أجفلت منتبهة لاستيقاظها من الحلم بهذه السرعة:

. دكتورة رقية مين؟؟ أه... معرفش... أنا فوجئت زيك بالظبط

. مالك يا دكتورة، قلبي مرة واحدة ليه؟؟

. أنا لا قلبت ولا اتعدلت... أنا خلقتي كدة... بس يمكن علشان أول مرة تقعد معايا.

ثم انتفضت واقفة تمسك بملف كان على المائدة على صدرها:

. عن إذنك يا دكتور؟؟

. راحة فين؟؟؟ طب والغدا؟؟

. ممكن تاكله لوحده، ولا أقولك لفه وروح لبيت الدكتورة رقية واعملوا غديوة سوا،

أهه بالمره تسألها كل الأسئلة اللي محيراك وتجاوبك بنفسها.

راقبها تدبدب في الأرض مبتعدة بغيظ واحد، بينما ملامح الحيرة تستولي على تعبيراته.

التفت بسرعة لسماعه أصوات ضاحكة، جال بعينه في المكان فتظاهر الجميع

بانهماكهم في تناول مشروباتهم.

\*\*\*\*\*

. يعني إيه مشفتهاش؟

. جرى لك إيه يا ليث يعني هي مراتك هتكون عندي وهخبها، ما تصحصح بقى؟

حك ليث لحيته الخشنة بكلتا يديه:

. هتجنن يا مهاب، زي ما تكون فص ملح ودابت هي والولد، وأخوها مش بيرد على

التليفون، حتى أمها مش موجودة في البيت، البواب قالي أنها طلبت منه تاكسي،

وميعرفش راحت فين.

. أنت اتخانقت معها؟

. خالص، كنا زي الفل، هي بس اتفرزت بدون سبب، وأنا قلت أكيد هرمونات  
الحمل، سبتها على راحتها، فجأة ماما اتصلب بيا بتقولي أخوها أخذها...أدي كل  
الحكاية، ومش عارف أعمل إيه؟؟

. أهدي وصلي على اللي هيشفع فيك، إن شاء الله ياسر هيكلمك، هو جدع وأكيد  
هيقدر قلقك.

. أنا مش قادر أصدق...معقولة ريتاج بتكرر معايا نفس التصرف، هو الزمن بيعيد نفسه  
من تاني، المرة الأولى كنت غلطان، والمرة دي عملت إيه...؟  
. اهدي يا ليث أن شاء الله خير وأكيد في سبب قوي لتصرفها دا.  
. يا رب يا مهاب...يا رب.

\*\*\*\*\*

. واحنا هنفضل زي المهجرين كدة يا بني، دا حتى ميرضيش ربنا، منك لله يا جمال يا  
محجوب إلهي وأنت جاهي يشجطك دنيا وآخرة زي ما أنت مبهدلنا كدة، حسبي  
الله ونعم الوكيل فيك، إلهي ينتقم منك قادر يا كريم.  
. خلاص يا ماما، اهدي يا حبيبي، مافيش منه فايده.

. ليه يا ريتاج يا بنتي ربنا اسمه العدل وعمره ما يرضاش بالظلم أبداً، والراجل دا ظلمنا  
كثير، كثير قوي يا ريتاج، وأكثر واحد ظلمه أخوكي.  
انحنى على يدها يقبلها:

. أبوس أيدك يا أمي ما تبكيش، دموعك بتولع فيا نار

. بعد الشر علنك يا ضنايا، إن شاء الله اللي يكرهك

. ماما حنا مجيناش هنا علشان أنا خايف منه، لأ...بس علشان أحمي ضهري ومقدرش

يطول واحدة فيكم وبكسرتني بيها

. ما عاش ولا كان اللي يكسرك يا حبيبي، بس ليث ذنبه إيه. دا زمانه يا حبة عيني لا

على حامي ولا على بارد.

. اطمني يا أمي أنا هكلمه وأطمنه

صرخت ريتاج:

. لأ..

زغرها ياسر بغضب مكبوت:

. أنت واعيه للي بتقوليه، كل اللي في دماغك دا هبل، حشاه جمال علشان يوصلك

للي أنتي فيه دا...ولحد ما يثبت العكس، وسهل قوي على فكرة، ليث جوزك وأبو

عيالك.

جالت وجدان بينهما بنظراتها الحائرة:

. هو إيه اللي بيحصل يا ولاد، ما تفهموني؟

حدج أخته بنظرة حذرة قائلاً:

. موضوع هايف كدة يا أمي، وأنتي عارفة ريتاج ومخها اللي عاوز قطع غيار

زغرت بدورها لابنتها:

. أنت هتقولي، ربنا يهديها ويصبر ليث عليها، كلمه يا ياسر، كلمه وطمنه بيني ربنا ما  
يوريك الشحنة على الضنا

. أنا هروح له بنفسي، مش هينفع الكلام في التليفون

نهضت وجدان بجزع:

. أنت هتفوتنا في الصحرا في يا ياسر

قهقه ضاحكاً:

. صحرا إيه بس يا أم ياسر، دي قرية سياحية، محدش هيقدر يوصلكم هنا وكمان في

حراسة على الفيلا أربع وعشرين ساعة

. وأنت يا ضنايا، هتروح يستفرد بيك لوحداك

. أنتي مش مخلقة راجل ولا إيه يا وجدان، متخافيش عليا دعواتك حارساني إن شاء

الله.

. قلبي وربي راضين عليك يا حبيبي، روح ربنا ينور لك طريقك وويبعد عنك جمال ابن

عيشة خد من قلبي وسو.

أوقفته ريتاج بعينين مغرورقتان بالدموع:

. ياسر.. أنت مصمم؟؟

تنهد:

. أيوة يا ريتاج...

. أولك أنا موافقة... بس بشرط... اديني مهلة يوم واحد بس

. هتعملي فيه إيه؟؟

. هراقبه... لو طلع بريء... هكلمه بنفسي، ولو مطلعش... هو الجاني على نفسه

ضربت وجدان على صدرها:

. يو داتك إيه يا بت يا ريتاج، أنتي هتعملي كرومبو على جوزك

غمغم ياسر بصير:

. الأسهل أنك تسألينه، ولا اللي بينكم دا مكانش حب، وكان تمثيل.

مطت شفيتها بألم:

. في الآخر راجل زي جمال محجوب، وزى مهاب، وزيك، إيه هتنكر أنك أنت كمان

دست برجليك على ناس كتير كانت بتحبك من غير ما يهملك، وكل يوم بتحب جديد.

. لأ يا ريتاج... مش صح تفكيرك، جمال محجوب مش ممكن يكون مثال يحتذى بيه،

ولا حتى أنا... أنا خبطت كتير في حياتي بعترف، بس يوم ما ألاقي بنت الحلال اللي

تستاهل هتجوزها على طول.

. أنا لسة مصرة على قراري، هخلي سيف مع ماما بكرة وهروح معاك، شوف أنت

شغلك وأنا هراقب البيه جوزي.

. أنتي أكيد جرا لمخك حاجة، ويكون في علمك لو ليث طلع بريء عمره ما

هيسامحك على اللي بتعمليه دا، المرة الأولى كان ليكي حق وكلنا وقفنا جنبك، المرة

دي... محدش هيساعدك هتواجهه لوحداك، وأنتي بس عارفة ليث لما يغضب بيكون

عامل ازاي.

. هنشوف يا ياسر . هنشوف .

\*\*\*\*\*

## الفصل العاشر

.....

رنين طويل على جرس الباب، نظر لساعة المنبه على الكومود بصعوبة حتى أدرك أن الساعة تجاوزت الرابعة بعد الفجر، بالكاد أستسلم للنعاس بعد عصيان معتاد، وضع نظاراته الطبية، ثم وضع الروب الأسود فوق البيجاما، وحث خطاه للباب، نظر في العين السحرية ثم اهتز جسده برعشة، وضع جيبيه على الباب يلتقط عدة أنفاس... ثم فتحه ووقف أمام طارق ما بعد منتصف الليل بنظرة حزينة، رفع رأسه المنكس ببطء ليفاجأ بعينه الحمراءوان، فتح ذراعيه فألقى بنفسه بينهما ينتحب بصمت.

تماسك ثم أبعدته يتأمله:

. هتفضل واقف على الباب كدة؟

. أنا... أنا آسف... المعاد متأخر... بقالي أسبوعين بحاول أجمع شجاعتي علشان

أقابلك ومقدرتش.

نظر لساعته بتهكم:

. ودلوقتي بس لقيتها

. هي مين؟؟

. شجاعتك الهربانة يا دكتورووور... ادخل ادخل النوم طار خلاص.

دخل مهاب بخطوات مترددة، ازداد تنكيس رأسه عندما بادره أدهم:

. ارفع راسك، ولا لسة مش قادر تشوفها.

أجفل بنظرة معذبة ولكن ليست للطبيب العجوز، بل للصورة المعلقة متصدرة الحائط، كانت الصورة حية بالفعل وكأنها لا تزال معه، ستخرج له منها، ستمد يديها وتضعها بين يدي بابتسامتها المنعشة المشرقة التي تذوب تحت وطأتها هموم تعاني من ثقلها الجبال.

ربتة على كتفه أخرجته من شروده:

. حظي حلو، أخيراً هلاقي حد أفطر معاه، هو فطار بدري شويتين بس أحسن ممافيش، على ما أفكر بتحب تشرب شاي زبي، مش نسكافيه العيال السيس بتوع اليومين دول.

أوما مهاب بابتسامه منهكة:

. شاي يا... عمي.

تصلب الطبيب لحظة قبل أن يومي برأسه بحركة تدرب عليها مراراً ليتجاوز هذه اللحظات التي تعترضه أحياناً فلا يغرق في مرارتها كما كان يحدث كثيراً في البداية:

. هروح اعمل الفطار

وأسرع بخطاه قبل أن يقدم مهاب اعتذاره.. تهالك على أقرب مقعد محاولاً بشتي الطرق تحاشي النظر للصورة المعلقة فوقه، كانت تناديه، ولكنه لم يستطع تلبية النداء، إحساس مهين بالخجل والعار تملكه، ألقى نظرة خاطفة على الدبلة في أصبع يده اليمين، أخفاها بيده الأخرى بشعور متجدد من الخزي..

. مافيش داعي يا مهاب...

رفع رأسه للرجل بعينين محتنتين هادراً:

. أنا خنتها يا دكتور

. لأ يا أبني...متقولش كدة...أنت رجعت تمارس حقك في الحياة، زي ما عملت أنا،

رجعت ومارست مهنتي و...بدأت أستعيد حياتي...دا معناه أني نسيتها؟؟ لأ

طبعاً...محدث بيرهن حياته على الأموات، مكانتش الدنيا بقت دنيا، كان كل واحد

مات له حبيب دفن نفسه جنبه

. أنت بتقول إيه يا دكتور أدهم...دي سالي...سالي

أوماً الطبيب وهو يضع ما بيده من طعام أمامه:

. مد إيدك يا مهاب وقول بسم الله...سالي الله يرحمها...أحنا لسة عايشين...

قولي بقى عروستك حلوة؟؟

اغرورقت عينا مهاب بدموع لم تناسب أبداً.

حدجه مهاب بنظرة جانبية:

. أنت أزاي كدة...منين بتجيب القوة دي.

ضاقت عينا أدهم بتقطيبة قوية:

. متقوليش أن والدك غصبك على العروسة..

زم شفتيه من ردة فعل مهاب التي أجابت على سؤاله...اخترقت تنهيدة عميقة صدره

وهو يتراجع في مقعده:

. ليه يا مهاب توصله للدرجة دي

. محدش عاوز يفهم...حتى أبويا

. على فكرة أنت اللي مش عاوز تفهم، ويتكابر...مههاب أنت هنا دلوقتي علشان تاخذ  
صك الغفران، رغم أنك مش محتاجه...

بنظرة مدعورة هم مههاب بالدفاع فأوقفه أدهم:

. أيوة يا مههاب... لو كنت عاوزه كنت جيت قبل ما تتورط في الجواز، بس أنت هنا  
دلوقت لأنك بدأت تشعر بالخطر، الخطر اللي مشفتوش في جواز اعتبارتها ارضاء  
لوالدك، بس في حاجة اتغيرت...صح؟؟

زاد مههاب من إطراقه فربت أدهم على ظهره:

. الحب مش عيب

أجفل مههاب بقوة:

. أنا مش بحبها...ومش ممكن أحبها...الحب الوحيد كان سالي، والأخير.

. ومع ذلك يظهر أن العروسة عرفت تدخل رغم كل السلاسل والجنائز اللي لاففها  
حوالين قلبك

كز على أسنانه وقبضته تعتصر أصابعه:

. مش هتقدر...

. تراهن؟؟

. أنت واخذ الأمور ببساطة كدة ليه؟؟

. وأنت واخذها بصعوبة ليه... سالي ماتت، وأنت عايش.. نقطة ومن أول السطر، كنت  
فاكرني هريحك وأقولك لأ مينفعش تنسى بنتي ولازم تتعبد في محراب حبها للأبد، لأ  
يا أبني... أنت من حقك تعيش، وأبوك من حقه يشيل أحفادك.

. وأنت يا دكتور أدهم.

. وأنا كمان، بعيش بطريقتي، في كل مريض ربنا بيكتب له الشفا على إيديه، لما يكون  
سبب في سعادة أم ابنها رجع لها من الموت، ولا رب أسرة كان مفقود الأمل في  
شفاه وربنا سخرنى لمساعدته.

. أنا مش هقدر أعمل كدة

. لأ هتقدر، وارب بس باب صغير في قلبك والعروسة... هي اسمها إيه

أجاب مهاب بتلقائية:

. شكران

قهقهه أدهم:

. حلو قوي... دا أنت مستوي على الآخر، قولي عملت فيك إيه شكران فككت

صواميلك بالشكل دا؟؟

\*\*\*\*\*

دخلت السكرتيرة لمكتبه رغم تحذيراته بعد مضايقته بأي طلبات أو تليفونات:

. ليث بيه.. آسفة لإزعاجك

. خير فيه إيه أنا مش قلت...

. أيوة يا فندم، بس الباشمهندسة ميسم مصرّة تقابل حضرتك، بتقول الموضوع مهم جداً وغير..

قاطعها بنفاذ صبر:

. خلاص.. خلاص... خليها تدخل.

دخلت ميسم تحمل بيدها ملف وقد ظهر الانفعال واضح على قسماتها الرقيقة:

. آسفة جداً يا ليث بيه، السكرتيرة قالت لي أن حضرتك مانع أي إزعاج، بس بصراحة الموضوع زاد عن حده قوي وما ينسكتش عليه

. موضوع غيه يا باش مهندسة، ممكن تحكي واحدة واحدة وتهدي شوية

وضعت أمامه الملف بدون أن تسمع نصيحته بالهدوء:

. اتفضل شوف بنفسك

وضع نظاراته الطبية وأخذ يقرأ في الملف بتركيز تحول لاهتمام ثم بدأت ملامحه بالتشنج ويده تقلب الأوراق بعصبية، ألقى نظرة خاطفة على ميسم فرفعت أحد حاجبيها بتأكيد، زم فمه ليتحكم في ردة فعله وعاد يكمل قراءة...

أغلق الملف بصوت قوي والتفت إليها:

. من أمتي الكلام دا بيحصل

. في البداية مكنتش متأكدة، بس لما الورق دا وقع في إيدي قلت لازم أقول ل حضرتك...

. أنا هوديهم كلهم في ستين داهية... اسمعي يا باشمهندسة...

. أفندم...تحت أمرك يا.....

قاطعها رنين هاتفها، فاعتذرت بارتباك وهي تتطلع في الشاشة، ثم شحب وجهها  
لتهتف بتوتر:

. بعد إذنك، دي حضانة البنت ويمكن...

أشار لها بالموافقة التي لم تراها وهي تفتح الخط وتدير ظهرها، ولكن نبرة صوتها  
الملتاعة أخبرته أن مشكلة كبيرة على الطريق...ألتفتت له بدموع محتبسة وشحوب  
وصل لدرجة البياض:

. أنا آسفة جداً يا ليث بيه، البنت خبطتها مرجيحة في الحضانة ونقلوها على  
المستشفى

. طب أهدي وخير أن شاء الله

. أنا هضطر أستأذن من حضرتك...

. معاكي عربية..

. هه.. عربية...لأ... هاخذ تاكسي

التقط مفاتيح سيارته ونهض واقفاً:

. أنا هوصلك...

. بس يا ليث بيه ميصحش:

. اللي ميصحش أني أخليكي تدوخي على تاكسي في الوقت دا وعريتي  
موجودة...اتفضلي..

أمسك الملف ووضعه في خزانته ثم أشار لها لتسبقه...

ترنحت شاعرة بدوار فلف ذراعه حول كتفيها أمام ناظري السكرتيرة المصدومة وسألها  
برقة:

. أنتي كويسة؟؟

أجابته بضعف:

. أيوة..

. العنوان فين؟؟

وضاعت باقي الكلمات عندما غادرا الغرفة...

بالكاد كانت تعي ما يحدث وهي مرتكنة على صدر ليث الرحب حتى فتح باب سيارته  
وساعدها على الولوج ثم أغلق الباب خلفها وأسرع خلف المقود يقود سيارته بسرعة  
تتجاوز المسموح به.

أبعدت نظاراتها السوداء عن عينيها المغرورقتان بالدموع تحديق في السيارة التي  
أصبحت مجرد نقطة في نهر من السيارات المزدحمة وقت الظهيرة..

أمسكت تليفونها تطلب رقم أخوها تكاد تطحنه بين أناملها:

. ألو... أيوة يا ياسر... البيه صاحبك طلع خاين وغشاش... عرفت منين.. لسة شايفاه  
قدامي من لحظة واحدة بس حاضن الزفتة بتاعته ومركبها معاه العربية وطلعوا... وأنا إيش  
عرفني على فين ولا تكونش عاوزني أطيروا هم وراهم علشان أفضشهم على السرير سوا  
ونعمل زي أفلام الأبيض والأسود... بالنسبة لي الرؤية وضحت خلاص ومش عاوزة أي

كلام في الموضوع دا تاني أبداً، وأقسم بالله العظيم يا ياسر لو قلت له على مكاني  
لأخذ أبنّي ومش هتشوف وشنا تاني أبداً.

\*\*\*\*\*

نظر ياسر للهاتف في يده بعد أن أغلقت الخط بوجهه وزمجر بحنق:

. أنا كنت ناقص جنانك كمان يا ريتاج، مش كفاية اللي أنا فيه؟؟

رن التليفون بين يديه ليطلعه آخر أسم يتوقعه، فتح الخط:

. ألو... أيوة يا هيثم... خير... إيه... بتقول إيه مش سامعك... طب متتحركش أنا  
جايلك في الطريق..مسافة السكة.

هز رأسه بغضب وهو يللمم مجموعة أوراقه المتناثرة على المكتب ثم خرج يلقن  
السكرتيرة بعض التعليمات...بعدها قاد سيارته حتى بيت هيثم.

لولا أنه متأكد من وجوده لما صبر كل هذا الوقت وهو يدق على الباب، حتى فكر أن  
يستدعي البواب ليساعده في اقتحام الشقة...ولكن الباب فتح فجأة ليطل منه كائن  
مرعب لا يمت بصلة لدكتور الاقتصاد الوسيم هيثم شومان...تلقاه ياسر عندما ترنح  
وكاد يتهاوى على الأرض، وقد تحول لمجرد ظل الرجل الذي كان عليه...أسنده ياسر  
حتى غرفته ثم تراجع من الرائحة النتنة التي تبعث منها:  
. أعوذ بالله أنت قلبت الأوضة دي حمام، ولا فيها ميت

سانده مرة أخرى لغرفة الضيوف، كانت مقبولة إلى حد ما..مدده على الفراش وغطاه  
متسائلاً:

. مالك يا هيثم، حصلك إيه؟ إيه اللي أنت فيه دا؟؟

أجابه بصوت متحشرج مبسوح:

. دا... غضب ربنا يا... ياسر...

. دلوقتي عرفت ربنا، لا حول ولا قوة إلا بالله، هكلم الدكتور مهاب يجي يشوفك

أمسك بيده ليمنعه:

. لأ... مش عاوز.. دكتور... عاوزها... تسامحني؟؟

. هي مين دي؟

. ر... ريم... ريم يا ياسر.

أطرق ياسر رأسه بتنهيدة:

. بس على حد علمي لسة ندى مرجعتش ومحدث يعرف طريقها فين؟؟

. أنا كنت وحش قوي معاها، كنت س... سافل

. وفكرك حتى لو رجعت هتسامحك؟

أغمض عيناه بدموع لم تظهر من الأدغال الكثيرة من الشعر الذي يغطي معظم وجهه.

. كان غضب عني... مكنتش في وعيي... محدش حاسس بالنار اللي جوايا

. وأنت قررت تحرق كل بنت تقابلها علشان تطفى نارك، مش كدة يا دكتور

صرخ بعروق نافرة:

. أيوة يا ياسر بيه، كان لازم يتحرقوا كلهم، علشان كلهم شبهها، زيها... مش بيهتموا  
إلا بإشباع غرايزهم وملذاتهم بس ولو على حساب الآخرين، كام واحدة منهم فكرت  
في أهلها وهي بتغلط معايا، كام واحدة فكرت في احترامها لنفسها اللي بدوسهم  
برجليا أول ما أغني في ودانها بكلمتين حلوين، وساعات مش بحتاجهم، كفاية تشوف  
عرييتي ولا محفظتي... على طول تسلم لي نفسها.

. وريم كمان.

انكسرت عيناه منكساً:

. لأ... ريم كانت مختلفة... كانت بتحبني بجد، من أيام الكلية وكانت عينيها بتابعني  
بإعجاب أحرص

. ورغم كدة مرحمتهاش

. لأ... علشان كانت هتهدم كل اللي بنيتو... كان لازم أحولها وتبقى زيهم...

. ونجحت طبعاً..

بإبتسامة منهكة كسيرة:

. أيوة.. لأدرجة أنها أدمنتني... اليوم اللي مش بتشوفني فيه بتكون زي المجنونة،  
وتفضل ورايا بالتليفون لحد ما أسمح لها تشوفني، آخذ منها مزاجي وأرميها زي أي  
كلبة في الشارع

أخذ ياسر نفس عميق كي يتحكم في أعصابه ولا يتهور ويطيع نفسه بالضرب في هذا  
المخلوق القميء حتى يلفظ أنفاسه القدرة:

. وهو دا اللي أنت عملته...رميتها في الشارع زي...الكلبة؟؟

غطى وجهه بيديه فلم يحاول ياسر التخفيف عنه.

استمر بالوقوف أمامه يراقبه حتى مسح وجهه ونظر إليه بعينيه المحمرتان:

. هي السبب...هي اللي سودت الدنيا في عيني ولونها بلون واحد، كل واحد يفتخر بأمه، قدوة في الأخلاق، والإيثار، والحنان... ما عدا أنا...كانت بالنسبة لي قمة في الانانية، وحب الذات، والسفالة...أيوة مستغرب ليه...هي كدة، كانت كدة، والكارثة أنها لسة كدة...

بدموع حارقة وأنف سائل أردف:

. لا...أوعي عقلك ياخذك لبعيد...هي عمرها ما قربت من الحرام، كله بالحلال...بس تيك أواي

قهقهه مرة أخرى بمرارة العلقم شعر بها ياسر وقد تبدلت نظرات الكره في عينيه لشفقة:

. أه..عمرك ما سمعت عن ستات التيك أواي...أو اللي بيسموهم...مسيار...أنا كنت نتيجة جوازة من النوع دا...كنت غلطة طبعاً، بس غلطة موقفتهاش كثير، وبعد عشر سنين نسيتني مع واحد من أزواجها اللي اتجوزته غلط، مكانش من صنفها...يمكن اتجوزته لما حسست أنها ممكن ترميني له من غير ما يعترض، بس لأ...دا معناه أنها ممكن تكون فكرت فيا ولو مرة...بس دا محصلش...

قاطعه ياسر:

. الراجل دا هو اللي علمك

أوما هيثم بقوة يزدرد لعابه ليكمل:

. أيوة، وهو اللي عمل لي شهادة ميلاد باسمه، بعد ما فضلت عشر سنين في الدنيا من غير شهادة ميلاد...صعبت عليه...وهو مش من لحمي ودمي...

. وهو فين دلوقتي

قهقه هيثم بدموع:

. تصدق...أول ما عضيت...عضيت إيده، دهسته وأنا واخذ في وشي زي الونش اللي بيزيل العشوائيات من حياته، الراجل دا...كان أول العشوائيات...شوفت وساخة أكثر من كدة.

. بصراحة...لأ...حتى جمال محجوب بالنسبة لك ملاك.

. أنت عاوز مني إيه يا هيثم..بعث لي إيه؟؟

. كنت عاوز أعترف قبل ما أموت...حاسس الموت بيقترب مني، وكان لازم...

. كان لازم إيه؟؟

رفع عينيه المظمورتان بالدموع:

. هو أنا مينفعش أنضف...مينفعش أتوب...

. أستغفر الله العظيم...ربنا تواب رحيم اطلب منه التوبة وهو هيستجيب لدعاك لو كنت

صادق في التوبة

. وكل اللي أذيتهم...أعمل إيه؟؟

. دي بقى تسأل فيها شيخ الجامع... أنا هعمل اللي عليا وهتصل بالدكتور يشوفك،  
وهكلف بواب العمارة يشوف لك حد ينصف الزريبة دي.

لم يسمع تمتمات الشكر المغممة وهو يسمع رنين التليفون حتى فتح مهاب الخط:

. ألو يا ياسر... أنتم فين ليث هيتجنن عليكم

. براحة شوية يا دكتور، أنا عاوزك ضروري وبعدين هشوف موضوع ليث دا... عندي

مريض هنا محتاجك... خد العنوان...

. أخذت العنوان.. هو بتاع مين دا؟؟

رمق ياسر هيشم بغموض ثم تمتم:

. لما تيجي هتعرف... المهم متأخرش.. أنا مش هقدر أستناك عندي مشاكل كتير قوي

وضيعة وقت بما فيه الكفاية على المريض دا... أرجوك يا مهاب تعالي

بسرعة... اعتبرها جميل في رقبتي

. ماشي يا سيدي... المهم ريتاج كويسة؟

. أه الحمد لله... ادعي رينا يهدي النفوس... بانتظارك يا دكتور.

\*\*\*\*\*  
.....

أقفل مهاب الخط ثم انتبه لصديق الأكبر سناً:

. إيه... مشاكل..

. مش عارفة... يظهر كدة...

. أنت وعدت تروح للمريض بتاع صاحبك، رغم أنك لسة قافل مع والدك ووعدته  
تكون عنده في البلد، هي هتستسخ نفسك.

أطلق مهاب زفرة طويلة:

. مش عارف... ياسر أول مرة يطلب مني طلب... مكانش ينفع أرفض، وأبويا زي ما  
سمعت، على آخره ومش متحمل أي معارضة مني...

. خلاص.. هساعدك.. هات العنوان هزور أنا المريض وروح لوالدك راضيه يا مهاب..  
كثر من كدة يا دكتور... ما أنا حكيت لك ...

. معلش أحنا في السن دا بنحتاج من أولادنا أكثر بكثير من اللي بيقدروا عليه.. سنة  
الحياة يا أبني...

. بس مينفعش أتعب حضرتك في مشوار زي دا..

. ولا يهملك... أنا أصلا مش هروح المستشفى إلا بعد العصر، يعني مش هتعطني ولا  
حاجة.

. وبعدين معاك يا عم أنت، من ساعة ما دخلت عليك بعد الفجر وأنت عمال تطوقني،  
اعملك فاصل بقى لحسن أفكر أنك مخبي الجناحات تحت البيجاما.

بملاح شديدة الجدية سأله أدهم:

. أنت أش عرفك؟؟

أجفل مهاب:

. أش عرفني إيه؟؟

بغمزة مازحة هتف أدهم:

. أكيد شوفت ريشة واقعة هنا ولا هنا...

مرت لحظات حتى أدرك مهاب أنه وقع ضحية لمزاح الطيب العجوز فتشهد بابتسامة كسيرة:

. يا ريتني أعرف أبقى زيك؟؟

. اطمن...شكران هتعمل لك عمرة...بس أوعى تنسى تجيها وتيجي، بعد الفرح اللي مش محتاج منك عزومة عليه لأنني هاجي...هاجي عزممتي ولا لأ..

انتقل مهاب باندفاع لأحضان أدهم يتنفس بصعوبة، ثم اندفع ناحية الباب حتى بدون أن يودعه...

تهالك أدهم على مقعده يزفر بابتسامة وهو يتطلع لأعلى:

. كان لازم أعمل كدة يا حبييتي...أنتي أكيد مسامحاها، علشان قلبك كبير...علشان كدة مستحملش كثير، الولد دا...أنا بحبه قوي...قوي يا سالي...عارفة ليه؟؟؟

وانهارت سدوده التي بناها طوال الليل كي لا ينهار أمام مهاب مردفاً:

. علشان هو يستحق...هو رجل بجد، وأنتي كمان حبييتي...وأنتي كمان كنتي...

\*\*\*\*\*

تنهد وهو يدخل الورشة، كان يعلم أنها تتبعه منذ يومان، ولم يقوض أحلامها الصغيرة وتركها تراه يعمل، ربما خيب ظنهما، ماذا كانت تتوقع عن مصدر أمواله، أن يكون قد عاد لزوجته مثلاً يتوسلها الود لتصرف عليه...بصوته العالي، ربما رغب أن يصل إليها:

. صباح الخير يا دقدق

ظهر طفل لم يتجاوز العاشرة يحيه بابتسامة تسللت لوجهه المكتظ الوجنت:

. صباح الخير يا أسطى...

. أخبار الشغل إيه؟؟

. ميت فل وأربعتاشر...الجثث إيه النهاردة...تقولش عربيات مصر كلها جالها سكتة

قلبية، وبيايديك اللي تتلف في حير هترجع لها الدموية بإذن ربنا

. ماشي يا أسطى دقدق...هات لي المعلوم الأول وبعدين نبدأ نشرح الجتت...

. أوامرك يا أجدع الأسطوات...سندوتش الفول والطعمية وكوباية الشاي بحليب.

. عليك نور يا دقدق ومتنساش نفسك...أنت عارف اللقمة ما تحلاش إلا باللمة

. ربنا يخليك يا أسطى، أنت اللي دائماً بترفع روعي المعدنية

قهقهه ضاحكاً:

. ماشي يا بتاع المعدنية...هات المعلوم علشان نبدأ شغل.

اتسعت عينها بدهشة وهي تخفي نفسها خلف الجدار، لم تصدق ما رآته للتو...ماذا

يفعل زوجها في هذا المكان الذي يبدو كورشة ميكانيكي...

ولكن..كيف ستعرف إن لم تسأله؟؟وإن سألته سيعرف أنها كانت تراقبه...دبت في

الأرض بحيرة وهمت بالعودة أدراجها لقد أضاعت يومان كاملان بدون جدوى.

أثار انتباهها صغير، إذا برجلان مترنحان بنظرات زائغة يحلقان عليها:

. على فين يا قمر... ما لسة بدري..

. قمر إيه بس اللي هيطلع بالنهار، أنت مسطول يا بني... دي... شمس... مش شايف

عينها بطلع نار إزاي؟؟

تمسكت بحقيبتها بحركة دفاعية:

. لو سمحتوا... عاوزة أعدي...

. ببساطة كدة... من غير رسوم مرور... ولا... لا إيه يا حسن ما تفكرني

. ولا نقطة... اه هي نقطة

. نقطة إيه يا أهبل شايفها رقاصة قدامك؟؟

زاغت عيناها عليهما لا تصدق المأزق الذي أوقعت نفسها فيه، عندما بدأ أحدهما

بجذب حقيبتها:

. هاتي الشنطة دي، وريني فيها إيه

احتدت عيناها وهي تقاومه:

. سيب شنطتي...

. فيه حاجة يا رجالة..

شهقت برعب عندما اقتحم المشاجرة صوت تعرفه جيداً... ازدرد الرجلان لعابهما

وهما يتطلعان لرأفت الذي مد يده وأمسك بالحقيبة موضوع الخلاف، واعطاها لها

بدون أن ينظر نحوها:

. في حاجة تانية...

هز أحد الرجلان رأسه بخوف متراجعاً بينما السخر ما يزال تراوده بعض شذرات  
الشجاعة

. الحنة دي تلزمني ..

نظر رأفت للسماء واستغفر بهدوء... ثم تطلع للرجل بثبات:

. ودلوقتي.. تلزمني أنا... عندك اعتراض

. أنا...

لكزه زميله ليتطلع للرجال الذين وقفوا خلفه كل واحد ممسكاً بقطعة مختلفة من أجزاء  
السيارات... فتراجعا باعتذار...

انتظر حتى غابا تماماً عن الأنظار، نظر خلفه وحيا رجاله:

. متشكرين قوي يا رجالة نجاملكم في الأفراح

. خيرك سابق يا أسطى

التفت لها أخيراً:

. لسة عاوزة حاجة تانية؟؟ متهيا لي كفاية وتروحي بيتك.

هم بالذهاب عندما أوقفته:

. انت كنت عارف..

تصلب لحظات ثم التفت بنصف التفاتة:

. أيوة... هتسأليني مكشفتكيش ليه؟؟؟ كان عندي أمل تلاقي اللي انتي عاوزاه، أو  
تواجهيني...

. رأفت...

. أعتقد أنني أخذتني بالك أن المكان هنا مش مناسب لواحدة زيك

بنبرة اتهام هتفت:

. بس مناسب ليك يا... أسطى؟؟

التفت بالتفاته كاملة:

. إيه... مش عاجبك أن جوزك ميكانيكي يا... دكتورة

استدارت بانفعال:

. هستناك في البيت... يا ريت متأخرش.

راقبها بنظرة حائرة.. ثم أشار لدقدق الذي هرول له بسرعة:

. شايف الهانم دي..

غمز دقدق بشقاوة:

. دي المزة يا أسطى

ظربه رأفت على رأسه بخفة:

. لأ يا ناصح... دي المدام

. ولا مؤاخذه يا أسطى

. خليك وراها لحد ما توصل البيت، لحد يضايقها كدة ولا كدة

. برقتي يا عم الأسطوات

. طب يا لمض ورينا همتك... بس أوعى تلمحك

. عيب..دنا ددق المددق..

تنهد بعد انطلاق ددق:

. لما نشوف آخرتك معايا إيه يا دكتور.

\*\*\*\*\*

. يعني إيه يا بابا...مش فاهم..

. هو انا بتكلم باللاوندي يا بن سلامة...الكلام دا كان المفروض يحصل من زمان،

تاخذ مراتك تختار بنفسها العفش

تنهد مهاب بصعوبة:

. يا بابا الكلام دا متأخر قوي...حضرتك أدتني مهلة شهر واحد...عدى منه ثلاث

أسابيع...يعني أكيد أنا عملت كل دا

. وإزاي تعمله من غير شورة مراتك، هي مش هتعيش فيه زيك، وأكثر منك كمان،

ولازم يكون على ذوقها...ولا هي مش بنت زي باقي البنات وليها حق تفرح...

. حضرتك عاوزني أعمل إيه دلوقت؟؟

. تاخدها معاك الليلة، إذا كان فاتها تختار، على الأقل تشوف حضرتك اخترت

إيه..ولو حاجة مش عاجباها تغيروها فوراً وبدون نقاش...أظن واضح

. أيوة يا حاج... واضح جداً... عن إذتك

. على فين العزم؟؟

. هروح آخذ الهانم علشان نلحق نرجع قبل الدنيا ما تمسي.

. خليك لطيف معاها، بلاش الدب اللي بتدبه ده؟؟

. تحب حضرتك أشيلها بين دراعاتي وأطير بيها على حصاني الأبيض

. لا... مش لازم.. مرة ثانية

خرج مهاب يرغي ويزبد بينما جلست سعاد جواره:

. نفسي أعرف أنت عاوز توصل لإيه يا سلامة

. كل خير إن شاء الله... أصل الواد ابنك ده مش هيسلم بسهولة.. لازم نحطه على

القضبان.

. وشكران في ال....

. القطر يا سعاد...

وقهقهه بمكر بينما عقدت سعاد حاجبيها بدون فهم.

\*\*\*\*\*

طرقات عنيفة كادة تخلع الباب الخشبي القديم من مفاصلته العملاقة... ركضت لتفتح

عاقدة العزم على تلقين ذلك الطارق درساً لن ينساه... فوجئت به يهم بالضرب

مجدداً... ابتلعت المفاجأة ووقفت متصدرة عاقدة ذراعيها على صدرها:

. خير... أنت مشوفتش أبوب قبل كدة ما صدقت لقيت واحد قاعد تضرب فيه زي ما  
يكون قتل لك قتييل

. حضرتك بتهزري

. شايفني بضحك قدامك، جرى إيه يا دكتور هو مش فيه أصول للخبط على الأبواب.

زفر بقوة وهو يجيل النظر في ملابسها:

. حضرتك بتديني محاضرة ولسة ملبتسيش

تأملت جلبابها الفلاحي المزركش من الأطراف، ثم رفعت عسناها لتصدم بنظرة القرف  
في عينيه، لتجد نفسها تهتف بدون تفكير

. لأ... ما هو دا لبسي... أنا مش بخرج إلا بالهدوم دي... واسعة وبرحة وحشمة، ولا  
أنت مش بتحب الحشمة.

هدر بكلمات لم تعبر حقيقة عن شعوره بالصدمة وهو يشير لملابسها بإصبعه:

. لأ... مش هتخرجي معايا باللبس دا...

هزت أكتافها بتهيدة:

. زي ما أنت عاوز... هكلم أبويا الحاج سلامة وأقوله أنك مش عاجبك هدومي.

ضاقت عيناه متخيلاً ردة فعل والده، قبض بقوة على أصابعه متمتماً:

. اتفضلي انجري قدامي...

هتفت بانتصار:

. هقول لأمي.. لحظة واحدة...

دخلت على أمها:

. ماما... مهاب جه علشان ياخدني أتفرج على العفش

. طيب يا ضنايا خليه يتفضل على ما تغيري هدومك

. أغيرها ليه... ما هي حلوة..

اتسعت عينا أزهار بعدم تصديق:

. كلام إيه اللي بتجوليه دا يا بت... بلاش مياعة وروحي غيري هدومك

. يا ماما هو انا خارجة مع حد غريب... دا جوزي... يعني زيتنا في دقيقنا... سلام بقي

أصله متزرزر على الآخر...

راقبت ابنتها حتى غادرت ثم ضربت على صدرها:

. يا لهوي بالي... بت المجنونة عملتها وخرجت مع الداكتور بجلبية القرن... يا ترى

بتفكري في إيه يا بت بطني.

بالكاد ألقى عليها نظرة عابرة قبل أن ينطلق بسيارته وهو يشحذ أفكاره بالطريقة التي

سيدار بها عن معارفه... ثم فكر بخطة جهنميه... سيركن السيارة في المرآب

ويأخذها من السلم الداخلي الذي لا يستخدم إلا للبوابين والخدم، بهذه الطريقة

سيقلل عدد من يرونها، وربما يحالفه حظه ويظنوها الخادمة.

كأنها تقرأ أفكاره، فكرة تلو الأخرى، بالكاد منعت نفسها من القهقهة بصوت عالي،

لن تنكر أشفقت عليه في وقت من الأوقات، ولكنها تتراجع فوراً عندما تداهما نظرتة

المحتقرة لملابسها، والآن هي مستمتعة بمراقبة حيرته وهلعه... وازداد استمتاعها  
عندما رأته يدخل السيارة للمرآب.

نزل وطلب منها بصف النزول:

. يالا خلينا نخلص قبل ما الوقت يتأخر

ترجلت من السيارة وتركته يقودها عبر الدرج الخلفي عندما أوقفه صوت جعوري:

. استسى عندك انت وهي... داخلين كدة زي ما تكون وكالة من غير بواب..هي سابت

ولا كانت سابت... ولا يمكن سابت

زمجر بحنق:

. خلاص بقى يا عبد التواب أنت ما صدقت

. مين... سعاة الداكتور... ولا مؤاخذة يا دكتور العتب على النظر... مش من عوايدك

تدخل العربية لحد جوة... حوصل حاجة

زفر بزهق:

. محصلش... ومش لازم أقدم لحضرتك تقرير عن تصرفاتي... جرى إيه يا عبده

. العفو يا بيه... هي العين تعلى عن الحاجب... لهو انت مجولتش أنك عاوز خدامة

ليه... صافيناز بنتي موجودة وكانت هتخلي لك الشوجة زي الفل

شحب وجهه وهو يختلس النظرات لشكران التي أعفته من الحرج لتضعه في موقف

أكثر إحراجاً:

. لا يا عم عبد التواب... أنا مش خدامة... أنا أبقي مرات الداكتور.

وتركت كليهما فاغر الفاه وسبقته على الدرج.

.....\*\*\*\*\*.....

وقف ياسر يستجوب السكرتيرة بانفعال وأعصاب على وشك فقد السيطرة:

. يعني إيه متعرفيش راحوا فين...أمال أنتي وظيفة حضرتك إيه

. والله يا ياسر بيه أنا نفسي مش فاهمة أي حاجة...ليث بيه دخل مش طابق أي حد،  
وطلب مني ألغي كل اجتماعاته النهاردة، وأي حد يطلبه أقوله مش موجود، بس أول ما  
الباشمهندسة طلبت تدخل وافق على طول، خمس دقائق ولقيته خارج وهي في  
حصنه..

ردد ياسر بعينين جاحظتين وعلى وشك الخروج:

. حصنه

. أيوة والله يا فندم دا اللي حصل قدامي، وقالي اللي يسأل عليا قولي له معرفش هو  
فين، وأخدها وخرج، يظهر والله أعلم...وربنا حلیم ستار...أن  
بينهم...علاقة...أستغفر الله العظيم...

ضرب ياسر على المكتب بكلتا يديه:

. اخرسى خالص، لو كلمة واحدة من اللي بتقولها دي طلعت برة، أنا مش هطردك من  
الشركة...أنا هقطع خبرك من الدنيا كلها...أنتي فاهمة.

أومات بنظرات هلع:

. أيوة...والله فاهمة...مش هقول لحد أبداً.

اعتدل وخرج يضرب بقبضته كل ما يقابله، لعل مراجله المحترقة تبردها قبضتاه  
الداميتان.

تألفت عيناه عندما ارتفع رنين تليفونه ليجد اسم ليث يتصدر الشاشة، بكل غل أغلق  
الهاتف مستمتعاً بتخيل وجه ليث الحائق الآن.

. ماشي يا ليث... أما وريتك...

.....\*\*\*\*\*.....

تهدلت ذراعه بإحباط عندما سمع المجيب الآلى لمرات نسي عددها يجيبه بنفس  
الإجابة.. "الهاتف قد يكون مغلقاً أو غير متاح"

ضرب بقبضته على الحائط حتى سمع صوتها من خلفه:

. إيه... مش بيرد؟؟

. التليفون غير متاح... خرينا في المهم... بنتك عاملة إيه؟؟

. الحمد لله... غرزتين على الحاجب والدكتور كتب لها مضاد حيوي... وهنخرج حالاً

أنا تعبتك قوي معانا النهاردة يا ليث بيه...

. لا أبداً... بس أنا فوجئت أنك عندك بنت... يا ترى ياسر يعرف؟؟

شهقت بخوف:

. ياسر...؟؟ هو أنت تعرف؟؟

. أيوة هو حكالي... بس مجبش سيرة أن له بنت...؟؟

تبرمت مشيحة بوجهها بعيداً:

. لو عاوز يعرف أي حاجة عني كان عرفها...بس هو فضل يتخلص مني في أول فرصة بعد ما اتصالح مع أهله، وأنا خلصت فترة صلاحيتي مع حضرته...صدقني يا ليث بيه...أول حاجة عملتها اني اتصلت بيه أول ما رجعت وكنت ناوية أقوله...فوجئت أنه عاوز يشحني على أول طيارة راجعة أمريكا...حاولت معاه بكل الطرق، مكانش عاوز يسمع ألا نفسه وبس.

بابتسامه باهتة:

. فقررتي أنك تحرميه من أنه يعرف

. لأ...أنا مش زي مدام ريتاج...أنا أديت لياسر أكثر من فرصة أنه يراجع نفسه بس لو هو مش عاوزني، كمان بنتي مش عاوزة أب زيه...عن إذنك بنتي بتنادي، حضرتك ممكن تروح أنا هاخذ تاكسي.

. ميسم...مش هسيبك ألا في بيتك...أنتم أمانة في رقبتني لحد ما ياسر يعرف قيمة العيلة اللي مش حاسس بيها  
أومأت شاكرة بصمت.

\*\*\*\*\*

## الفصل الحادي عشر

.....

. قالوا لي أنك سألتني عني؟؟ أوعي أكون وحشتك... ومصيبة لو وقعتي في غرامي، لو حصل يبقى لازم نتجاوز فوراً وأمرك لله.

وبدون أن تشعر وجدت الابتسامة طريقها لشفيتها

. أيوة كدة اضحكي، محدش واخذ منها حاجة، أفهم من كدة أبعث أجيب المأذون؟؟

فجأة مسحت ابتسامتها الوجيزة اعتمام تام لنظراتها:

. لأ.. لأ بلاش كدة انا ما صدقت... أنا آسف بلاش مأذون خليها عرفي.

سعلت عندما تجاوزت طاقتها قدرتها على الضحك... أمسك الدكتور أدهم يدها المعلق فيها أنبوب سائل التغذية. قائلاً:

. أنا طبيب مهنتي أداوي الجراح، وأجبر القلوب المكسورة حتى لو الزمن جه عليها وراح، هتفضل روح النبي بتصرخ جواه، لحد ما الكون كله يركع للعدل اللي عمره ما راح.

. حضرتك شاعر كمان

. لما بكون مزنوق قوي ربنا بيفرجها عليا بكلمتين

. مش عارفة أشكر حضرتك إزاي...

. شكرا بتاعتي مش بسمعها بوداني، بشوفها بعيني، لما أشوفك بتمشي على رجلكي

زي القردة هتكوني شكرتيني بجد.

. أنا خلاص يا دكتور انتهيت... مش فاكرة إسمي ولا شكلي... ولا أي حاجة.

. محدش بينتهي أجله وهو بيتنفس... صدقيني لسة فيكي عمر... أقولك على حكاية  
أغلب من الغلب، لو ع هتعرفي أن أي مشكلة أنتي واقعة فيها ولا حاجة... أنا كنت  
عند مريض النهاردة... وسبحان الله المريض دا وقع لي من السما، يعني لا هو طلبني  
ولا أنا أعرفه، وعرفت حكايته اللي خلتني أبكي على حاله.

. أنت بكيت يا دكتور؟؟

. أه.. مش مصدقة... لو كنت أعرف أنك مش هتصدقيني كنت أخذت صورة سيلفي

. أنت بتهرج

تنهد بثقل:

. إلا في حالة المريض دا... بجد الله يكون بعونه، وعلشان يشفى من مرضه قدامه  
مشوار طويل قوي، لازم يلاقي كل اللي عذبهم معاه ويطلب منهم السماح، وإلا عمره  
ما هيلقي راحة البال.

. شوقتني قوي يا دكتور...

. حيث كدة بقي، هطلب واحد كباب وكفتة ليا وليكي هطلب شروبة فراخ مسلوقة  
بدون ملح ونقعد نحكي.

تجهمت بغیظ:

. أنت بتهرج

. لأ... بتكلم جد.. قولي لي عاملة إيه مع دكتور عماد؟

. متهيال لي هيشوف له شغلانة تانية بعد ما زهق مني...

. أعوذ بالله ليه كدة بس الرجل لسة داخل دنيا أنتي شرك باتع بقى

ضحكت مرة أخرى حتى هتفت:

. كفاية مش قادرة أضحك وشي بيوجعني... هو الرباط دا هيتفك إمتي؟

. عن قريب أن شاء الله بس شدي حيلك مع الدكتور عماد.

. مش عارفة حاجة من جوايا بتقولي أني خليني كدة أحسن

. مش عاوزة تعرفي أنتي مين؟؟

. ساعات هتجنن وعاوزة أعرف... وساعات بخاف أعرف أرجع أندم وأقول يا ريتني

فضلت زي ما أنا.

. ياااه دي فلسفة عميقة قوي... "لو علمتم الغيب لاخترتم الواقع"

\*\*\*\*\*

أجفلت من قوة ارتداد الباب الذي صفقه خلفه بكل غل يحرق أمعاءه، ثم استدارت

ترسم ابتسامة بلهاء:

. شقتك حلوة قوي... ممكن أشوف الباقي...

وبدون أن تنتظر رده أسرع من أمامه قبل أن يفرغ فيها مراجله المغلية، دارت في

الغرف بانبهار اعترفت به بخجل، فقد كانت تنوي تغيير كل الأثاث فعلاً مهما كلفه،

ولكن الذوق العالي في اختيار كل قطعة كان من الصعب أن تأتي بمثله على

ذوقها استدارت حيث كان يلحق بها صامتاً:

. العفش حلو بجد

أجابها بازدراء:

. يعني مكانش فيه داعي لكل الفيلم اللي عملتيه مع بابا

. أنا عملت فيلم، محصلش، هو بعت وسألني...مهيا أأء رأيك في العفش، قلت له

لأ...بس أء كل الحكاية...

. يعني مكانش ينفع تكذبي

. وليه...أنا مش فاهمة...ماهو لو كنت رستني على الدور من الأول...مكنتش سيحت

لك عند الحاج..

ردد كلمتها باحتقار:

. إيه سيحت لك واللهجة البلدي اللي بتكلمي بيها دي...فاكرة نفسك في سوق

الخضار.

أمسكت بطرف جلبابها لتزيد من ضغطه وأرجحته بدلال:

. ولامؤاخذة يا سيدي البيه

احتقنت الدماء في عروقه فلوح مهدداً:

. شكران....

انحت أمامه مقلدة فم البطة المزموم وكأنها تلتقط صورة سيلفي، ورفرت برموشها:

. يا عيون شكران..

ارتبك محاولاً لملمة حطام سد آخر على وشك الانهيار...تصلبت ملامحه واتسعت  
عيناه القاتمتان:

. مش الشقة عجبك...اتفضلي أرجعك البيت..

. على طول كدة، مش تعزم عليا بحاجة ساقعة، ولا سخنة...أو حتى غدا...أنا معنديش  
مانع، ولو مكسوف تخرج مع خدامتك قدام الناس، ممكن تبعت تجيب  
ديلفري...هات لي بيتزا بالجينة، وبيتزا بالأنشوجة، وعصير برتقال و.... كفاية كدة  
أحسن الميزانية تخرم...

تجاوزته متجاهلة ذهوله وكلمات الرفض التي ظلت محشورة في حلقه وعندما خرجت  
أخيراً للسانه وجد نفسه يحدث الحائط بعد أن انتقلت شكران للغرفة التالية، لحق بها  
ثم وقف مصدوماً وهي تقف أمام مرآة غرفة النوم الرئيسية وقد بدأت بخلع حجابها  
لتطلق سراح جدائلها الذهبية من محبسها...ازدرد لعابه بصعوبة وهي تهز رأسها لتتحل  
عقدة شعرها كما يحدث في إعلانات الشامبو في التلفزيون.

اهتزت شفتيه المصرتان على منع انهيار السد...ثم قفل خارجاً يتصل بخدمة الديلفري  
يطلب لها بيتزا و...عصير برتقال.

.....

وقفت تأفف وقد طال انتظارها لتاكسي وسط الزحام، رغم الطقس المعتدل ولكن  
الزحام والغبار المتطاير ممزوجاً بدخان عوادم السيارات، كاد أن يقضي على رتيها  
وهما تحاولان تنقيه الهواء بلا جدوى...توقفت أمامها سيارة سبور، أطل الدكتور  
سليم من النافذة المجاورة للسائق:

. دكتورة سلمى... اتفضلي أوصلك..

تجاوزت المفاجأة الصادمة، وكات تقبل بسرور عندما تجهمت ملامحها فجأة وذاكرتها  
تسعفها بمشاهد الصباح:

. شكراً يا دكتور... مش بركب مع حد غريب

ابتسم وعيناه تدوران بين الوجوه المرهقة حولها وكأن كل واحد منهم في انتظار أن  
يشير له بإصبعه فقط ليرحمه من عذاب الوقوف:

. دكتورة سلمى... أحنا أكبر من كدة... اسمحي لي بس أطلعك برة على الكورنيش  
هتلاقي مواصلات أسهل، والجو هيكون أفضل كمان لو حبيتي تمارسي هوايتك في  
الوقوف..

فكرت لحظات... ولدهشتها شجعته الإيماءات من الواقفين بجوارها... استسلمت  
بتذمر وهي تفتح الباب لتجلس بجواره.

تنشقت هواء التكييف البارد بانتعاش لتدرك كم كان الجو خانقاً فعلاً... تذكرت شيئاً  
هاماً فالتفتت له بانفعال:

. أوعى تفكر علشان وصلتني أبقى خلاص..

حدجها بنظرة خاطفة متسلية ثم أعاد انتباهه للطريق ضاحكاً:

. يعني إيه خلاص... هو أحنا لسة بدأنا علشان نبقى خلاص

. قصدك إيه يا دكتور... إوعى تكون عاوز تسألني عن الدكتورة رقية تاني... أنا مع...

. لأ... مش هسألك عن الدكتورة رقية... ارتحتي...

تهللت أساريها ثم سارعت بتقطيعة عاجلة كي لا يفهمها بشكل خاطيء:

. يعني أيه ارتحت يدي... وأنا هرتاح ولا هتعب ليه؟؟ أنت بتقول حاجات غريبة قوي يا دكتور.

. على فكرة... دمك زي العسل.. خصوصاً وأنتي بتحاولي تتفرزي ومش عارفة

غلبتها ابتسامتها هذه المرة فلم تستطيع التقطية المفتعلة من الانتصار عليها، فقهبه  
سليم:

. أيوة كدة فكيبها... قولي بقى عنوانك فين..

. التجمع الخامس

ضحك مرة أخرى:

. لأ بجد...

أكدت له باستغراب:

. التجمع الخامس

. يا بنتي أنا مش جاي أخطبك، مش دلوقتي على الأقل... يعني عادي... ممكن تقولي

الحقيقة... بولاق... امبابة... شبرا

عقدت ذراعيها بعناد بإصرار:

. التجمع الخامس فيلا المستشار يحي ذو الفقار جنب كايرو فيستيفال سيتي.

ارتفع حاجباه:

. سييتي ..

أومأت بتأكيد:

. لأ...سييتي أنا...

النزم كلامهما الصمت والسيارة تتخذ طريقها للدائري حتى توقفت أخيراً أمام فيلا  
المستشار يحيى ذو الفقار.. أمسكت بمقبض الباب تشكره بكلمات مغممة فأمسك  
يدها لتشبهق متطلعة لوجهه:

. أنا آسف..

. سيب إيدي...

ترك يدها بدون اعتذار هذه المرة:

. بتعتذر عن إيه؟؟

. عن موضوع امباية وبولاق...

. لا..عادي...

. يا ترى سيادة المستشار يقبل يعزمني على فنجان قهوة بمناسبة أني وصلتك وأنقذتك  
من الزحمة..

تركت مقبض الباب وأشارت للأمام:

. أطلع على مقابر المدينة

ردد باستغراب:

. مقابر...ليه؟؟

. مش قلت عاوز تسأل بابا...

غمغم محرجاً:

. هو...

. أيوة...ميت...وأنا عايشة مع تيتا لوحدنا

. آسف مرة ثانية..

. ليه...أنت مكنتش تعرف...

. بقالنا سنين مع بعض وأول مرة أعرف عنك كل دا في يوم واحد...أنتي غريبة

قوي...على قد ما أنتي بسيطة وضحكتك قريبة، وصاحبة صاحبك...

. ليه هم بنات شبرا وامبابة بس هم اللي فرفوشين، وبنات التجمع...

أوماً موافقاً:

. هكذا جرت العادة...بس من النهاردة هتعود أشوف الناس بنضارة مختلفة...مممكن

تيتا توافق تعزمني على فنجان قهوة.

أجابته بترفع وهي تفتح الباب:

. الأسبوع الجاي زيد لوقتي هرد عليك

. ليه إن شاء الله

. تيتا بتحب تدرس كل طلب بتأني..مع السلامة يا دكتور وشكراً على التوصيلة.

.....  
. السلامو عليكم يا تيتا ..

وركضت نحو جدتها تلقي بنفسها بين ذراعيها تقبلها من وجنتيها الشاحبتان تشتم  
عبيرها الممزوج بخلطات المسك والريحان التي تعدها بنفسها:

. أسعد الله مساؤك بنت شقية.

. ليه بس يا تيتا

ضربت جدتها العجوز بعصاها في الأرض:

. سوس بنت عاوز ياكل حلاوة بعقل حضرتنا...

. طب يا ريت... هو فيه أحلى ولا أجمل ولا ألد من كدة

. سلمى..

. نعم يا تيتا

. أسمها آنا... موش تيتا زي بنات شوارع... ثانياً.. مين كان يوصل حضرتكم بعرييات

ألوانات فاقعات

. دا الدكتور سليم يا تيه... آنا...

. دكتور سليم... أممم... مش دا دكتور حبو رقية .

. أنتي مش بتنسي أبداً... أيوة هو... بس رقية اتجوزت..

. وأنت مالك رقية اتجوز هو يوصل أنت..

. مش يمكن الصنارة تغمز يا أنتي..

ضربت بعصاها الأرض مرة أخرى:

. سوس... صنارات يوك... غمزات.. يوك يوك... جوازات من سليم يوووووك

ياحباط:

. ليس بس يا آنا... وهو أنتي شوفتية جاي يخطبني

. هو مش يخطبك بس أنتي فتحتي الشراع يا لئيم

. الشراع دي أيام التراسينة بتاعتكم يا آنا... دلوقت...

رمقتها من أسفل إطارات نظاراتها الذهبية:

. دلوقتي في حاجات تانية... في توصيلات بأتومبيلات .

. هو دا السبب اللي خلاني مدخلوش الفيلا... لو سمح حكاية أتومبيلات دي

هيفتكروني خاطفاكي من فيلم ليلي مراد.

. معناتو إيه الكلام دا؟؟

. معناتو يا أنتي يا حبيبي... لو ربنا فرجها معايا وسليك جه يخطبني أنا هوافق.

. وأنا هيرفض

. هيرفض ليه بقى

. علشان حضراتكم مخطوب لعثمان بيه...

رفعت سلمى عيناها للسقف تتمم بكلمات مبهمة فهتفت أنا:

. أنت بتدعي بتقولي إيه بنت؟

. بدعي ربنا ياخدي جنب ماما وبابا

تجهمت ملامح جدتها العجوز وترقرقت عيناها بالدموع:

. رحمات الله على أرواحهم، وبشيش طوبات تحت راس حضراتهم... بس ليه كدة

سلمى حبيبي؟

. مش أحسن ما بنتهم تتبهدل من بعدهم وتتجوز واحد مشافتوش في حياتها إلا في

الصور.

. عثمان منتظر إشارة من حضرتنا يجي فوراً يقرأ فاتحة ويعقد قران

. وليه يا تيتا... ما تخليه في تركيا عايش ومبسوط يمكن يتعرف على بت شعرها أصفر

وعيونها ملونة، مش بدل ما تورطيه في واحدة زبي، بعدين يدعي عليك.

. أنت جميل يا سلمى بس مش عارف قيمة نفسك... أنا هكلم عثمان بيه وأقوله

يحضر فوراً.

نظرت سلمى لنفسها وهي تشير بيديها ساخرة:

. صحيح القرد في عين أمه غزال، يا تيتا صلي على اللي هيشفع فيكي

. أنت بتقول إيه بنت عبيط... قيمة الإنسان في معدنه وأصله، مش شكله

أوقفته سلمى بحدة:

. عندك... أمسكي الكلمة دي... عثمان بقى هيشوف شكلي الأول ولا معدني؟ هو

راجل وطبيعي يشوف الشكل الأول وما أظنش أنه هيعجب بكل الحاجات دي؟

الصنارة عمرها ما هتغمز كدة... أنا طالعة أوضتي وأنتي فكري كويس في كلامي هتلاقيه  
صح وبلاش تخرجي نفسك وتخرجيني معاكي.

شيعتها الجدة بنظرات زاغرة متممة:

. بنات آخر زمن... قال صنارة يغمز قال...

\*\*\*\*\*

. يا بنتي افتحي الباب صوتي انبح، بس ل أعرف إيه اللي قلب حالك بالشكل دا...يا

بنتي ردي عليا، طب ردي على ابنك مفطور من العياط يا حبة عيني وعاوز يطمن  
عليكي...يا ترى أنت فين يا ياسر... خلاص يا سيف يا حبيبي... بطل عياط وماما  
هتفتح الباب دلوقت لما تصحى... الباب بيخبط.. أكيد خالك وصل تعالى نفتح له  
الباب وهو هيشوف له صرفة مع أمك دي اللي مش عاوزة تجيبها البر...

كانت تحمل سيف على ذراعها وتفتح الباب بملامح محبطة على استعداد لإفراغ  
شكواها لابنها عندما وقفت متجمدة أمام مقتحم خلوتهم:

. إيه يا طنط... مش هتقولي لي اتفضل؟؟

هلل سيف بفرح رافعاً ذراعيه لوالده:

. بابا... حبيبي وحشتيني قوي..

حمل ابنه بملامح أقل قسوة وإن لم تخل من العتاب الذي وجهه لحماته:

. وأنت كمان وحشتيني قوي قوي يا حبيبي... أخبارك إيه يا بطل

. زهقان وعاوز أرجع الفيلا لنا..

. كدة يا سيف يا حبيبي.. بابا يقول عليا إيه دلوقت... كنت بعذبك

. لا يا تيتا مش تزعلي مني... أنا بحبك كتير قوي...

. ممكن أدخل يا طنط ولا هفضل على الباب كدة.

. يوه.. يادي العيبة يا بني اتفضل طبعاً بيتك ومطرحك... إلا هو ياسر قالك على

مكانا..

تنهد جالساً على أحد المقاعد:

. لا يا طنط... ياسر مكانش بيرد على تليفوناتي... بس أنا عرفت مكانكم بطريقتي.

. والله يا ليث أنا مكنتش موافقة أبداً على اللي بيعملوه دا... وربنا شاهد... بس أعمل

إيه في نشفان دماغ ريتاج.

كز على أسنانه بحنق:

. والله أنا اللي مش عارف أعمل إيه... للمرة الثانية عاوزه تحرمني من أولادي، ليه... أنا

عملت إيه أستحق كل دا... حد يفهمني ويقولني...

خرجت كالإعصار الغاضب عيناها المحمرتان تقدحان شرراً:

. وعاوز تفهم إيه يا سيف بيه... أنت إيه اللي جابك هنا أصلاً... هو أنت مش بتفهم

ولا فهمك ثقيل... واحدة سابت لك البيت باللي فيه ومش عاوزه تشوف وشك، ومش

عاوزه تعرفك هي فين... دا معناه إيه..

وقف متصلباً بملامح تجتر الهدوء بصعوبة:

. معناه إيه يا ريتاج هانم

اقتربت حتى وقفت أمامه:

. معناه أني زهقت منك ومن عيشتك ومش عاوزة أشوفك ولا أعرفك...

رفع أحد حاجبيه باستهزاء:

. بس كدة؟؟

ازداد انفلات أعصابها وهي تهدر لاهثة:

. لأ..مش بس كدة...أنا عاوزة أطلق يا ليث بيه.

بينما الجمود هو اللغة الوحيدة بينهم ارتفع صراخ وجيدة وهي تضرب على صدرها:

. يا مصيبيتي...هي حصلت..

تجاوز ليث الموقف بهدوء يحسد عليه، وضع يديه في جيب بنطاله قائلاً بترفع:

. وماله...ومش هسألك عن السبب...اللي يعني مش هشتريه يا ريتاج...

زفرت بسخرية:

. طبعاً وهو أنت هتشتري مين ولا مين؟؟

تجاهل هذرها وأردف:

. بس أنا عندي شرط واحد...مش هطلقك إلا بعد الولادة...ودا شرع ربنا....ولحد ما

يحصل مش هتغادري بيتي أبداً لا أنتي ولا أولادي.

. أنا مش هتحرك من هنا خطوة واحدة.

. وأنا مش هكرر غلطتي تاني... يا أما تيجي معايا برغبتك.. أو غصب عنك.. أنما أبني  
أو بنتي مش هيطلعوا للدنيا وأنا بعيد عنهم تاني... مش هيحصل يا ريتاج.

. وهتعامل إيه بقى يا سيف بيه... هتجرجرنى من شعري...

. استهدي بالله يا ليث يا بني... كل حاجة بالخناق إلا التراضي بين الزوجين لازم يكون  
بالاتفاق.

. أنا آسف يا طنط... بس ريتاج مخلتش قدامي حل تاني.

توترت ريتاج وهي تتظاهر بالشجاعة:

. قصدك إيه؟

هتعرفي حالا.. وقف اتجه للباب فتحه ليظهر رجلاً بحجم الباب طولاً وعرضاً، أشار  
لسيف قائلاً:

. خد الولد واستناني في العربية

أممسكت ريتاج بابنها صارخة:

. مين دا اللي هياخد سيف... أنت اتجننت؟

. بالعكس أنا عقلت...

هتفت وجدان:

. الله يخليك يا ليث يا بني... استهدي بالله، طب استنى لما ياسر يرجع واتفاهموا مع

بعض

. لو كان ياسر عاوز التفاهم كانت كلمني... المرة دي اللي عاوز يتفاهم هو عارف هيلاقيني فين أنا مش هجري ورا حد تاني علشان خاطر أولادي.

صرخت مرة أخرى وهي تتمسك بسيف الذي بدأ في البكاء:

. مش هتاخذ سيف مني... مش هتقدر يا ليث.

انتزع الولد منها بقسوة دون أن يبالي بسقوطها ومشاهدتها له وهو يدفع الطفل الصارخ للرجل، حاولت الركض للحاق به بهستيرية فأوقفها:

. ومين قالك أني هاخذ سيف منك؟؟ أنتي كمان هتيجي معانا.

هزت رأسها بالرفض:

. أنا مش عاوزاك... مش عاوزاك...

أمسك بذراعها يلويه خلف ظهرها أمام توسلام أمها الباكية وهمس بجوار أذنها:

. لو مكنتيش حامل كنت عرفت أربيكي كويس يا هانم...

انتفضت تحاول فك قيدها منه فشدد من قيده:

. بلاش تختبريني... أنا جبت آخري، ولو اضطريت أربطك في السرير الست شهر

الجايين هعملها يا ريتاج.

ثم التفت لوجدان الباكية:

. بلغني ياسر بيه أني عمري ما هبقى زيه أبداً وأسيب عيلتي تتدمر وأنا وقف بتفرج عليها.

حملها بين ذراعيه تحرك ذراعيها وقدميها في الهواء صارخة باعتراض، حتى أمها لم  
تستطع منعه وهو يغادر بها لسيارته المتوقفة أمام باب الفيلا...ركعت أمام العتبة تشيع  
السيارات بعينيها وصرخات سيف وريتاغ لا تبارح أذنيها حتى بعد اختفائهم تماماً...  
أوقف ياسر السيارة أمام الفيلا ليصدم بالهدوء الرهيب، دقق النظر في الظلام ليجد أمه  
مفترشة الأرض أمام البابتحديق في الفراغ بذهول بعد أن جفت دموعها...هرع إليها  
يتلقفها من الأرض متلفتاً حوله:

. فيه إيه يا ماما...إيه اللي حصل...وفين الحرس اللي على الباب

حدقت في بملامح ذاهلة:

. أختك يا ياسر...أختك يا حبيبي

. إيه اللي حصل...أتكلمي يا أمي أرجوكي....جمال وصلها

. لأ....ليث عرف مكانا وجه أخذها هي وسيف غصب عنهم...أختك كانت بتصرخ يا  
بني وأنا مقدرتش أمنعه..

شدد على احتضان أمه بعينين كالفولاذ المتوهج:

. أهدي يا أمي...مهما كان اللي حصل هي عند جوزها، وبشرفي ما هعديها وهدفه  
التمن غالي ليث ابن عبد الجواد.

## الفصل الثاني عشر

.....

ضربت على بطنها الممتلئة:

. الحمد لله... نعمة وفضل من الله... من زمان ما أكلت بنفس زي النهاردة... متشكرين

على الغديوة الحلوة دي... أنت خلصت أقوم أنضف المكان قبل ما نمشي.

مط شفته السفلى:

. نمشي نروح فين؟؟

. أروح بيتنا... إيه يا دكتور البيتزا كبست على مراوحك ولا إيه...

هتف بنظرات متلعة:

. يمكن... ويمكن بفكر نبات

تهدجت أنفاسها وهي تلمح الجدية في حديثه:

. كلام إيه دا يا دكتور

. كلام العقل... مش أحنا كدة كدة متجوزين؟؟

. إيوة... بس مدخلناش

ازداد رعبها وهو يחדش حياها بنظراته على صدر جلابها المفتوح:

. وماله... ما ندخل...

وقفت بارتباك:

. جرى إيه يا مهاب هو أنت دماغك بتخف من البيتزا... كنت قول كنت جبت لك  
زلعة مش من عندنا، كانت فوقتك على الآخر

. أنتي فاكراني بخرف ولا إيه... لا يا شوشو أنا بتكلم جد..

حدجته بنظرات حانقة ثم تجاوزته قائلة بهدوء:

. هروح ألبس حجابي، تكون نضفت المكان... أنا لسة مبقتش ست البيت علشان  
أ....

قاطع جملتها صرخة مدوية عندما اقتنص معصمها وهي تمر جواره ليلقيها على حجره  
وسيطر على احتجاجاتها بتكتيف ذراعيها بينما ظل شعرها يتخبط في وجهه، كتم  
أنفاسه كي لا تخدره رائحة الليمون المنعشة الفواحة منه وقرب وجهها من وجهه وعيناه  
تلثمان شفيتها الثائرتان:

. إيه... خايغة...؟؟

ازدردت لعابها بصعوبة:

. وأنا هخاف من إيه... هو أنت بتخوف؟

. دلوقتي... أه... المفروض تخافي...

ثم قام بالفعل الذي راوده طوال اليوم، قفط شفيتها الداميتين بحمرة فطرية، دفعته  
بيديها فشد وثاقها ليزيد من ضمها ويتعمق في قلبتها، ولم يبعدها إلا طلباً للهواء،  
تبادلا التحديق اللاهث، رفعت أحد حاجبيها تحاول دفع صدره عن الالتصاق بها:

. خلصت لعب..

. لأ...ممكن نكمل لعب جوة... لعب المتجوزين..

. أنت كنت بتعمل معاها كدة؟؟

ضاقت عيناه:

. هي مين دي؟؟

. خطيبتك الأولانية...أخذتها قبل ما...

لم تكمل عندما دفعها بشراسة لتسقط من حجره على الأرض:

. أوعي تجيبي سيرتها على لسانك تاني

دفعت شعرها عن وجهها لتواجهه:

. أنت بتعمل كدة ليه؟؟ عاوز تكرهني فيك علشان أروح لأهلي وأقول لهم أنك

معندكش شرف ولا كرامة يقوموا يطلبوا من الدكتور سلامة يطلقني منك...ولا عاوز

تكره نفسك لأنك بدأت تنساها

جذب شعرها بقوة صارخاً:

. بقولك أخرسي...أسكتي، أنتي مين أنتي علشان تحللي مشاعري وتحكمي على

واحدة عمرك ما هتطولي تبقي خدامة عندها

اعتصر قلبها بأنين:

. للدرجة دي كنت بتهواها

. للدرجة دي يستحيل أنساها...سواء كملت الجوازة دي ولا مكملتش...

ثم جذبها من ذراعها لتقف وأخذ يدفعها أمامه حتى أدخلها غرفة النوم... تلفتت حول نفسها شاهقة. فدفعها على الفراش وقفز فوقها مثبتاً كفيها فوق رأسها:

. ويكون في معلومك... أنا عمري ما فكرت أني حتى ألمسها، عارفة ليه... علشان كنت بحترمها وبحترم علاقتي بيها... أنما أنتي علاقتي بيكي هتكون كدة  
وبس... كدة... وبس..

وهجم عليها في عناق مهين آخر مقوضاً كل مقاومتها حتى أنهكها تماماً... رفع رأسه عنها يتأملها باحتقار:

. شوفتي... لو حبيت أكمل للآخر... هكمل مش هتقدري تمنعيني، بس أنا مش  
عاوز...

أشاحت بوجهها كي لا يرى دموع الذل، ابتعد عنها وأمرها بجفاء أن تعدل هندامها وترتدي حجابها.

نهضت ببطء بعد خروجه كتفت ذراعيها على صدرها، وبنظرات حارقة حدقت في الباب الذي صفقه بعد خروجه وتوعدت بنبرات فولاذية:

. أتمنى تكون اتمتعت يا ابن الدكتور... علشان هتكون آخر مرة هتشم فيها ريحتي.. لما نشوف مين هيأدب الثاني... حوا ولا آدم.

\*\*\*\*\*

دخل منهاكاً في وقت متأخر عن كل ليلة، ربما ظنته يتهرب من لقاءها وتعمد التأخير حتى يضمن أن النوم سيغلب مقاومتها، لا يدري أن عنادها أكبر... أخرج زفرة مجهددة عندما رآها بعد أن أغلق الباب... جلس جوارها:

. لسة صاحية؟؟

. أجيب لك عشا... من فلوسك؟

تجاهل نبرة السخرية وهو يتمدد على الفراش بكامل ملابسه وحذاءه:

. لأ.. اتعشيت مع دقدق... هقوم آخذ دش وأنام...

. على طول كدة

فتح أحد عينيه يرمقها مازحاً:

. لو مكنتيش رقيه اللي عارفها كنت افكرتك بتنمري على ليلة زوجية ساخنة

احمر وجهها بقوة هادرة بارتباك:

. أنت شارب حاجة يا رأفت وجاي تتسلى عليا

. هو كل ميكانيكي لازم يكون شارب حاجة

. أصول اللمة يا أسطى

. شكلك بتتريقي... صح...

. يعني خلاص هي الشغلانات خلصت من البلد مافيش غير شغلة المكيانيكي دي..

. كاري... أقصد... مهنتي... أنا خريج هندسة قسم ميكانيكا

. تشتغل في مصنع، مش ورشة ميكانيكي

. شغلانة شريفة يا دكتورة... ثم هو فين المصنع اللي هيشغلني وزوجتي المصون  
السابقة هي وأبوها محلقيين حواليا زي الكلاب السعرانة، ولا هفضل قاعد حاطط أيدي  
على خدي مستني مصروفي منك.

. لأ طبعاً بس...

. من غير بسبسة... أنا مبسوط في شغلتي... والحمد لله أن جوازتنا مؤقتة علشان  
متضطريش في المستقبل تقولي لأولادك أن أبوهم ميكانيكي عن إذناك... أظن أن  
الحمام فاضي دلوقتي... يالا افتكري الجمال دي... مرات ابوكي لما تسمع الدش  
دلوقتي هتفتكرك مهنية جوزك.

. رأفت؟؟

. نعم..

روح شوفه تعمل إيه... عندي شغل بدري وعاويزة أنام. ويا ريت ظالما حضرتك لقيت  
شغل تشد حيلك شوية وتشوف لك شقة علشان نخلص مسرحية المتزوجون دي...  
. تحت أمرك يا أبله... بالإذن... ميت مساه..

كان متقصداً إغاضتها... نعم... تشعر بهذا من نظراته المتهكمة وهو يحمل منشفته  
ويوجه للحمام.

وضعت جانبها على الفراش ملتحفة بغطائها تستدعي ملكات النوم بكل وسيلة لتسقط  
في حباله قبل أن يعود... فهي لن تتحمل المزيد من هذه التصرفات.

زفرت بحنق لتبرد غليلها... فجأة دوت طرقات متتالية على الباب كالرعد، انتفضت من مكانها وقلبها يقرع بجنون، مئات الأفكار السوداء تتراقص وهي تركض نحو الباب لتفتحه عندما وجدت زوجة والدها تصيح بارتباك:

. ألحقي يا دكتور... دا باين المحروس جوزك واقع في الحمام...

لا شك أن منظرها كان مثير للتساؤلات والتكهنات، ولكن الموقف كان أكبر من أن تنتبه عزيزة لردة فعلها التي ظنتها صدمة بحاجة لهزة قوية لتفيق:

يا رقية فوقي والحقي جوزك...

. هو بابا فين...

. بابا إيه دلوقتي... أنتي مراته ليكون الراجل قالع هدومه ولا حاجة... أدخلي شوفي صاييه إيه وأنا هصحي أبوكي لو هتحتاجيه يشيل معاكي... ربنا يستر.

. هو أنتي عرفتي إزاي؟؟

. ودا وقت اسئلة... كنت راحة للحمام سمعت هبة جامدة... ستات إيه الباردة دي...

شحنت كل طاقتها لتذكر نفسها أنها في الأول والآخر طبيعية ولن تكون المرة الأولى التي ترى فيها جسداً عارياً.. وقفت عزيزة بعيداً باستحياء عن الباب تراقبها وهي تناديه... مرة واثنان وعندما لم يصلها رد اغمضت عينها وأدارت المقبض... دخلت بسرعة

وأغلقت الباب خلفها لتتحقق أسوأ مخاوفها... ركضت نحوه حاملة بين ذراعيها

المنشفة الكبيرة تلفها حول جسده المتراخي على الأرض مستنداً على حافة حوض الاستحمام... قامت بإجراءاتها الطبية لقياس مؤشرات الحيوية، وعلى الفور أدركت سبب ما حدث... نادته ممسكة بوجهه بين يديها:

. رأفت... رأفت... رد عليا... سامعني...

كان يتمم بكلمات غير مفهومة... هضت على الفور وأسرعت لغرفتها... تجاهلت الرد على فضول عزيزة، عادت بعد لحظات لتحقنه بعلاجه الذي على ما يبدو أهمله في الفترة الأخيرة مما سبب له انخفاض حاد في ضغط الدم أدى لفقدانه الوعي... انتظرت لحظات أخرى حتى بدأ يفيق... حدجها بنظرات متساهلة:

. مين... رقية... إيه... في إيه؟؟

. أنت وقعت في الحمام يا....

تلتف حوله بحدة ثم نظر لنفسه، وفجأة اعتلت شفتاه الشاحبتان ابتسامة منهكة:

. وأنتي هنا بصفتك الطيبة ولا الزوجة

. حضرتك شايف أنه وقت تهريج

. لا والله... لأنني خلاص فقت يعني دور الطيبة أنتهى، ومحتاج للزوجة تساعدني

أقف... عرفتي بقى أني مش بهرج.

أمسكته من ذراعه:

. اتفضل هساعدك... بصفتي أنسانة بتساعد واحد مريض

لم يقوى على مجادلتها وهو يشحن كل طاقاته للوقوف، رغم اعتراضه استطاعت

بصعوبة مساعدته على رفع

رفع جسده الذي يفوقها طولاً ووزناً... لملم المنشفة حول خصره بإحكام بينما أحاطته

بذراعيها لتمنعه من السقوط مرة أخرى، وكانت المرة الأولى التي تكون على مقربة منه

لهذه الدرجة، تشمم رائحة شعرها فكانت كالمخدر لحواسه المنهارة... زاد ارتباكها  
عندما أمسك بيدها على صدره بعد أن كانت على وشك الانسحاب... وقبل أن تدرك  
ما يحدث كان ينقض عليها في عناقك الأرض من تحت أقدامهما لتنهال كل الأسوار  
التي بنتها حول نفسها حتى باتت كالتراب... أبعدا عنه لتحدق في عينيه مذهولة،  
كانت تظن أنها هي التي تسانده، حتى انعكس الموقف تماماً لتجد ذراعيه هما المانع  
الوحيد من ذوبانها كالثلج أمام حرارة النار .

همت بالابتعاد فأجهض محاولتها بسيطرة:

. بلاش... أنا مش هكررها تاني... بس بلاش تاخدي موقف... أنا آسف.

تهدلت ذراعيها وغضت عنه بصرها بخجل، فهو لم يجبرها بينما كانت تنهل من نبعه  
كالعطشى لأي لمسة حنان.

بصوت شاحب كوجنتيها:

. يالا نخرج من هنا... زمان عزيزة هيجي لها أزمة قلبية والفضول هيموتها على اللي  
بنعمله هنا..

غمز بشقاوة وهو يلف ذراعه حول كتفها:

. هو أحنا عملنا حاجة؟؟

زفرت بانزعاج وهو يتكيء عليها مدعياً عدم القدرة على المشي.. رافقتهم مصمصات

شفاه عزيزة وهي تدعي ليه ربنا ياخذ بيده حتى وصلا لغرفة النوم... استلقى على

الفرش مقهقها:

. مرات أبوك يدي نمرة..

وقفت أمامه عاقدة ذراعيها على صدرها:

. حضرتك آخر مرة أخذت الدواء كان أمتي؟؟

ادعى التفكير للحظات:

. مش فاكِر

ضربت الأرض بقدميها:

. يعني إيه مش فاكِر... كام مرة قلت لك الدواء دا يعني حياتك... مينفعش تهمل فيه ولا  
يوم واحد... رأفت أنت مش مقدر خطورة حالتك... لو أهملت في العلاج هتحتاج زرع  
قلب... أنت ليه....

وقفت فجأة تلتقط أنفاسها الشائرة:

. رأفت...

قاطعها بهدوء:

. بجد مكنتش قاصد... العلاج خلص من كام يوم والروشتة مش لاقِيها... والوضع  
متوتر على طول معاك... كنت مستني وقت رايق أطلب فيه روشتة تانية.

اتسعت عيناها بغيظ:

. تضيع نفسك علشان مكسوف تطلب... أو ك... ماشي يا رأفت من هنا ورايح أنا اللي  
هباشر علاجك بنفسك زي العيال الصغِيرين... ولما أكون في الشغل هتصل بك في  
معاد كل دوا...

. بصفتك طيبة، ولا زوجة.

ضربت بقدميها في الأرض بغيظ أكبر:

. طيبة... طيبة... تحب أكتبها لك على يافطة علشان متنسهاش...

. خلاص فهمت يا ست الطيبة... تعالي نامي جنبي بقي... متخافيش قوي  
كدة... هلبس هدومي.

تمت بكلمات غير مفهومة وهي تدبب في الأرض وتشيح بوجهها عنه للنافذة حتى  
ينتهي.

\*\*\*\*\*

. ممكن لو سمحتي تهدي شوية... أنتي مش لوحديك، وأنتي عارفة كويس قوي أن  
العصبية بتأثر على صحتك.

. خايف قوي على صحتي خرجني من هنا

. أوك... أوعدك أول ما تولدي هفتح لك الباب ومع ألف سلامة

أعادت شعرها المسترسل للخلف تحديق به بعينان محتقتان:

. أنت بتخرف... أنا مش هسيب لك ولادي

. ولا أنا...

. ياسر مش هيكست... أنت عاوز مني أيه؟؟

. أجب من جلال نواجذه:

. ولادي... ويس... أما أنتي بقي طالما انا مش فارق معاكي، أنا مش هشتري حد

بايعني، واللي خلقتك خلق زيك وأحلي منك

. منا عارفة، مش أخبار جديدة... ولا أنت فاكربي هفضل نايمة على وداني ومش هعرف

. أنتي قصدك أيه؟؟

. أنت عارف قصدي كويس... وأحسن لك تخليني أخرج قبل ما ياسر يجي ويعمل

معاك زي زمان... فاكرب يا ليث بيه؟؟

ارتفعت يده في فورة غضب فأخفت وجهها متيقنة من سقوط يده عليها، وتأخر نزولها،

فرمشت وهي تنظر لأعلى لتجد يده متجمدة في الهواء وصدره اللاهث يعلو ويهبط

كمن يقاوم غضبه بصعوبة شديدة... ثم تهدلت يده جانبه:

. شوفتي وصلتنا لإيه... على فكرة... أخوكي مش هيعرف يوصلك... لأنني معملتش زيه،

اللي عاوز يخبي حد يقفل تليفوناته.

. أنت عرفت طريقي بالموبايل

. أنتي ناسية أنني مشغل GBS في تليفونك يا مدام...

. ولحد أمتي هتفضل حابسني هنا...؟؟

. لحد ما تولدي أو تعقلي أيهما أقرب.

. مش طريقة عيشة دي يا ليث... عاشروهن بالمعروف أو فارقوهن بالمعروف

. والمعروف دا كان فين وأنت بتاخدي ولادي وتهربي بيهم من غير ولا كلمة

. كانت عندي أسبابي

. وأنا كمان... عندي أسبابي... أنتي وسيف مش هتغادروا الفيلا هنا لحد ما أعرف....

"لأنك خاين وغشاش... لأنك استحللت غيري تكون جنبك، وكذبت أنني وحيدة في قلبك... لأنني مش ممكن هشارك في ملكي، ولا عمرك بالخديعة هتملكني"

صرخت بكل هذه الكلمات، ولكنه لم يسمعها، ربما لأنها لم تنطق بها بصوت عالي كما أرادت... وربما لأنه ذهب قبل أن تزلزل بها ما تبقى من أساس حياتها معه، وكأنها باعترافها ستحرم على نفسها حتى رؤيته، فارتضت أن تتحمل قسوته بورقة التوت الهشة التي دارت بها عواره.

\*\*\*\*\*

أوقف سيارته أمام العمارة الشاهقة في أحد أحياء المعادي الجديدة، تطلع لأعلى ثم تأكد من العنوان، نزل من سيارته ليعبر الطريق... توقف فجأة ليقف شعر رأسه لمنظر يشيب له شعور الولدان، طفلة صغيرة تعبر الطريق لتصل لباص مدرستها الواقف على الجانب الآخر، دون أن تنتبه للسيارة القادمة مسرعة، ربما يكون ضغط الأدرينالين في تلك اللحظات الفارقة، لو فكر الأنسان لبرهة من الثانية ربما لن يتوصل أبداً لنفس التصرف، فقد قفز ياسر طائراً دون أن يتأكد من علامات نجاحه في هذه القفزة السوبرمانية، ولكن لمعجزة وجد الفتاة الصغيرة بين أحضانه ليتدحرج بها على الأسفلت مبتعداً بها قبل أن تصبح إفطاراً لكفريات السيارة المتوحشة.

لهث بشدة محكم الطوق على جسد الصغيرة الباكي، بدأ يفتح ذراعيه لتخرج من بينهما كوردة دامعة تتفتح:

. أنتي كويسة

هزت رأسها قائلاً بنشيج:

. هتأخر على الباص... هيفوتني...

كاد أن يقهقه من تفكير الصغيرة الذي انحصر في ما هي مدربة عليه غير مدركة ما كانت فيه من خطر محقق، لولا أنه تذكر المتسبب الأول بهذه الكارثة... أنهضها وأمسك بيدها الصغيرة بعد أن نفض عن ملابسها الوردية التراب، ثم عبر بها الطريق حيث الباص ما يزال متوقف وكأن الخرس أصابه كما أصاب كل من فيه وهم يتابعون تفاصيل ما يحدث... بكلمات هادئة ودع الصغيرة، تجاهل إيماءات مشرفة الباص والسائق الشاحيين ثم جذب كليهما من تلابيهما وأخرجهما من الباص بعد أن طمأن الأطفال بابتسامة لم تصل لعينيه:

. هكلم عمو السواق والميس كلمة برة وراجعين.. أوعوا تعملوا شقاوات..

أوما الأولاد بصمت بينما ضرب رأسيهما في جدار الباص دون أن يترك ملابسهما هادراً بكل عصب ينتفض في عروقه:

. أنتم عارفين لو كانت البنت دي بنتي.. كنت عملت فيكم إيه... أقسم بالله العظيم كنت علقتكم أنتم الاثنين في عمود النور طول النهار الريح واللي جاي يضرب فيكم، لأن معندكوش ضمير، وكنت همنعكم من أنكم تكونوا مشولين عن أي أطفال لمدة عشرين سنة قدام، بس حظكم حلو... معنديش ولاد أصلاً...  
صاح السائق متوسلاً:

. نعمل إيه يعني يا سعاة البيه، الحمد لله قدر ولطف

. تعمل إيه... وظيفتك تأمين الولاد، مش تقف على الرصيف الثاني وتدعي ربنا أنه يحفظهم... أسمع... آخر مرة... يا أنت يا الزفتة اللي معاك دي تنزلوا بنفسكم تاخذوا

الولاد من قدام بيوتهم، ولو بإيدي كنت طلعتكم تاخدوهم من بيوتهم...ولو سمعت مرة، أو لمحتكم مرة بتكرروا العملة دي، أقسم بشرفي لأموتكم بإيدية...أنتم فاهمين...

هزوا رؤوسهم بقوة فتركهم ليسقطوا على الأرض من هول رعبهم. ثم تدافعوا للعودة للباص. ظل واقفاً ملوحاً بيده للصغيرة التي استمرت تراقبه من النافذة بإعجاب غريب حتى توارى الباص في أحد الشوارع الجانبية.

رنين متواصل على الباب أفرعها، كانت بالكاد وضعت رأسها على الوسادة بعد خروج ميسون للحضانة..نهضت ترغي وتزبد، نظرت في العين السحرية ثم تصلبت وطار منها النعاس كمن احتست عشر فناجين من الكافيين دفعة واحدة.

فتحت الباب تحديق فيه باستغراب ازداد عندما لاحظت ملبسه المغربية:

. ياسر...مالك...فيه إيه...

هتف بنبرة منهكة، مختلفة تماماً عن النبرة التي جاء للحديث بها:

. ممكن أدخل الحمام....

أشارت له بصمت على مكان الحمام فتوجه له فوراً...غاب خمس دقائق قبل أن يعود وقد اغتسل تماماً، خلع جاكيت البدلة ووضعها على ذراعه...كانت بانتظاره بلهفة وفضول متزايدين وهو يتهالك على أحد المقاعد:

. أنت عملت حادثة ولا إيه؟؟

. مش أنا...بنت صغيرة كانت بتعدي الشارع لباص المددسة، كانت عربية هتخطها،

لولا لحقتها في آخر لحظة...

هز رأسه والمشهد يتكرر في خياله يرغب بإزاحته دون أن ينتبه لتلك الشاحبة التي  
فقدت أنفاسها وهي تتخيل المفارقة والموقف المستحيل الذي حدث... هتف بقلق:

. ميسم... ميسم...

أمسك بيدها ليجدها تكاد تقترب من التجمد، وقد زاغت عيناها، وضع كوب الماء  
بين شفثيها وأجبرها على تجرع بعضه، ثم أخذ يفرك يدها حتى بدأت تفيق، شهقت  
متلפתة حولها بدموع لم تستطع ربط جماحها:

. كل داع لشان حكيت لك على الموقف، لو شفثيه كنتي متي من الرعب ، بس  
مسبتهمش، مسكت السواق والمشرفة مسحت بيهم الأرض، قلت لهم لو أنا أبو  
البت كنت خليتهم يتمنوا الموت، وكمان أهلها يستحقوا الحرق... أزاى يسيبوا بنتهم  
كدة تنزل لوحدها... حتى البنت مسكينة راسها مربوطة يظهر حادثة تانية، بنت شقية ز  
يها لازم أهلها يكونوا منتبهين لها أكثر.

. يمكن ظروفهم صعبة

. مافيش حاجة اسمها ظروفهم... خلفوا عيال يبقى لازم يتحملوا مسؤوليتهم... تعالي  
شوفي ليث عامل إيه علشان ولاده، شوية شوية هعمل لكل واحد منهم حارس خاص.  
. أنت جاي ليه يا ياسر...

نظر لها للحظات وكأنه يستعيد أسبابه التي دفعته للقدم هنا... ثم تجمعت خطوط  
العبوس في وجهه من جديد، اجفلت من انتفاضته كمنار نفخ فيها هبت مستعرة:

. إيه اللي بينك وبين ليث يا هانم؟؟؟

\*\*\*\*\*

## الفصل الثالث عشر

.....

. عملت إيه؟؟

. عيب..دنا أدهم...محدث يقدر يقولي تلت الثلاثة كام

. إلا هم كام...

. أنتى بتحرجيني يا نشوى..

. أنت خلاص سميتني نشوى ....

. أه لحد ما تفتكري أسمك...عندك مانع؟؟

. أنت اللي أنقذت حياتي وفي عرف بعض الشعوب معناها أن حياتي ملكك....ومن

حقلك تسميني ...

. الحمد لله أنك اعترفتي ..وكمان اعترفتي بقدرتي على أقناع مريضتي اللي غلبنى

. أفهم من كلامك أنه اقتنع بكلامك

. مش بس كدة، داكمان موجود دلوقتي في المستشفى ووافق أنه يتعالج جسدياً

ونفسياً ومش هيخرج من هنا إلا صاغ سليم

. أنت فرحان قوي يا دكتور

. قوي يا نشوى...الولد دا عانى كثير قوي...انكسر كثير قوي، بقى عامل زي لوح  
الإزاز المكسور أي حد بيقترب منه بينجرح بدون ما ياخذ باله إن الجراح دي ساعات  
كثير بتكون في مقتل.

. مسكين..

. يمكن لو كنتي تعرفي حد من اللي أذاهم متقوليش كدة...الوضع الطبيعي أنا  
بتعاطف مع الضحية مش مع الجاني.

. بس كلامك عنه حسيني أنه ضحية

. في أوقات كثير، الضحية بتتحول لجاني كنوع من التعويض الذاتي، يعني بتحس  
بنشوى زي تأثير المخدرات، ييمنع الألم الوقتي، وكل ما زاد أذيتها احتاجت لضحايا  
أكثر تكسر بيهم الألم.

. ياااه يا دكتور... تخيل لو كل الناس بقت كدة...لو أنت كنت كدة؟؟

قهقهه بمزاح:

. كان زمني شربت من دمك لأنك عطلتيني كثير على شغلي...بطلي رغي بقى، ويكون  
في معلومك، هكتب لك على خروج بعد أسبوع.

شهقت برعب:

. خروج...هخرج أروح فين؟؟

زم فمه بتفكير:

. أنتي لسة مش عاوزة ترجعي لأهلكأنتي فاكراني هسيبك ولا إيه... مش لسة قايلة  
بنفسك أن حياتك ملكي؟؟

تمتمت بنبرات مهتزة:

. يعني هتسلمني لملجأ علشان ماليش أهل.

. إيه أفلام راقية ابراهيم دي... خلاص... اللي مالوش أهل... بابا أدهم أهله... تيجي  
تنوريني عندي أوضة فاضية في شقتي... أوضة بنتي.

. بس دا كتير قوي عليا

. بس قليل عليا أنا... خليني أحس بطعم الدنيا من تاني... يمكن أقدر أرجع لك  
ضحكتها.

. موافقة بشرط... عاوزة أشغل.

. ينفع تطبخي لي وتنضفي شقتي.

. مؤقتاً... لحد ما ألاقي شغلانة بجد.

. اتفقنا ..

. وبشرط كمان... تعرفني على المريض بتاعك.

. مش دلوقتي... لما يبدأ علاج ويستجيب له... أنتي عارفة العلاج النفسي بياخذ  
وقت...

. ماشي بس أنتم هتخرجوني إزاي والرباط دا لسة على وشي... هتخوفوا بيا العيال ولا  
إيه؟؟

. مش الدكتور قالك يومين.. خلاص مستعجلة على إيه؟؟

. كل مرة بيفك فيها الرباط بيظمن على الجروح ومش بيرضى يخليني أشوف نفسي في  
المراية

. له حق بصراحة.... بصرف النظر عن كنتي جميلة ولا لأ... آثار التئام الجروح مش  
هتخليكي تفتكري نفسك فرانشتاين

. ربنا يظمنك يا دكتور

. دا واجب عليا يا بنتي

.....

. أخبارك إيه يا بطل.. أستقرت؟؟

تلقت حوله يتأمل جدران غرفته البيضاء لدرجة الملل، ثم أجاب الطبيب:

. أهه موتة ولا أكثر يا دكتور.... أنا مش عارف لحد دلوقتي أنت ازاي أقنعتني أني أجي  
هنا... كلها يومين وكنت هخرج من حالتي.. أحلق دقني وأرجع أمارس حياتي بشكل  
طبيعي

. وهتظلم مين المرة الجاية...

. لأ مش هيحصل صدقني..

. المهم أنت تصدق نفسك... متأكد أنك لما تقابل والدتك المرة الجاية الغل جواك  
مش هتحرك من جديد، مش هيحرك منظرها وتصرفاتها، وكلامها.

. لأ.. ما أنا مش هقابلها تاني.

. متأكد..

. يا دكتور أرجوك اسمعني... أنا مقدرش أحبس نفسي هنا.

. قوللي يا هيثم... أخبار ريم إيه؟؟

شحب وجهه وغارت عيناه بين أدغال لحيته وشعره المشعث:

. معرفش... معرفش...

. الباب مفتوح يا هيثم أنت مش مسجون، وقت ما تحب تخرج محدش هيمنعك.

\*\*\*\*\*  
.....

. إيه الي بيحصل دا؟؟ في حركة مش طبيعية في المستشفى؟؟

. ماهو انتي من يوم ما اتجوزتي اسم النبي حارسه وصاينه وأنت في غيبوبة اختيارية.

. قصدك إيه يعني يا فلحوسة

. قصدي الليلة فرح الدكتور مهاب، والكل يستعد للحفل الساهر... مشوفتيش الدعوة

العامة اللي الدكتور حاططها على لوحة الإعلانات... كل الدكاترة اللي مش عندهم

نبتشيات الليلة معزومين على الفرحة في قاعة الدفاع الجوي.

. يعني أنا كمان معزومة

. طبعاً.. أخيراً هلبس فستاني السواريه وسليم هيشوفني بحاجة تانية غير البالطو

الأبيض، هيشم ريحة بارفان باريسي، مش بيتادين وزفتاتين وبلاوي زرقه، وهيشوف

وشي بعد التعديلات، من غير نضارات، ومن غير بقع دم، ولا...

. حيلك.. حيلك... أنتي بتتكلمي عن الدكتور سليم المهدي بتاعنا دا؟؟

. أه..فيها إيه يعني...مش غلطتي أنك عايشة في قوقعة ومنع أي اتصالات بالعالم  
الآخر...هو رأفت دا عمل فيكي إيه بالضبط؟

. رأفت إيه...؟؟ ولا حاجة طبعاً...اتفاقنا زي ما هو...

. يا عينك يا جبايرك...عاوزه تفهميني أنك بتنامي معاه في أوضة واحدة وعلى سرير  
واحد...وما فيش؟

احمرت وجنتيها بقوة بارتباك:

. ما فيش إيه...ما تلمي نفسك يا سلمى، بقولك، روعي شوفي شغلك أحسن..عن  
إذتك أنا ورايا شغل

راقبتها سلمى باستغراب حتى ابتعدت في رواق قسم الجراحة...وتمتت:

. أقطع دراعي، لو ما كنتيش وقعتي في المحظور يا صاحبي

. وتقطعيه ليه، أكيد هيكون له لازمة في يوم من الأيام.

. التفتت بابتسامة خجلة:

. دكتور سليم...أنت بتقلش

. اعمل إيه..من عاشر القوم...

. بلاش السكة دي...أنت لسة جديد ومش هتسلك فيها

. أهه بحاول ألقط رزقي...بقولك..هتيجي فرح الدكتور مهاب

. أه طبعاً..ودا سؤال؟

. هتروحي إزاي... أنا ممكن أعدي عليكى أوصلك..

اتسعت عيناها بفرحة:

. بجد... مش هعطلك؟

. لا عطلة ولا حاجة، أصلاً ما ينفعش تروحي لوحدك...

. أنا متشكرة جداً جداً... بس.. لازم أستأذن تيتا الأول... لإي موضوع الفرح، وفي

توصيلك ليا... أول ما أروح هديك تليفون

. أولك اتفقنا منتظر منك رد... وبلغني تيتا أنني نفسي أتعرف عليها قوي..

أومأت باحمرار يغزو خديها.

.....

اجتاح المكان كشاحنة أفلتت بون فرامل تغزو بطريقها كل شيء، وقفت السكريترة

مذعورة تحاول إيقافه:

. ياسر بيه لو سمحت..

ردفها حتى كادت تسقط واقتحم غرفة المكتب..

اضطع ليث على ظهر مقعده الوثير يتطلع لمقتحم مكتبه بهدوء ظاهر، رآه يقترب حتى

وقف أمام المكتب ووضع راحتيه على أطرافه قائلاً بانحناءة وتهديد لم يخطيء هدفه:

. هم فين يا ليث، وديتهم فين؟؟

. أنت بتتكلم عن مين، مش فاهم؟

. لأ أنت عارف كويس... فين ريتاج وسيف

ارتعد بريق عينا سيف رغم ثبات ملامحه الهادئة:

. قصدك مراتي وأبني... في قانون في العالم يا حضرة المحامي يجبرني أني أسلم ل

كمراتي وأبني بدون حكم قضائي

. ريتاج معاك غضب عنها

. أثبت..

. قولني مكانها فين وأنا هثبت أنها مش طايقاك ومش طايقة العيشة معاك.

. أنا مش مجبر أني أقولك على فكرة

. بقي كدة يا ليث

. أعلى ما في خيلك أركبه والبادي أظلم يا ياسر بيه

. يعني هي واحدة بواحدة

. والله أحسبها أنت وشوف...

. أنا مشوفتش أحقر منك في حياتي... وهدفك تمن كل اللي بتعمله دا غالي قوي..

. المقابلة انتهت.

استقام ياسر يحدجه بنظرات قاتلة.. ثم استدار بحدة مغادراً المكان بنفس الطريقة

التي دخله بها.

اتجه من فوره لمكتبها، تطلع على المكتب الفارغ:

. الباش مهندسة في معاينة خارجية النهاردة، تحب أبلغها ب....

لم ينتظر لسماع المزيد فقفلاً عائداً يكاد الغضب أن يعميه عن طريقه، حتى ركب  
سيارته، هم بالتحرك ثم توقف فجأة وصداع رهيب يفتك برأسه، أخذ يضرب بالمقود  
بصراخ قوي، ثم ارتكن برأسه المجهد عليه، يتذكر لقاءه بها منذ أسبوع في شقتها،  
عندما اتهمها بعلاقتها الآثمة بليث، حدجته وقتها بنظرة أقرب ما تكون لمشاهدتها  
كائن فضائي:

. أنت بتكلم جد

. أكيد مش هاجي في وقت ز يدا علشان أهرج معاكي... هو دا الصيدة الجديدة اللي  
نوبتي تصطادها بعد ما نتطلق

. طالما تفكيرك القدر وصلك للمنطقة دي... يبقى هنيالك تتمرغ في وساختها، أنا مش  
همد إيدي وأنصف وراك

. يعني أيه

. يعني أتحرق بالنار اللي ولعتها يا ياسر.

. النار دي أنتي اللي بدأتها لما قررت تنتقلي مصر يا هانم رغم كل تحذيراتي.

. أنا حرة في المكان اللي أختار أعيش فيه... أنت مش وصي على تصرفاتي

. علشان كدة قررتي تنتقمي مني وتخطفي جوز أختي

. كل راجل وفيه نقطة ضعف، أي ست بتكون غبية لو مستغلتهاش

. أنتي كدة بترفعي الرهان لدرجة مش هستحملها... رصيدك مش هيكفي لما يحين أوان

الدفع يا باش مهندسة.

. الله أعلم...مش يمكن أنت اللي تدفع يا ياسر بيه.

. هنشوف...هنشوف يا ميسم...

كانت هذه كلماته وهو يدير دفة المقود بحدة كادت تتسبب في كسر مقصات المقود وهو ينحرف بحدة بسيارته وينطلق بها بعيداً عن كل ذكرياته المؤلمة وتحدي ميسم له...ميسم تلك الوردة الجميلة الياينة التي اقطفها من الأوحال ونظفها واعتني بها، كانت أمه وأخته وكل من فقده في حياته، وعندما عثر على ريتاج وأمّه، شعر أن دورها في حياته انتهى، وكما علمه جمال محجوب، أي ورقة انتهت حاجتك لها احرقها وابحث عن غيرها، وكانت ميسم بالنسبة له مجرد ورقة، انتهت منفعتها، كما أنه لم يظلمها، فقد ساعدها حتى حصلت على شهادتها وزخر رصيدها في البنك بمبلغ محترم.

لماذا تظهر في حياته كشيخ الانتقام الآن....لماذا؟؟

\*\*\*\*\*  
.....

. مالك الفرحة بتتسطط في وشك النهاردة كدة والدموية رجعتك بنت أربعناشر...خير في إيه؟

. اسكت بنت...أنت يخجل آنا...بس أنت بيّفهم ..أنا فرحان كتير علشان في عندنا ضيف مهم .

تهالكت سلمى على أقرب مقعد جوارها تسألها بفضول:

. ضيف مين...أحنا مافيش حد بيزورنا إلا المحامي الأنتيكة بتاعك

. سوس بنت..أدب يوك..

. خلاص بلاش أنتيكة... بس مين الضيف دا..

. أنا يا سلمى..

وقفت مذهلة تتطلع للقامة الطويلة والأكتاف العريضة، والوجه الرجولي بشعره الأسود وفوديه الشائبين، وكأنه هارب من أحد المسلسلات التركية:

. مش هتسلمي على ابن عمك ولا إيه؟

تمتمت بحلق جاف وعيون جاحظة:

. عثمان...

ثم أجالت نظراتها الزائغة بين كتلة الرجولة الخامة بنظراته القاتلة وبين جدتها التي ترمقه بفخر:

. مالك بنت عبيط....سلم على ابن عمك...

تحركت أخيراً تمد يدها المثلجة لترتاح بين راحته الدافئة وقد أطبق عليها بيده الأخرى فكانت كزرزور صغير بين مخالب نسر:

. مصر نورت يا...آبيه.

هتفت الجدة بصبر فارغ:

. سوس...إيه أبيه دي...قولي عثمان....هو خطيبك الآن....نحن تكلمنا في موضوع، هو طلب يدك وأنا وافقت.

نزعت يدها من بين يديه بحدة وقد تلاعبت شياطينها بنظراتها الحانقة:

. إيه اللي بيحصل دا...في إيه؟؟

أوما عثمان بابتسامة ودودة:

. أهدي يا دكتورة... ما فيش حاجة هتتم غصب عنك

عقدت ذراعيها على صدرها:

. ولما ما فيش حاجة هتتم غصب عني، حضرتك هنا ليه؟

رمق الجدة بنظرة ليطمئنها ثم أجاب الثائرة:

. أنتم لحمي ودمي... كان فيه ظروف قهرية بعدتني عنكم، بس دلوقتي...

. أها... فهتم قصدك... حضرتك جاي تقاسمنا في الميراث...

زفر ببطيء ثم أجاب بصراحة:

. حقي ولا مش حقي

. يبقى هي الحكاية كدة... طب كنت خليك في مكانك وكنا هنبعت لك نصيبك بدون

ما تتعب نفسك

. أحنا فيها... طالما أنا هنا... ممكن من بكرة نبيع الفيلا وآخد نصيبي وأمشي.

شهقت بفرع:

. تبع الفيلا؟؟

. مش هو دا الميراث ولا في حاجة تانية... حسب معلوماتي... الفيلا وشوية فلوس

سايلة في البنك كنتي بتصرفي منها على تعليمك... مش هحاسبك عليها... وهاخدها

من نصيبك في الفيلا... بعد ما تتباع.

بارتباك وتهديد بالإنهيار:

. فيلا إيه اللي هنتباع.

. أمال هاخذ نصيبي إزاي؟؟

. مش عارفة... مفكرتش في الموضوع قبل كدة... بس أكيد فيه حل تاني... مش كدة يا  
آنا؟؟

مطت العجوز شفيتها وهي تنظر لعثمان نظرة متواطئة لم تنتبه لها سلمى بينما تجاهلها  
عثمان ببرود:

. أنا عارف كويس... درست الموضوع قبل ما آجي... يا نبيع الفيلا وآخذ  
نصيبي... أو...

انتظرت الحل الثاني بارتياح ا لبث أن تحول لنيان تحصد في طريقها الأخضر  
واليابس:

. أو نتجوز....

. أنت ليه مش بتفهم أنا مش هتجوزك تحت أي ظرف.... وأزاي تعرض عليا الجواز وأنا  
مخطوبة أصلاً

رمش بعينه لهذه المفاجأة:

. مخطوبة... بس آنا...

حدجت آنا بنظرة حادة:

. آنا عارفة كويس قوي أن الدكتور سليم هيجي يخطبني ... علشان كدة بعت تلك  
وفكرتك بميراثك اللي حضرتك ناسيه بقالك سنين... مش كدة يا آنا؟؟

تظاهر عثمان بالبرود الثلجي:

. خلاص... ممكن أتعرف على خطيبك المحترم... ولو لقيته شاب محترم وابن

عيلة... هعرض عليه يعطيني نصيبي وحلال عليه الجواز

. أنت... أنت إزاي بتفكر بالطريقة دي... هي بيعة وشروء؟؟

التفت لجدته:

. إيه رأيك يا آنا؟؟

. مع أنني مش موافق... بس أي حاجة تشوفه عثمان أنا أبصم وراك فوراً

. تمام... أمتي هتعرفيني على....

صرخت:

. أنت... أنت... أنت عاقل زينا كدة، لو كلمت سليم في الموضوع دا أنا هقتلك

بأيديه... دا راجل ابن ناس وعيلته معروفة في البلد، والعرض دا هيبقى مهين ليا وله.

. الكرة في ملعبك يا بنت عمي... يا تتجوزيني، يا تتجوزي سليم بالشرط دا؟؟

استدارت نحو جدتها:

. آنا... أتكلمي... لاش تسمحي له يعمل كدة

. مش أنتي واثق من ولد سليم... وهو يحبك... يبقى هيدفع دم قلبه علشان نوافق على

جواز... أو تريحي دماغ وتتجوز عثمان... هو بمية راجل زي ولد سليم.

مسحت دموعها ونشقت أنفها:

. أولك يا آنا... أنا هروح فرح مدير المستشفى، سليم هيوصلني وأنا..

قاطعها عثمان:

. أنا هوصلك... ميصحش راجل غريب يوصلك وأنا موجود... الأصول بتقول

كدة... وبالمرّة أتعرف على... خطيبك.

التفتت بحدة:

. آنا...

. أنا موافق على كلام عثمان... أما هو يوصلك أو ما فيش أفراح.

دببت بالأرض وهي تغادر المكان صاعدة لغرفتها في الطابق الثاني... التفت لجدته:

. كنا قاسيين عليها قوي

. بس هي تستحق... مش كدة؟

تلونت عيناه بإعجاب:

. من ناحية تستحق.. هي تستحق...

. أسمع عثمان... أنا مش يعرض عليك جواز من سلمى علشان هي...

أمسك بيدي جدته وقبلها بقوة:

. أنا عارف يا آنا... رسالتك مش هي اللي دفعنتي للتصرف دا... هي بس عجلت

الأمر... مكنتش فاكر أن سلمى كبرت واحلوت قوي كدة... وخسارة كبيرة لو خسرتها

. يعني أنت مش لك حب قديم في استانبول

. كان فيه...بس راح...الحب المبني على العاطفة مش بيدوم...أنما الحب اللي  
أساسه العقل...أكيد مدة صلاحيته أكبر...وسلمى مرشحة مثالية أنها تكون زوجة  
ليا...بس بعد ما تقتنع أني أصلح واحد للجواز منها...سواء اقتنعت دلوقتي أو بعد  
الجواز...أنا مش هخليها تفلت مني.  
. عفارم عليك حفيدنا الغالي...عفرام.

\*\*\*\*\*

## الفصل الرابع عشر

.....

. مساء الخير..

ركض الصبي نحو والده متهللاً

. بابا حبيبي....

رفعه بين ذراعيه راقماً أمه من خلف رأسه والتي أشاحت بوجهها:

. أهلاً سيف... عامل إيه... أوعى تكون زعلت ماما منك

. لأ... أنا مش زعلتها... بس ماما زعلانة لوحدها.. ودايماً بتعيط... صالحها يا

بابا.. وخليها تضحك تاني

. رفع صوته يحدثها من خلال سيف:

. هي مش عاوزه تكلمني

. أنت كلمها لحد ما ترد عليك... وأنا زهقت من المكان دا... عاوز أروح الحضانة

بتاعتي.... أنا زهقت

. لا والله... حاضر يا سيف بيه... هنشوف الموضوع دا؟؟

هتفت بارتياح:

. سيف مش هيبعد عن عينيا لحظة واحدة... فبلاش توعدده بوعود مش هتتغذ

أنزل ابنه وطلب منه اللعب بالخارج.. اقترب منها فأخذت ركناً قصياً من الفراش... لم ييأس وتبعها:

. الليلة فرح مهاب... كنت عاوز آخذك أنتي وسيف... بس للأسف مش هينفع...

. ليه مش هينفع؟

. احتمال يكون ياسر موجود... وأكيد هتمسكي فيه، ورد فعلي مش هيكون

بسيط... لأنني مش هسيبك، والفرح هيتقلب لخرنقة...

. ومطلوب مني أيه...

. ولا حاجة... فهميني بتعملي كدة ليه؟؟ إيه حصل من ورايا... خلاكي تتقلبي بالشكل

دا؟

. ربح نفسك أنا مش ههين نفسي بالكلام في مواضيع تافهة زي دي

. حياتنا مع بعض موضوع تافه يا ريتاج

. أنت اللي قلبتها لمسخرة مش أنا... ومن فضلك اطلع برة علشان عاوزة أرتاح.

. أنتي تعبانة؟؟

. حضرتك ناسي أنك رفضت توديني معاد الإعادة عند مهاب؟؟

. لأ مش ناسي... مهاب وعدني هيجي بنفسه هنا يتابعك... بس بعد ما طارئة الفرحة

دي تخلص.

. خلاص بلاش تسألني كل شوية السؤال دا..

وأعطته ظهرها واستلقت تحت غطائها حتى الرأس...

تألت عيناه... ليس بأضواء القاعة المبهرة، ولا بملابس الصفوة البراقة، ولكن بجمال رفيقته الهادئ المتواطيء ضد دقات قلبه، لم تكن المرة الأولى التي يعصه من أجلها.. ولكنها الأولى التي يهدده فيها بالتوقف تماماً حتى إشعار آخر، فقد بدت بثوبها الذهبي الأنيق المخصر وكأنها ملكة الأناقة بلا تحيز، وحجابها الرقيق البيج بخيوط ذهبية شع وجهها الخالي من الزينة إلا من كحل حدد خطوط عينيها بفجور، بينما نطقت شفيتها بالخطيئة باللمع الشفاف.

. رأفت... مالك... بتبص لي كدة ليه؟

. لا.. ولا حاجة.. اتهايا لي شفت فراشة على حجابك... بس طلع انعكاس ضوء... تعالي نشوف مكان نقعد فيه...

رفعت ذيل ثوبها الطويل وسارت حيث أفسح لها الطريق، بوجنتين محترقتان وهي تدرك نظراته عليها... اتجهت فوراً للطاولة التي تجلس عليها سلمى، وعلى عكس توقعها فوجئت رغم جمال ثوبها الزهري وشعرها المصنف بعناية فائقة، ومكياجها الرقيق، فوجئت بتجهمها... أمسكت بيدها الباردة تحيها باستفسار:

. أهلاً سلمى... جيتي من بدري..؟؟ مالك كدة بوزك شبرين... صاحبك مجاى ولا

إيه؟؟؟

انتهت رقية متأخرة لحركات سلمى المشيرة لذلك الرجل الغريب الجالس معها.. عاتبت نفسها بشدة... كيف لم تلحظ مثل هذا الرجل الذي كاد أن يخرج أعين الصبايا من جحورهن... أشارت سلمى بتأفف:

. عثمان المهدي... ابن عمي... وودي الدكتورة رقية وجوزها الباشمهندس رأفت....

تجاوز رأفت الإحراج وصافحه بتحية ودودة:

. أهلاً بيك...

ثم صافحته رقية:

. سوري يا عثمان بيه....

. ولا يهملك... أصحاب سلمى هم أعز أصدقائي... اتفضلوا...

تجاوز الرجلان بينما جلست الفتاتان بجوار بعضهما يتهامسان:

. فيه إيه... مالك عاملة زي اللي غرق دراها؟

. مصيبة... مصيبة يا رقية...

. خير.. في أيه؟

. مش هنعرف نتكلم هنا... تعالي نروح الحمام نظبط المكياج

. بس أنا مكياجى مش...

وقفت سلمى تجذبها بحنق وابتسامة متوترة نحو عثمان الذي وقف بدوره باحترام

للسيداتين:

. هنروح الحمام نظبط المكياج... مش هنتأخر

وقبل أن يرد عثمان كانت تجذب صديقتها وتخرق بها الموائد..

أغلقت الباب متنفسة الصعداء لخلو الحمام من سواهما:

. خير في إيه؟؟

.....\*\*\*\*\*.....

تأبطت ذراعه لندلف معه القاعة مجيلة عيناها حولها بوجل:

. إيه.. خايفة يشوفك معايا

. لأ طبعاً... أنا مش بخاف من أي حد...

. أنا واثق من كدة... شخصية مبهرة زيك مش ممكن تخاف بسهولة... على فكرة أنتي حلوة قوي الليلة... لو ياسر قدر يتحمل وجودك معايا... يبقى يستاهل يعيش بعيد عنك طول عمره ندمان.

. شكراً.. أنا كنت محتاجة لنفحة من الثقة في النفس بعد كل اللي حصل... بس أنت متأكد اني مش هسبب مشاكل للمدام؟؟

ربت على يدها:

. متقلقيش على المدام... أنا هدبر أموري... ومراتي مخها كبير.. أتفضلي... يظهر العروسة والعريس لسة موصولوش.

.....\*\*\*\*\*.....

توقع جمالها... توقع تألقها عن أي عروس رآها.. ولكنه لم يكن مستعداً أبداً لذلك البرود الثلجي في عينيها... من وقت أخذها من الكوافير تلاحقهم الزغاريد، وهي تنأبط ذراعه كمجبرة، وحتى صور الاستوديو التي كادت أن تتسبب للمصور بذبحة

صدرية، وهو يقسم أنه خلال مسيرته المهنية على مدار عشرون عاماً لم يصور عروساً  
لم تستطع حتى تمثيل الفرحة.

لم يعقب مهاب ولم يحاول مساعدة المصور، انتهت المحنة بمعجزة ليبدأ الاستعراض  
الكبير والأخير أمام كل الناس في قاعة الأفراح.

لم يوجه لها كلمة واحدة أثناء رحلتهم للقاعة، كانت تحتل بثوبها الأبيض المنفوش  
ثلاث أرباع المقعد الخلفي، حبس أنفاسه كي يحاول بصعوبة ألا يحتك بها كما تحاول  
تجنبه... اختلس نظرات جائعة لملامحها المتألقة بغضب بارد عصف بزرقه عينيها وترك  
علامات على جبهتها المقضبة، أسفل حجابها ذو التاج الملكي... بصعوبة استطاع  
التقاط أنفاسه بعد أن نسي حاجته للأكسجين ضائعاً بين أهدابها المسبلة.

وصلا للقاعة، تأبطت ذراعه كالإنسان الآلي المبرمج... ولم تكلف نفسها عناء أدعاء  
الفرح... قابلت الجميع بتحية باردة شامخة بأنفها كملكة لا تعبأ برضا رعاياها...  
جلست على عرشها متجاهلة نظراته المتوقعة... تلفتت قريباتها حولها حتى طلب منهم  
المسؤول الوقوف لترديد أسماء الله الحسنى لمباركة الزواج...

صفق الجميع بحبور وتهليل بينما انحنى الدكتور سلامة على أذن العريس:

. مالها عروستك يا مهاب؟

. مافيش يا بابا... ما هي كويسة أهه؟

. طالما أنت شايف كدة... خلاص أنت حر..

وتراجع بغمزة متواطئة مع زوجته:

. فيه إيه يا سلامة:

. ولا حاجة... ابنك راضي ومبسوط

. والله مش باين عليه... لا راضي ولا مبسوط... شكنا استعجلنا يا سلامة.

....

. شكران... مالك يا بنتي.. لاوية بوزك... ١٥ منظر عروسة... أستغفر الله العظيم... يا بنتي

أفرديتها الناس أكلت وشنا

من بين أسنانها وبدون أن تفتح فهما تمتمت:

. ماما... سييني في حالي... بدل ما أقوم وأعمل لكم فضيحة بجد.

فوجئت بمهاب يقف ويمسك بيدها قائلاً بسخرية:

. slow dance يا عروسة...

رفعت عيناها لأعلى بدون أن تتنازل برفع رأسها:

. مش هقوم من مكاني

تمتم بهدوء متوعد:

. لو سمحتي يا طنط...

انسحبت أزهار بعد طلبه المهدد بعد أن زغرت لابنتها بدورها... التفت لها وأمسك

بيدها ثم جذبها بقوة لتقف رغم ممانعتها:

. خلينا نكمل التمثيلية للآخر..

ولم يلاحظ أحد أن يجرها فعلاً حتى توسط حلبة المسرح وملاأت القاعة

**My heat will go on** بصوت سيلين ديون.

أغمضت عيناها لتتجاوز إحساسها بذراعيه اللتان أحاطا بخصرها المتخشب..تمتم

بأذنها بنبرة آمرة:

. حطي راسك على صدري...

زغرته بنظرة أخرى باردة فمد يده ودفع رأسها لتصطدم بصدره...توعدته بخنوع وضيق

مضطرة لمجاراته...ارتفع صوت مدير الحفل يطلب من أصدقاء العروسين المشاركة

في الرقص، بدأت ساحة الرقص تكتظ بالمدعوين المتمايلين على الأنغام

الرومانسية..وقف رأفت يمسك بيد رقية:

. تعالي...

. بس أنا مش بعرف

. ولا أي حد من اللي بيرقصوا بيعرف...نعمل زيهم وخلاص...يلا من غير تفكير

كثير...

ضحكت بحماس وهي تمسك بيده:

. بس خد بالك..أنا راسي بتلف...حسيت أني على أبواب دور برد...أخذت حبايتين

حساسية قبل ما أخرج وكنت ناسية الفرح خالص..

. إيه خايفة تقعي ملحقش أسندك..

. يمكن..

. تعالي نجرب...

.....

. سلمى...تحبي ترقصي...

. لأ...شكراً..

تبرمت مشيحة وجهها للناحية الأخرى عندما تهللت فجأة لدى رؤيتها لسليم يقترب

بملامح عاتبة:

. دا كلام...مش قلتي هتكلميني في التليفون...وتليفونك مقفول لحد....

. أحم... أحم... دكتور سليم... أعرفك على عثمان بيه المهدي... ابن عمي  
تعرق جبين سليم وهو يمد يده باعتذار:  
. آسف جداً ما احدثش بالي... تشرفت بمعرفتك عثمان بيه  
مد عثمان يلتقط أطراف أصابع سليم بيروود وتعالى... لم يرتدع سليم وهو يقدم طلبه  
بشجاعة:  
. سلمى.. ترقصي معايا..  
وقفت قبل أن يسمح عثمان لنفسه بالرفض وأمسكت يد سليم بنظرة مهددة لابن  
عمها:  
. أوك.. طبعاً.. عن إذنك يا عثمان...  
راقبها ترفل بثوبها الحريري كفراشة تطير من زهرة لزهرة.....  
.....  
. هه... إيه رأيك...؟؟  
. يعني مصمم؟؟  
غمز بعينه:  
. أنتي محتاجة تنسي شوية...  
. شكلك أنت كمان..  
. تعالي ننسى مع بعض..  
. أوك...  
استسلمت لذراعيه تحوطها بينما اقتربت منه أكثر بكثير مما فكرت...  
. أخبار ميسون إيه؟  
. الحمد لله... سبتها عند جارتى.. أول مرة أعملها... معرفش ليه أنت صممت أني  
أحضر.  
. مش هكذب عليكى... عاوز أستفز ياسر... لازم يتحرك... لازم يعرف أن له بنت.  
. وإيه الفائدة...  
. يمكن يراجع حساباته.

. أنت متفائل قوي.

. أتمنى خطتي تنجح.

.....

. إيه حكاية ابن عمك دا..طلع منين؟

. من تركيا...روحت البيت النهاردة لقيته في وشي..

. فجأة كدة

. مش بس كدة...دا ناوي على جواز

. جواز...أنتي بتهرجي !!!؟؟

ضحكت بسخرية:

. لا والله...لقيته هو وتيتا بيتفقوا من غير ما ياخدوا رأيي

. وعملي إيه

. أ....

قاطعها يد وضعت على كتف سليم ليلتفت باستغراب:

. شكلك طولت قوي...عن إذنك.

بعينين تقدحان غيظاً راقبته بعجز يحتل مكان سليم الذي انسحب بإحراج:

. أيه اللي عملته دا؟؟

ضغط على خصرها حتى تأوهت:

. ارقصي...

. أنت...

اخترقها شعاع عينيه الشديدا السواد ليلجم لسانها:

. أنا إيه يا دكتورة؟؟

.....

توقفت الموسيقى فجأة وأضيئت الأنوار ليصفق الحاضرون...ظلت مسمرة مكانها

تبادلته التحديق بتحدي مماثل حتى دفعها:

. اتفضلي نرجع مكاننا ولا عاوزة نبقى فرجة للناس.

.....

هتف ليث وهو يعيد ميسم لمائدتها:

. ياسر بيه وصل...

تلفتت بفضول فهتف:

. تجاهليه تماماً... واضحكي...

مر ياسر من جوارهم بعد أن أهداهم نظرة مزلزلة وصعد لتحية العروسين... وقف مهاب

يصافحه عندما انحنى يحدثه:

. عاوزك ضروري

تلفت مهاب باعتذار لعروسه اللامبالية وتبعه حتى ابتعدا عن صخب الحفل:

. فيه إيه يا ياسر؟

. مش عارف أقولك إيه... أنا عارف أنه مش وقته... بس اللي بيحصل دا كتير.. كتير

قوي...

. فهمني بس إيه اللي حصل؟

. مهاب... هسألك سؤال ومن راجل لراجل بلاش تكذب عليا بحق العيش والملح اللي

ابن عمك معرفش يصونهم

. أوبا... دي الحكاية كبيرة قوي بقى

. تعرف مكان ريتاج؟؟

. يعني إيه السؤال دا؟؟ هي مش في الفيلا؟

. لا.. ليث مخبيها

. يعني إيه ليث مخبيها... إيه الكلام دا؟؟؟

. مش كدة ويس.. وكمان علاقته بميسم ريحتها فاحت قوي ومعادش يتكست عليها؟

. أنت بتقول كلام غريب قوي يا ياسر... مش ليث اللي يعمل كل دا؟؟

. أهه عمل.. وشكلك مش عارف أي حاجة؟؟

. بصراحة لأ... بس هو كان قالي أروح لريتاج في المعاينة الشهرية لأنها مش هتقدر

تروح المستشفى... بس مقالش حاجة تانية؟؟

. تمام... أنا هتصرف.. أعذرني مش هقدر أكمل الفرح وأشوفهم قدامي... هصور قتيل  
أكيد... كفاية أمي اللي هتموت بحسرة بنتها اللي متعرفش مكانها  
. مش عارف أقولك إيه... هسأل ليث وأكيد هيكون عنده إجابات معقولة بدل الجنان  
اللي بسمعه دا؟؟  
. ليث خلاص اتسعر ومافيش منه فايده... أنا الأقي أختي بس وهسفرها في أي بلد  
تانية ميعرفش يطولها فيها... أنا هوريه...  
راقبه مهاب ينسحب بخطواته التي تكاد تهد المكان من قوتها... هم بالعودة لزفاه  
الكارثي عندما وجد ليث يبحث عنه:  
. أنت فين يا عريس.. طفشت من أولها...  
. ليث.. عاوزك في موضوع مهم؟؟  
. دلوقتي... أنت بتهرج؟؟  
. يا ريت... اسمعني...؟؟  
.....  
. رقية.. مالك يا حبيبي...  
. دماغى بتلف ..  
رفعت سلمى عنقها لينتبه رأفت:  
. يا أستاذ رأفت.. رقية باينها تعبانة  
التفت لزوجته:  
. حبيبي مالك؟؟?  
. أنا كويسة متقلقش... تأثير حبوب الحساسية بس...  
. خلاص تعالي نقوم.. أصلاً الواحد صدع من الدوشة  
. أولك... سوري يا سلمى كان نفسي أقعد معاكي للآخر  
. متقلقش.. بكرة أن شاء الله هحكى لك آخر أخبار العروسة ذات النظرات  
الفولاذية...  
ضحكت الفتاتان بينما رأفت يحيط خصرها بذراعه ليقوم حركاتها المترنحة:

. إيه اللي عملتيه في نفسك دا بس...

. رأفت... قلت لك أنا كويسة

. ما هو واضح.. تصبحوا على خير... صدفة سعيدة يا عثمان بيه

. أنا الأسعد يا رأفت بيه... أن شاء الله يكون في تعاون مثمر في المستقبل

. إن شاء الله... تصبحوا على خير.

. إيه... زعلانة علشان صاحبتك مشيت؟؟ اطمني أنا معاكي.. مش هسيبك أبداً... وعلى

فكرة الولد اللي اسمه سليم دا... عمره ما هيعرف يمسك لجام مهرة عنيدة

زيك... إيدته طرية ومالوش في الرجولة

. اللي بتتريق عليه دا... مستقبله هيكون الجراح الأول في مصر ويمكن في الشرق

الأوسط كمان.

. يعني آخره بيقطع.. أنما أنا.. بوصل الود..

نفخت بزهق وهي تشيح بوجهها في الجهة الأخرى...

.....

. فيه إيه يا ليث؟؟

. ولا حاجة... ياسر كلم مهاب... كان بيحاول يعرف منه أي معلومات...

. ومهاب قاله حاجة

. مهاب ميعرفش حاجة علشان يقولها له.. أنا آسف يا ميسم... عمي بيشاور لي هضطر

أسيبك لوحدك تاني

. ولا يهملك.. أنا مش هتوه..

.....

توالت فقرات الحفل حتى ساعات الصباح الأولى عندما تعالت الزغاريد مرة أخرى

لتشييع العروسان حتى سيارتهم المزينة بالورود والتول الأبيض...

كانت ذراعا أمها الملوحتان آخر ما رأت بعد دموعها... بينما أخفت دموعها بين

لفائف خمارها الأبيض ما لبثت أن جففتهم متذكرة أقسامها واحداً.. واحداً...

.....

نهضت لتفتح الباب بفتور... وجدت أحد الحراس يمد يده بعلبة صغيرة مغلقة:

. اتفضلي يا هانم... العلبة دي وصلت ديلفري:

. يعني إيه ديلفري... مين جابها؟؟

. منعرفش اللي وصلها قال ليد ريتاج هانم...

تلفتت حولها بارتياب ثم أغلقت بابها في وجهه:

. فضت الغلاف ثم غطاء العلبة لتجد موبايل حديث مكتوب عليه رسالة قصيرة

"افتحيني" فتحته لتصلها رسالة عبارة عن مجموعة من الصور...

وضعت يدها على فمها لتكتم شهقة ملووعة، وتهالكت على الأرض تقلب في

الصور... لتعرف معلومة جديدة... زوجها لم يصطحبها لفرح ابن عمه ليس خوفاً من

ياسر... ولكن لكي يصفو له الجو مع حبيبته... أحقرت الدموع عيناها والصور تتوالى

وهما يرقصان وذراعه تحيطها... وضحكة تجمعهما، عيناها في عينيه بشبق

العشق... ألفت التليفون دون أن تحتمل المزيد لتدب فيه الحياة برنين

وامض... أمسكته ترتعش ثم فتحت الخط لتستمع لصوته المقيت المقهقه:

. إيه رأيك في الصور... عجبك... وإيه رأيك في اللي وصلك الصور والموبايل وأنتي

في مكان يمكن أنتي نفسك متعرفيش هو فين؟؟ عرفتني أني أقدر أطولك وقت ما يجي

لي مزاجي... اللعب معايا خطر... خطر قوي يا ريتاج... يا ريت تفتحي مخك وكفاية

عناد... سلمني لي على حفيدي العزيز.

ألفت التليفون مرة أخرى لتخرط في بكاء حارق.

.....

. أنا فين...؟؟

. معايا؟؟

. أيوة ما أنا شايفاك... معاك فين؟؟

. في فندق....

حاولت الجلوس لينتابها دوار شديد فعادت تريح رأسها بين وسائد القطن المنفوش:

. فندق إيه.... فين البيت؟؟

. كانت حالتك صعبة...حجزت في أقرب فندق للفرح...

تأملته بابتسامة ناعمة لم يتوقعها:

. أنت عارف...أنا عاملة زي إيه؟؟

. زي إيه؟؟

. زي اللي عاملة دماغ كتاكت

قهقهه بحبور:

. كتاكت..

. أه...مش هم يقولوها كدة...حاسة أن دماغي بتطير وأنا بطير معاها...بحاول

أمسكها...بس هي بتهرب مني...

. أمسكها معاكي؟؟

. هتعرف...

اقترب بوجهه منها ليزدرد لعابه من رقة شفيتها البراقتان:

. هجرب...

وانقض بهدوء على شفيتها يرتوي من عقبهما، وينهل من رحيقهما...رفع رأسه مستعداً

لعتابها الشديد، ولكنه فوجيء بابتسامته المستمتعة:

. هه...مسكته...

. هجرب تاني..

أغمضت عيناها باستعداد لجولة أخرى...ولكن هذه المرة تجاوز كل الخطوط

الحمراء وهو يجرداها من حجابها، وعندما لم يلقى أي ممانعة أخذت أصابعه تعبت في

سحاب ثوبها بطول الفستان.

.....

. أنت بتعمل إيه؟؟

. بغير هدومي؟؟

. لو سمحت شو فلك أي أوضة تانية

. يعني إيه؟؟

. يعني زي ما سمعت...يا تشوف أوضة تانية يا هخرج أنا  
. شكران...لمي الدور وكفاية قوي اللي عملتيه النهاردة  
. أنا لسة معملتش حاجة يا دكتور...قلت أيه؟؟  
. مش هخرج...وأنتي كمان.  
. لو هيسمح لك ضميرك أنك تغتصبي يا دكتور نفذ اللي في دماغك  
. أغتصب أيه وزفت إيه...إيه كلام العبط اللي بتقوله دا؟؟  
. هو دا اللي عندي مافيش أي علاقة هتكون بينا...  
. مش بمزاجك  
. لا..حضرتك فاهم غلط...كل حاجة بمزاجي..والا...هتكون إغتصاب...  
عن إذلك.  
وتركها تتجاوزه يحدجها بنظرات مقيمة حتى دخلت الغرفة المقابلة واغلقت الباب  
خلفها.

\*\*\*\*\*

## الفصل الخامس عشر

.....

. كل دا فطار... بيض عيون... وفول... وجبنة دوبل... وكرواسون... وإيه في البرطمان  
دا... نوتيللا... يا سلام.. أنتي مدلعاني قوي... أحسن أتعود على كدة.

. وماله لما تتعود... من حقتك شوية دلح

. ماشي يا ستي... طالما أنتي أمرتي... بس أنتي الخسرانة... معدتي هترفض بعد كدة  
ترجع للتقشف من تاني...

. طول ما أنا موجودة معاك ما فيش تقشف

. ودا لحد أمتي...

أطرقت بارتباك:

. لحد ما ألاقي شغل؟؟

. وهو الشغل دا مش عاوز ورق وشهادة ميلاد وشهادة تخرج؟؟

. أيوة طبعا

. والورق دا فين؟؟

بهتت:

. فين؟؟؟

. أيوة يا بنتي... لازم نستخرج لك أوراق... نعمل لك شهادة ميلاد وبطاقة ما ينفعش  
تفضلي كدة..

. عندك حق... بس لازم الأول نشيل اللي على وشي دا... أنا مش عارفة ليه الدكتور  
رفض يشيل الشاش من على وشي... رغم أن كان مأكد عليا أني مش هخرج قبل ما  
أشيلها... أكيد في حاجة، أكيد التشوه اللي في وشي مش هيروح وهفضل عايشة طول  
عمري مشوهة... يا ريت العربية اللي خبطتني كانت موتتني.

. أستغفري ربك ... هو اللي بيقبض الروح، "فإذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا  
يستقدمون" صدق الله العظيم

. صدق الله العظيم.

. أوعديني تحاولي تلاقي شباك في الأوضة الضلمة المقفولة اللي حبستي نفسك  
فيها... طاقة نور تدخل لك نور الشمس، وتطرد أحزانك.

. أحاول... أوعدك...

.....

تمطت بكسل وشعور لذيذ يراودها... فكرت أنها لن تستيقظ اليوم... لتحتفظ بهذا  
الشعور لمدة أطول... لأول مرة تستلذ الكسل وتتمنى لو تطل ساعات الليل... فتحت  
عينها تحديق بالسقف... اللحظات الأولى انتابها شعور غريب... هذا لاسقف يبدو  
غريباً... كانت تنوي تجديد الغرفة ودهانها، هل حدث هذا فعلاً... السقف  
يبدو... جديداً... وهذه الثريا الغالية الثمن!!!!

نزلت بنظراتها ببطية لتقع على الحوائط... تبدو بعيدة عن المعتاد... وكأن الغرفة اتسعت فجأة بعد الدهان الجديد...

نزلت عيناها لتصل للغطاء، ما يزال عقلها يرفض أي تفسيرات أخرى، ووجد صعوبة في مشكلة الغطاء... هل تهورت ودفعت كل مدخراتها لتشتري هذا الغطاء الفاخر... متى حدث هذا تماماً...

رفعته لتمعن التطلع فيه عندما شهقت بصوت مرتفع بصرخة كادت تصاب بعدها بانهيار وهي تجد نفسها بدون ملابس تماماً... أعادت الغطاء لاهثة والتفتت بحدة بجوارها لتراه نائماً على بطنه بملامح شبقة كهر أتى لتوه على طبق من الحليب الدسم. وقد كان يبدو... بدون ملابس هو الآخر...

أعادت النظر حولها لتدرك أنها من المستحيل أن تكون في بيتها... أين هي إذن... وماذا حدث... وكيف... ولماذا سمحت بحدوثه؟؟؟؟؟؟

. صباح الخير يا قمر

رفعت الغطاء لأعلى عنقها بخوف:

. رأفت... أحنا فين...

ركن رأسه على أحد ذراعيه يتطلع لها بنظرة غريبة:

. أنتي نسيتي... كنتي داخنة امبارح...

. أه... افتكرت.. وأنت قلت لي هتجز في فندق... هو أنا وافقت؟؟

تمتم بنظرة متسلية:

. أكيد مش هجرك لهننا غصب عنك.. كان زمانهم قبضوا عليا

. أه... وإيه اللي حصل؟؟

. أممممم... أنتي ناسية كل حاجة؟؟

دافعت بإحراج:

. لأ... مش ناسية... بس... أحنا عملنا كدة ليه؟؟

. كنت ناوي أعتذر لك... بس بصراحة... صعب قوي أن أي راجل يعتذر عن علاقته  
بمراته... دا شرع ربنا يا دكتورة.

. أه... أنا فاهمة... بس احنا متفقناش على كدة... أحنا اتفقنا على... الطلاق.

زفر بتعب:

. أنا مش هغصب عليكى تفضلي على ذمتي... أه الأمور أصبحت مختلفة  
دلوقتي... بس لو مصرة...

هتفت بحدة مبالغة:

. أيوة مصرة..

نهض يلف أحد الملات حول خصره:

. براحتك... دلوقتي... أقدر أقول... أنا آسف...

عضت على أصابعها بعد خروجه للحمام... واحتارت ماذا تفعل... حدقت بالباب  
المغلق وصوت انهمار الماء يأتيها مكتوماً... وشهقت "هل أحبت زوجها؟؟"

.....

. الموبايل دخل هنا إزاي يا ريتاج؟؟

. معرفش.. أسأل رجالتك... أنا محبوسة بين أربع حيطان... أكيد مخرجتش جيبته  
ورجعت حبست نفسي تاني؟؟



زغرته لائذة بالصمت فأعاد السؤال:

. ليه يا ريتاج... لجأتي لأخوكي وأنا جوزك... هربتني مني ليه؟؟؟ ويعني إيه كلمة غرامياتك

دي... جمال محجوب قالك إيه تاني...؟؟ كذب عليكى وقالك إيه وصدقته؟

. الحاجة الوحيدة اللي مكذبش فيها، والدليل أهه.

انتزعت الموبايل من يده وفتحته على الصور ثم ألقته له بقرف:

. إيه رأيك يا ليث بيه... لسة مصمم أنه كذاب؟؟

رمقها بسخرية:

. الصور دا كانت امبارح بس... أنتي مقلوبة من قبل كدة بكثير

. علشان مكنتش محتاجة لصور علشان أعرف قد إيه أنت رجل خاين وغشاش؟

. والله... وحضرتك عرفتها لوحدهك؟

. لأ... شوفتك بعينية يا ليث بيه، وأنت واخدها في حضنك وبتركب معاك العربية.

. شوفتينا... أنتي متأكدة؟

. طبعاً متأكدة...

. ماشي يا ريتاج... أنا فهمت دلوقتي... نحل أول مشكلة الأول... مشكلة جمال

محجوب... وحماية عيلتي من أي خطر.. هي دي أولوياتي مهما كان تفكيرك فيا.

. اتفضلي...

. على فين... مكان حتى جمال محجوب بكل اتصالاته مش هيعرف يوصلكم فيه...

.....

. يا مرحب يا مرحب.. أخيراً الدكتور سيف شرفنا في البلد...دحنا عندنا فرح  
النهاردة...إيه اللي جرى في الدنيا...أنا مش مصدق عيوني...منورة يا ريتاج يا  
بنتي...متأخذنيش...بس فرحتي بسيف متتقدرش...

. أحنا اللي مقصرين فعلاً يا عمي...سامحنا...

. أنتي مافيش عليكي ذنب..الذنب كله على اليه اللي فاكر نفسه كبير خلاص وما عاد  
له كبير يسأل عليه ويطلب رضاه.

. ليه بس كدة يا عمي...والله مشاغل

. معلوم...وناوي تخليهم عندنا سواد الليل

. لا أظمن...ريتاج وسيف هيقعدوا لحد ما تزهقوا منهم

شهقت سعاد وهي تحمل سيف برغم اعتراض سلامة:

. يا خبر...معقولة أحنا نزهق من القمر دا...دا كلام يا سيف...طب سيف هو اللي  
مصبرني لحد ما أشيل لمهاب...امشي أنت شوف أشغالك وخليهم وأحنا هنعطهم في  
عيونا..

تمتت ريتاج بسخرية:

. أه...روح شوف أشغالك كويس أحسن تتعطل...حرام..

وقف متجاهلاً بسخريتها:

. عمي عاوزك في موضوع على انفراد...

غاب كلاهما في غرفة مغلقة لنصف ساعة خرج بعدها ينادي ريتاج:

. لو سمحتي يا ريتاج عاوزك..

أوماً لها سلامة وقد ظهر عليه التفهم عن سبب وجودها فدعمها بابتسامة مطمئنة.. دخلت للغرفة نفسها... أغلق الباب والتفت لها:

. أنا قلت لعمي على كل حاجة وهو مش هينخلي نسمة هوا تعدي عليكم من غير ما يعرف مصدرها... والغفرا هنا محدش يقدر يشتريهم... يعني أكثر مكان أمان ليكي ولسيف هنا عند عمي سلامة... مافيش داعي تخلي ياسر في صراع مع عمي... هتحتطيهم الاتنين في مواجهة مع بعض، لا عمي ولا أخوكي يستحقوا يكبر بينهم عداء مالوش أي لازمة..

وأنا هكلمه علشان نتفق على طريقة نواجه بيها جمال محجوب... يا ريت تكلميه... تفهميه أنك كويسة وفي أمان... وحاولي تقنعيه أنه يتعاون معايا.  
. وياسر هيقنع بسهولة كدة...

. لو اقنعتيه أن الأوهام اللي في دماغك دي ملهاش أي أصل هيقنع  
. أنا متعودتش أكذب.. خصوصاً على أخويا...

. كدة يا ريتاج... بكرة تندمي على كل اللي بتعمليه دا.. أشوف وشك بخير.  
أشاحت بوجهها عندما حاول تقيلها. زفر بإحباط وغادر المكان.

.....

لماذا تلحق به... أوصلها لشقتها واعتذر منها لتأخره على الورشة... كادت تطيح الضرب في عزيزة بنظراتها الحاسدة الحاقدة... دخلت غرفتها وأوصدت الباب... ارتكنت عليه ومشاهد ليلة الأمس تتكرر باستمرار وكأن عقلها اختزنها كلها ليلقيها عليها بكل تفاصيلها المخزية... صجمت من نفسها... لأم تكن غاضبة منه ولا من نفسها... لقد تأكدت الآن... يبدو أنه تسلل لقلبها في غمرة معاركهما ومشاحناتهما اليومية... فتحت الباب وقررت اللحاق به.. لأبداً أن تخبره أنها لا ترغب بالطلاق منه... وأنها أحبته... وستعيش معه حتى لو كان ميكانيكي.

وقفت تراقبه من بعيد... كان يبدو شارداً على غير عادته، رغم مشاكسات ددق التي لم تجدي معه فتركه وذهب لعمله... ملأت رئتيها بالهواء وتقدمت خطوة لتتوقف مسمرة... لقد توقفت سيارة فارهة أمام الورشة... انحنى يطالع وجهها من النافذة المجاورة... دارت بينهما مناقشة لم تسمع منها كلمة واحدة... ولكن رنات ضحكاتها اخترقت المسافة وضربت أذنيها في مقتل، لوح بذراعه لددق بكلمات سمعتها... وفتح الباب ليحيط وجهها براحتي يديه ويقبلها باشتياق كادت ان تتطور لعناق، لولا صفير ددق الذي أعاده للواقع وهو يشير لها لتتطلق بسيارتها... وانطلقت.. لم تترك خلفها أثراً إلا ذرات غبار متطاير التصق بحلقها لتسعل بقوة حتى دمعت عيناها... وقف ددق يحدق فيها بنظرات متأثرة... قطع الطريق ليصل إليها ولكنها ركضت مبتعدة والحقيقة تصدمها بقسوة "لقد عاد لزوجته... عاد لزوجته... وهي لم تكون إلا مرحلة انتقالية... فقط.

.....

. ناموسيتك كحلي... كل دا تأخير... لو كنتي العروسة كنتي جيتي أمتي

. إزيك يا سلمى؟؟

. ياااه لسة فاكرة... مالك يا رقية

. ولا حاجة... عاوزة اشتغل...

. تعالي يختي الشغل على قفا مين يشيل...

حاولت إغراق نفسها في العمل... أن تنساها، وتنساه... ودهشت... كيف تغلغل تحت جلدها في هذه الفترة البسيطة... نعم اعترفت بحبه... ولكن أن تحبه لدرجة العشق... متى حدث هذا... عندما رآته ينظر إليها... يقبلها و...

. رقية... فوقى...

. إيه.. في إيه؟؟

جذبتها سلمى من ذراعها تبعتها عن آذان الممرضات:

.كنتي هتديني للمريض حقنة غلط....رقية...روحي ارتاحي بدل ما تودي نفسك في  
داهية...وبعدين نتفاهم في اللي جراك.

جاء صوت خلفهما:

.أنا هاخذها للكافيتريا و هنشرب نسكافيه...أكيد الدكتور مش مركزة بس علشان  
سهرة امبارح.

ادهشة سلمى لم تقاومه رقيه وهي تتبعه بشرود، بينما اشتعلت الغيرة بأحشائها. وعيناه  
تعودان لتألقا بعشقه القديم...

تبعتهم سلمى لا تصدق ما تراه...لقد فقد عقله حتماً...لم يبالي بنظرات الممرضات  
والتكهات التي بدأت تنطلق...ولا باستنكار زملائه وزميلاته...وكأن فرصة سقطت له  
من عنان السماء وقرر استغلالها، حتى لو كانت لا تعي ما يحدث حولها كما هو  
الحال مع رقية الشاردة في عالمها.

ولكن سلمى أدركت أنها كانت تركض خلف وهماً أرادت بشدة أن تصدق أنه  
حقيقة...كرهت نفسها ورقية وسليم وكل العالم الظالم حولها...خلعت البالطو الأبيض  
وألقت به أرضاً وهي تركض خارج المشفى....

فوجيء عثمان بعودتها في غير موعدها:

.سلمى...خير...حصل حاجة...كنت هاجي أخدك بالعربية في معادك

بعينين كالزجاج هتفت:

.عثمان...أنا موافقة على الجواز...حدد المعاد...لو بكرة معنديش مانع.

## الفصل السادس عشر

.....

. دكتورة رقية... أنتي مش معايا خالص

. هه.. لا أبداً يا دكتور سليم... بالي مشغول بس بمشكلة كدة

. أقدر أساعدك في حاجة..

ارتفعت عيناها تحديق به باستغراب عندما مد يده عبر المائدة يلتقط كفها، همست

بسحبه منه عندما لمحت خيال مألوف قادم باتجاهها... فتركت يدها على مضض

متصنعة ابتسامة شجعت سليم على مد يده الأخرى لاحتضان يدها:

. أنا متشكرة قوي يا سليم... مش عارفة من غيرك كنت عملت إيه؟؟

ضاقت عيناها باستغراب:

. أنا معملتش حاجة

. لأ إزاي... وجودك هنا جنبي دلوقتي أكبر دعم ومساعدة ليا... مش هتتخيل أبداً أنا

ممتنة ليك قد إيه؟

. ممكن أساعده أنه يتخيل...

لم تدعي المفاجأة عند اقتحام رأفت لخلوتهما وجلوسه على المقعد الثالث

بينهما.. سحب سليم يديه متأخراً متمتماً بارتباك:

. أستاذ رأفت... المدام كانت...

أوما رأفت بابتسامه ساخرة:

. أيوة.. فاهم.. شكراً يا دكتور... لأنك ساعدت المدام في الوقت اللي كانت محتاجة فيه لجوزها... بس أنت كنت موجود..

راقبته بازدرء ثم التفتت لسليم:

. ممكن تسيينا لوحدنا يا دكتور.. وآسفة على الموقف السخيف

تراجع بمقعده مسبباً صوتاً مزعجاً... تجاهل الهمسات واللمزات من حوله وغادر بسرعة كأنه يخشى ملاحقة رأفت... ألقى نظرة على يدها التي ما تزال مكانها حيث تركتها يدا سليم:

. مكنتش عارف أنك محتاجة... دعم!!!

أشارت لملابسه وشعره المصفف:

. لحقت ترجع البيت وتغير هدومك، وتستحمي... بس الهدوم دي مكنتش في البيت... هي جديدة؟؟

ألقى نظرة خاطفة على قميصه الثمين ماركة "بولو" وأوما:

. لا... دا كان من ضمن هدومي اللي في بيتي الثاني.

أشاحت بوجهها لتلتقط عدة أنفاس بعيداً عن مراقبته، ولاستعادة أنفاسها كي لا تخذلها دموع القهر... التفتت له بشفة ممطوطة:

. حلو... أفهم من كدة أنك اتصالحت مع المدام..

ضاقت عيناه محاولاً أحداث أي ثقب في ذلك الجدار الجليدي الذي أحاطت به  
نفسها فجأة:

. شكلك مش مهمة...

استطاعت أخراج صوت يدل على الإزدراء وهي ترتشف من كوب النسكافيه البارد:

. أهتم بيايه... وبمين....أحنا كنا واضحين من أول يوم....فترة مؤقتة وبعدين..

. حتى بعد اللي حصل بينا امبارح...

ارتشفت رشفة أخرى بضحكة أتقنتها:

. عادي...زي اللي بيحصل بين أي اتنين متجوزين... كدة كدة اتحسبت عليا جوازة.

. أنتي شايفة كدة؟؟

. ليه...هو أنت شايف غير كدة؟؟...بما أنك اتصالحت مع المدام خلاص... أعتقد

المية ترجع لمجاريها وتتطلق النهاردة.

. بالبساطة دي؟؟

. أنا مش شايفة أي تعقيدات...أنت موافق..وأنا موافقة.

. أولك...ممكن ترجعي معايا البيت ألم حاجاتي...

بصوت غريب هتفت وهي تنهض:

. أه طبعا..اديني خمس دقائق أقدم على إجازة عارضة...

أوقفها:

. طبعاً الدكتور سليم هيتقدم لك على طول؟؟

. مش شايفة أن الموضوع دا يهملك قوي... أنت رجعت لمراتك بدون ما تستأذن مني... لأنها حريتك الشخصية...

. أه صحيح... فاتتني دي... بس لو أنتي متمسكة بيا.. هتفرق.

. هتفرق في إيه؟؟

. ممكن مثلاً أستغنى عن سارة علشان خاطرك

. لا... مظنش أنك مهم عندي للدرجة دي...

. بس أنا كنت فاكر بعد الليلة اللي فاتت...!!!

. أنت ليه مش عاوز تفهم... الليلة اللي فاتت أنا مكنتش في وعيي... دوا الحساسية

اللي أخذته خلاني مش بوعيي، وأنت استغلّيت حالتني...

اسود وجهه وجحظت عيناه بانفعال:

. قصدك أني....

هتفت بقلق عندما لاحظت حالته:

. لا... من فضلك يا رأفت هدي نفسك، ضغطك لو ارتفع ممكن....

وقف أمامها ممسكاً بذقنها بين أصابعه بقوة مؤلمة:

. ما تقلقيش يا دكتورة... أنا قلبي بقى حديد

أزاحت وجهها عن ملمس أصابعه:

. أكيد تأثير رجوعك لمراتك ... أن شاء الله يا رب دائماً.. عن إذنبك...

تهالك منهكاً على مقعده ، يده ضاغطة على صدره بقوة محاولاً ابتلاع ألمه  
المبرح....

كان بانتظارها أمام سيارته التي تراها للمرة الأولى فتح لها الباب بحركة استعراضية:

. اتفضلي يا مدام

. يظهر أنك رجعت كل اللي ضاع منك... مش مراتك وبس

أوماً بنظرات قاتمة... فكرت بعناد أن ترفض الركوب.. ثم تراجع خوفًا أن يظنها  
متأثرة... جلست بملامح باردة فأغلق الباب خلفها واستدار حول السيارة ليعتلي  
المقود... أدار المحرك دون النظر إليها وانطلق بسيارته الفارهة:

. على فكرة... حالتك متسمحش أنك تسوق عربية... أعتقد أن وضعك يسمح لك  
تعيين سواق.

. على فكرة... نسيت أقولك أنني قررت أغير الدكتور بتاعي... علشان بس تريحني  
نفسك من وجع الدماغ.

فركت أصابعها في حجرها وأومات بابتسامة باهتة تمت لو دعمتها بكلمة أو كلمتين  
لا مبالية، ولكن لو حدث لانهارت باكية متمسكة بذراعه ليعرف أي حمقاء هي، التي  
سلمت قلبها لرجل لا يستحق... رجل لم يفكر مرتين وهو يستعيد حياته ويلقي بها في  
قمامة الذكريات.

دخل خلفها حتى الغرفة رغم أنها طلبت منه أن ينتظرها بالخارج كأنه بات غريباً لا  
يقربها بصلة.

أجفلت عندما صفق الباب خلفه... نظرت له وارتعبت من نظراته الغريبة... تجاهلته  
وفتحت الدولاب لتخرج ملبسه وتلقيها كيفما شاء على الفراش... ثم نظرت له... لم  
يتحرك من مكانه:

. لو سمحت.. ممكن تحط هدومك في الهاند باج... تقدم بخطوات وئيدة... تجاهلت  
شعورها بالخطر واقترابه يزداد... حتى أمسك معصمها ليمنعها مما تفعل.. تأوهت وهي  
تحاول نزعها منه فدفعها على الفراش فوق ملبسه.. هتفت برعب وهو يقترب  
وبأصابعه يفكك أزرار قميصه:

. أنت بتعمل إيه؟؟

نزع قميصه وألقاه في أحد الأركان بلا مبالاة:

. ولا حاجة... عادي زي اللي بيحصل بين أي اتنين متجوزين... وكدة كدة محسوبة  
عليكي جوازة... مش دا كلامك بالحرف...

ندت عنها صرخة فزعة وهو ينزع حجابها ثم يمسك بتلابيب ثوبها:

. رأفت... أبعد عني أحسن لك...

. أحسن لي إزاي يعني... أنا باخد حقي الشرعي....

. بس أحنا متفقين على...

. الطلاق... عارف... بس أنتي لسة مراتي، ولحد ما أبعث لك ورقة الطلاق هتفضلني  
مراتي ثلاث شهور العدة... يمكن أقل عقلي وأرجعك في أي يوم... وأجي بردوا أخذ  
حقي الشرعي... من غير ما تقدر تمنعيني... أو أي حد يقدر يغلطني...

مزق ثوبها نصفين ولم يبالي باعتراضاتها وهو ينقض عليها متغلباً على مقاومتها.

\*\*\*\*\*  
....

. إيه سبب التغيير المفاجيء في قرارك

. أنا حرة... ودا حق طبيعي لأي أنثى.... تغيير الرأي... ولا أنت متعرفش

. معرفش إيه؟؟

. أني أنثى؟؟

وقف أمامها يرقها بنظرة أعجاب:

. واضح طبعاً... بس ليلة أمبارح كنتي؟؟؟

قاطعته بحدة:

. كنت.... والنهاردة حاجة تانية... وبا ريت تلحق تحدد معاد الفرح قبل ما أغير رأيي

تاني.

قبض على مرفقها قبل أن تشيح بوجهها عنه وأعادها إليه يتأمل ملامحها الحادة

بنظرتها التي قلبت أحشائه... قربها منه أكثر ليشم عبيرها الماجن وقد عاث بنفسه

فساداً... رmq شفيتها المكتنزتان بنظرة جائعة:

. مش هسمح لك... الأسبوع الجاي كتب الكتاب والفرح.... وأقسم بالله العظيم... لو

غيرتي رأيك هتشوفي الويل وسواد الليل في عز النهار...

. أنت بتهدني يا عثمان؟؟

تأوهت من أصابعه التي انغرزت في مرفقها وهو يشدد عليها:

. أيوة بهددك... أنا مش زي أي راجل فكرتي فيه.... ولا حلمتي بيه... ولازم تكوني  
عارفة كدة كويس قوي.... أنا عثمان المهدي.... حياتك كلها اللي عدت  
كوم.... وحياتك الجاية معايا كوم تاني.... أنوثتك اللي بتتفاخري بيها دي هعيد كتابتها  
من أول وجديد، كل شاعر مش هيلاقني حروف يوصف بيها حوا اللي ساكناكي، وأنا  
بس هطلعها تتنفس من هوايا.

تراخت ركبتها فقومها لتقف من جديد تنظر له بعينين زائغتين، وأحاسيس سرت في  
أوردتها كالأسيد الحارق.... كانت على وشك تسليمه كل حصونها وهو يرمقها بتلك  
النظرة... ربت على شعرها.. اقترب ينفذ وعيده بتلك القبلة والتي سقطت على  
جبينها... عضت على شفتها بخيبة أمل... فقال بابتسامة حنون:

. لما تبقي مراتي... مش هخلي نفسك في حاجة.... اطلعي فرحي آنا بالخبر... وبلغيها  
أني عازمكم على العشا برة الليلة.

وصلت لغرفتها وما تزال تلك الحالة من الغيوبة تلفها... جلست على فراشها ساهمة  
لتفنيق متلفتة حولها.... ثم نظرت للباب وشهقت:

. إيه اللي بيحصل دا.... هو إزاي عمل كدة... وإزاي أنا سكت... وإزاي هتجوزه... إيه  
اللي عملته في نفسي دا؟؟؟؟

\*\*\*\*\*

. هتفضلي على حالتك دي كتير؟؟

أزاحت عنها عن المجلة التي تتصفحها:

. حالة إيه؟؟

أنتي مش حاسة بنفسك ولا إيه... ولا تكوني لسة فاكرة نفسك عايشة في دواركم... لأ فوقي... أنتي بقيتي زوجة... ومش أي زوجة... زوجة الدكتور مهاب عبد الجواد.

. يعني أعمل إيه... أقوم أرقص ولا كل ما أشوفك أصلي ركعتين شكر لله، ولا أقولك... هبعت أجيب الشيخ درديري... بيقولوا شاطر قوي يحضر لك روح المرحومة... أهه تسليك.

احمرت عيناه بغضب:

. أنتي بتخرفي بتقولي إيه

وقفت أمامه عاقدة ذراعها على صدرها:

. إيه... مش عاجبك كلامي... مش هي دي الحقيقة... الدكتور سلامة أجبرك أنك تتجوزني، وأنت لسة عايش في الحلم القديم... اللي مقدرتش تحققه لما خطيبتك ماتت...

. وهي دي الحقيقة... أنا مخدعتكيش... لو مكنتيش عاوزة الجوازة دي مكنتيش وافقتني

. وهو من أمتي البنت يكون لها رأي خصوصاً لما يكون العريس ابن صاحب أبوها الروح بالروح... حاولت تكسرنني... حاولت تثبت لنفسك أنني عمري ما هوصل وأكون من مقامك... وأنا محييتش أخيب ظنك.

. كل دا كلام فارغ... الحقيقة الوحيدة أننا دلوقتي متجوزين.

. أه... وحضرتك عاوز شرع ربنا... حقتك... صح... بس يا دكتور يا متعلم حقي أنا فين... يوم ما هكون ملكك لازم أنت كمان تكون ملكي.

. أيه اللي بتقوليه دا....بتجيب الكلام دا منين؟؟؟

. ما هو اللي حضرتك مكلفتش خاطر ك أنك تعرفه أني خريجة كلية الآداب قسم علم  
نفس وحضرت الماجستير وبجهاز أوراق الدكتوراة.

تطلع لها بانهار:

. يعني كنتي بتضحكي عليا

. أنت مسألتيش، ولا اهتमित..

. ومطلوب مني إيه دلوقتي؟

. هنقضي كام شهر مع بعض لحد ما آخذ درجة الدكتوراة وبعدين نتطلق، نقولهم أننا  
معرفناش نعيش مع بعض

. أتي فكرتي كويس قوي في الموضوع، وعندك حل لكل مشكلة

. أعتقد أنك هترتاح كدة أكثر ، وهتخلص من جواز مش على هواك

. يبقى فهمتيني غلط يا بنت الناس...بمزاجي ولا غصب عني أنا اتجوزتك

وخلص...لو كنت فاكرة أن خططك هتمشي زي ما أنتي راسماها تبقى سوري

يعني...عبيطة قوي...ولو أبويا هنا وسمعك كان قالك نفس كلامي...أحنا الجواز

عندنا جواز أقباط...يعني للأبد...والطلاق والأفلام الخاوية دي منعرفهاش...وأي جواز

عندنا أساسه العيلة...يعني أبويا جوزني علشان أعمل عيلة وأفرحه بعيالي....مش أحرق

دمه بخبر طلاقي بعد كام شهر.

. يعني إيه...

. يعني تقعدي كدة مع نفسك وتعيدي حساباتك من أول وجديد، أبويا عاوز بعد تسع أشهر عيل من صلبي...

شحبت بانهييار:

. لأ... مش ممكن... أحنا لازم نتطلق أنا مش طايقة أشوفك، أخلف منك إزاي؟؟

. والله دي مشكلتك... مش مشكلتي... أنا متجوزك مش علشن سواد عيونك ولا جمال قوامك... جوازي منك علشان العيال... مش واحد ولا اتنين... لأ... لحد ما أبويا يقولي كفاية يا مهاب.

. أنت مش ممكن تكون بني آدم طبيعي.

شمخ بأنفه بتعالى:

. هخرج أتفسح مع أصحابي... أرجع ألاقكي نقلتي في الأوضة بتاعتي... مش لازم تقضي فيها طول الليل... يكفيني بس لحد ما آخذ وطري منك وبعدين تغوري في أي داهية بعيد عن وشي... والوضع هيستمر على طول... ولو مش عاجبك... روحي دوري في كتب علم النفس بتاعتك أكيد هتلاقي علاج يخليكي تتقبلي حياتك الجديدة.

راقبته بذهول يخرج ويصفق الباب خلفه... تهالكت على المقعد محدقة في الفراغ تشعر بكل أحلامها تنهار فوق رأسها دفعة واحدة... هزت رأسها محاولة الفكك من القيد الوهمي الذي بدأ يلتف حول عنقها وكلمة واحدة تتردد في رأسها تنحر كبريائها وأنوثنها وكيانها... مجرد عبدة لرغباته... جارية في بيته... مربية لأولاده... عبدة... جارية... مربية"

ولم تغسل فيض دموعها كل هذه الأحزان التي تراكمت على قلبها جفعة واحدة.... لا وجود لأي مخرج... لا يمكنها الاستنجاد بأمرها، ماذا ستقول لها...؟؟ ولا أي واحدة من قريباتها... ولا صديقاتها....

صرخت بنحيب "ماذا يعني... هل سأستسلم... هل سيعود ليجدني محنية النحر ليذبح وكأنني بهيمة لا رأي لها ولا قرار... هل سأسلمه بيدي حبل الوتين... ليستحل دمي بدون دية ولا فداء؟؟"

\*\*\*\*\*  
.....

. أرجوك يا ليث بيه... أنا مش مرتاحة للخطوة دي.

. مش هينفع يا باشمهندسة... الوضع بقى خطير جداً... مراتي وأولادي في خطر... وعلشان أنقذهم لازم ياسر يساعدي...

. ووضعي ماله ومال كل اللي بيحصل دا...؟؟

. ياسر زي ما أنتي عارفة فاكر أن بيني وبينك علاقة... حتى مراتي شافتنا مع بعض يوم ما وصلتك لحضانة ميسون... يوم الحادثة... الوضع دا هيتحل لما كلنا نقعد مع بعض ونوضح الأمور.

وقت باحتداد:

. أنا آسفة جداً يا ليث بيه... حضرتك ممكن تحل مشاكلك بالطريقة اللي تريحك.. بس أنا مش هسمح لك تفشي سر أستأمنتك عليه... وياسر لما يحب يعرف عني أي حاجة هيعرف.. خاصة أن الظروف سمحت له أنه يقابل ميسون... لو عنده مشاعر حقيقية كان

حس بيها من غير ما أقوله... أنا هنت كرامتي كثير علشان خاطر بنتي، انكساري مش هيربي بنتي اللي ملهاش غيري... عن إذنك يا... ليث بيه.

اتجهت نحو الباب لتغادر عندما اصطدمت بياسر في طريقه للدخول... شملته بنظرات محتقرة ثم تجاوزته بتعالي... راقبها بأسنان متضارسة ثم التفت لليث... انتفخ صدره وكأنه اضطر للقدوم:

. ريتاج كلمتي... لولا كدة مكنتش جيت المكان دا تاني... أتفضل عاوز تقول إيه؟

تنهد ليث بانزعاج فالوضع أصبح سيئاً بانسحاب ميسم:

. أول طلب... عاوزك تروح لمراتك تحاول تتفاهم معاها لآخر مرة

. هه... مراتي... أنت فاكر أنها لسة على ذمتي بعد ما علاقتكم ريحتها فاحت و...

ضرب ليث بقبضتيه على مكتبه:

. الطلب التاني... جمال محجوب بيهدد ريتاج... طبعاً أنت عارف المعلومة دي... اللي

متعرفوش أنه وصلها في المكان اللي أنت معرفتش توصله...

ظهر الاهتمام أخيراً على ياسر وهو يجلس مصدوماً أمام المكتب:

. يعني هي مكانتش عند والدك من الأول

. لأ يا ياسر... أنا نقلتها بعد ما وصل لها... شوفه عاوز إيه... ريتاج مرعوبة... الوضع دا

مينفعش يستمر كثير... لو مش قادر عليه قولي وأنا هبلغ عنه .

. بتهمة إيه... أنت ناسي أنه محامي.. ومش أي محامي... يعني كل اللي عمله دا... ومش

ممكن هتمسك عليه غلطة.. مافيش تهمة نقدر نحجزه بيها يوم... ساعة واحدة.

. يعني إيه...؟؟

. يعني هو عاوز تخطيط تاني بعيد عن البوليس... الطرق السالكة مش هتخلصنا منه...

. فكر هتعمل إيه وأنا معاك في أي حاجة..فلوس..امكانيات..ولو مؤقتاً نجنب

خلافاتنا ونتعامل مع الموقف:

. بشرط...أمي هسفرها تقعد مع ريتاج....أعتقد أن الدكتور مش هيعترض...وبالمرّة

نأمنها هي كمان.

. معنديش مانع...

. اتفقنا....

. ياسر...اتكلم مع ميسم...مش هقولها تاني...

هم بالاعتراض عندما لاحظ نبرة ليث الغريبة وكأنه يحاول توصيل رسالة ما....أوماً

بشروود وهو يغادر المكتب.

## الفصل السابع عشر

.....

الهدوء يكاد يصرخ في الأنحاء... تلفت حوله عله يلتقط أي صوت يبدده، أو ضوء يشيح الظلام المقبض... مد يده يفتح الإضاءة... لا أحد... المجلة ما تزال ملقاة على الأرض بعد أن أوقعتها... غير ذلك كل شيء مرتب في مكانه... تحرك حتى وصل لغرفته... توقف قبل أن يفتح بابها وألقى نظرة على الباب المقابل المغلق... زفر بسخرية وهو يفتح باب غرفته... أضواء المصباح الجانبي للفراش وشرع بخلع جاكته بذلته.. ألقاه جانباً وبدأ بفك رباط العنق عندما تجمدت أصابعه وهو يحدق في عروسه التي افترشت فراشه كجنية الأساطير... بثوبها الفضفاض الأبيض وفتحة صدره الهائلة... وشعرها الذي تحرك حولها مع الهواء الذي اقتحم الغرفة معه... حدجته بعينها النجلاوين وكأنها توصلت لحل الأحجية التي تركها غارقة في ألغازها... والآن تركت الكرة تصول وتجول في ملعبه... أكمل خلع رباط عنقه وألقاه مع الجاكت... وبدأ بفك أزرار قميصه.

ازدردت لعابها بصعوبة مدركة ما أقدمت عليه لتوها... أشاحت بعينها عندما أخجلها جرأته ووقاحته بالتجرد من كل ملابسه... استلقى على الفراش بعد أن ألقى عليها نظرة جائعة... لم يظن أنه قد يفقد السيطرة على تحكمه في نفسه، قرر أن يلقيها درساً ليدس أنفها المتعالي في التراب، وعندما رآها تمنى لو يتجاهلها ليكتمل الدرس... وكاد أن يفعل بعد أن تعمد التجرد من ثيابه للمزيد من المتعة في إحراجها... ولكن المتعة الأكبر كانت في إخضاعها... شهقت بخوف وهو يجذب يدها ليحبسها على الاستلقاء... أغمضت عينها بقوة كي لا تكون شاهدة على انتهاك أنوثتها.

لماذا في هذا التوقيت بالذات... لم يعرف... ربما لأنها لم تبارح أفكاره تلك الصغيرة التي أنقذ حياتها ذات يوم... كان الباص متوقف في مكانه... ظل مكانه يراقب حتى رأى المشرفة تخرج من بوابة العمارة والصغيرة ممسكة بيدها... ابتسم بسعادة غريبة وهي تتقافز بشقاوة بينما المشرفة تحاول السيطرة عليها... تمنى لو نزل وعانقها... تخلص من هذا الشعور بعد غياب الباص عن مجال الرؤية. ترحل من سيارته متوجهاً لمدخل العمارة التي غادرتها الصغيرة للتو...

دق قلبها بعنف والطرق المتواليه على الباب تنبئ بضيف ثقيل لا ترغب حتى بسماع اسمه... حاولت تجاهل الرنين المتواصل بالتبادل مع الدق على الباب... ثم خافت من أن يتسبب بإزعاج للجيران فأسرعت بفتح الباب:

. خير... فيه إيه على الصبح.... واشمعنى التوقيت دا اللي بتحب تزورني فيه؟؟

دفعها متجاهلاً احتجاجاتها ليجلس على أول مقعد بطريقه... دفعت الباب لتغلقه وجلست أمامه:

. ورقة طلاقى وصلتنى امبارح:

. عارف...

. عاوز مني إيه تاني؟؟

. مش عارف...

. يعني إيه مش عارف... أنا ممكن أبلغ البوليس دلوقتى وأخد عليك تعهد بمنع الاقتراب.

. وأنا محامي... هقولهم أني رديتك... حقي أني أردك في أي وقت.

. عاوز مني إيه يا ياسر...

. أنتي عاوزة مني إيه؟؟

. كنت عاوزة... لما كنت جوزي... كنت عاوزة تبقى عيلتي اللي عمري ما عرفتها... تبقى

سندي في دنيا مفيهاش غير وحوش سعرانة... كنت عاوزاك تبقى حبيبي وأبويا

وأخويا... بس خسارة.. خسارة..

. أنا كمان يا ميسم... كنت عاوزك تكوني كل حاجة ليا في الدنيا... لما كانت أمي

وأختي بعيد عني، كنت بتدفي بحضنك من برد اليتيم اللي كان بيدبطني كل

ليلة... كنت فاكرهم اتخلوا عني من غير ما يسألوا... ووقت ما احتاجوني اتخلت

عنهم... لأحد ما عرفت الحقيقة... والحقيقة دي غيرت كل حاجة جوايا... مبتقتش

عارف أنتي إيه...؟؟

. علشان كدة بعدت وحاولت تنساني

. أيوة... بس كل ما بحاول بلاقي نفسي برجع تاني... آخر حاجة كان الطلاق... طلقتك

علشان الخلاص... وللأسف... لقيت نفسي قدام بيتك... أيوة ليث هو اللي

شجعني... كدة كدة كنت هاجي... لأنني مقدرتش أبعده... أنا بحبك يا ميسم... وما فيش

أي واحدة تانية قدرت تاخذ مكانك في حياتي... أنتي كنتي أمي واختي

وحبييتي... ومفهمتش الحكاية دي إلا متأخر قوي... لما حسيت أنك بتضيعي مني

فعلاً..

. ما فيش أي علاقة بيني وبين ليث... أنت وريتاج فهمتم غلط...

. إزاي..ريتاچ شافتكم ب... .

قاطع حديثه رنين هاتفها...اعتذرت لتلتقطه..اتسعت عيناها بخوف وهي تفتح الخط وتسمع:

. يعني إيه مش فاهمة...مين اللي أخذها؟؟؟

وقف ياسر عندما لاحظ شحوبها الشديد وهي تصرخ:

. يعني إيه...مالكوش دعوة...أمال مين...أنا سلمتها ليكم وبلغتكم أن ما فيش حد

غيري هياخذها إلا لما أتصل بيكم بنفسي...

. ميسم..في إيه...

حدقت به بذهول والهاتف يقع من يدها:

. باباك...جمال محجوب...

. ماله...حصل إيه يا ميسم ردي...

. أخذ البنت من الباص...قالهم أن والدتها حصل لها حادث وطلع لهم البطاقة اللي

تثبت أنه جدها...وأخذها..

هز رأسه بعدم استيعاب:

. بنت مين اللي بابا أخذها؟؟؟

بذهول هتفت وهي تضرب على صدرها:

. بنتي...بنتي يا ياسر...بنتنا....

ردد كلمها مصدوم:

. بد...تنا...أحنا عندنا بنت؟؟

هزت رأسها تعتصر عيناها بدموع كاوية:

. أيوة...هي البنت اللي أنقذتها وهي بتعدي الشارع...دي ميسون بنتك.

دفعها يدور حول نفسه وأفكاره تحترق وتلاحم في عقله...وصرخ بها بعد أن التقط ذراعها يهزها بقوة:

. أزاااي...إزااااي تخبي عني؟؟؟ أنتي مجرمة...حقيرة....

. كنت عاوزني أقولك إيه وأنت كل ما تشوفني تطردني، مكنتش عاوز تعرفني أصلاً...أول يوم قابلتك كنت هقولك وفجأة لقيتك بتطلب مني أرجع أمريكا...كنت عاوزني أقولك إيه...أبوس إيدك خليني علشان خاطر بنتي؟؟

. دي بنتي...بنتي...

. وبنتي أنا كمان...ولا كنت عاوز تاخذها وتحرمني منها وتطردني برة البلد... حط نفسك مكاني...كنت هتعمل إيه يا ياسر بيه؟؟؟

. أنا هوريكي يا ميسم...هدفعك التمن غالي

. هات لي بنتي الأول...أبوك أخذها علشان ينتقم منك....

شهق بمعلومة أضاءت فجأة في عقله:

. يعني هو كمان عارف أنها بنتي

. كل الناس عارفة يا ياسر....إلا أنت...وليث كمان عارف...ولولا الظروف كنت هقول  
لريتاج....مكنتش هحرمك من بنتك...بس أنت حرمت نفسك منها بتصرفك.

. اتفضلي..ألبي هدومك

. هروح فين

. هخبيكي...لو كنت أعرف يا هانم كنت حميت بنتي زي ما حميت ريتاج

وأمي...علشان كدة ليث بعطني هنا....بس كان لازم يقولي

. أنا اللي منعته..

. أستغفر الله العظيم..أفضلني البسي هدومك قبل ما ارتكب جناية النهاردة.

\*\*\*\*\*

. متقلقيش...ورقتك مش هتأخر كثير....أنا عارف أنك كنتي ضاغطة على نفسك قوي

الفترة اللي فاتت علشان تتحملي وجودي معاكي...كنت فاكر أي بعمل خير وبحافظ

على سمعتك...وكان نفسي ننهي الارتباط وأحنا أصدقاء...بس زي ما أنتي

شايفة...معادش ينفع.

تمت بصوت منخوق محاولة كبت دموع المهانة بكل ما بقي لها من سيطرة واهنة:

. متحاولش تريح ضميرك...دا لو كنت عندك ضمير أصلاً...أنت حنيت

للحرام..الفلوس الحرام، والعيشة الحرام...ودور الزوج القرطاس

توهجت عيناه بهدير مرعب:

. رقية؟؟

. إيه.. جرحت إحساساتك... هو أنت عندك أحساس أصلاً... اتفضل.. مش أخذت كل اللي أنت عاوزه.. أتفضل اطلع برة...

. كور قبضته يلوح بها ثم هدأ فجأة متسائلاً بنبرة جادة:

. تكونيش غيرانة... قولها يا رقية، وأقسم بالله... هرمي يمين الطلاق على سارة بالثلاثة  
ومش هيمني أي حاجة، لا فلوسها ولا سلطان أبوها ولا أي حاجة في الدنيا... بس  
قولها... أنك بتحبيني ومستعدة تعيشي معايا عمري كله.

استغرقها الأمر لحظات حتى تمكنت من استيعاب كلامه... وتساءلت إن كان  
جاداً... أم يحاول أن يوقعها في فخ ما... لو لم تره بعينها يعانقها ويقبلها... ربما  
التقطت الطعم الذي يلقيه أمامها متوقفاً أنها ستلتقطه بكل سهولة.

هزت رأسها بابتسامة ساخطة:

. أنا مش مصدقة أنك بتقول الكلام دا... أنت بجد متوقع أني أتمسك بيك... على أي  
أساس... عندك أيه تقدمه لي يا... أسطى، فلوس مراتك الحرام... ولا أخلاقك اللي  
تسمح لك أنك ترجع لزوجة أنت اعترفت بنفسك أنها كل يوم مع راجل  
شكل... وبكل زيف وقدره على التمثيل زعلان قوي علشان لقتني قاعدة مع الدكتور  
سليم في كافيه المستشفى.... إيه الإزدواجية اللي أنت فيها دي.

. خلاص يا رقية... زي ما تحبي... قدامك ٣ شهور فكري فيهم براحتك.... وقت ما  
تحسي أنك مش هتقدري تستغني عني... أديني رنة بس... مع السلامة...

وصل حتى الباب ثم التفت لها:

. خلي هدومي عندك... كل ما شوقك يناديني امسكيها بين إيديكي... يمكن تحسي باللي ضيعتيه.

بكل هدوء أغلق الباب ليعم هدوء القبور بعد خروجه...

كتمت فمها وهي تجهش بالبكاء كي لا تسمعها زوجة أبيها التي ستفرح حتماً بمصابها... حاولت تمالك نفسها ودعمها... فهي كانت تستعد لهذه اللحظة منذ عقد قرانها... الطلاق لم يكن مفاجأة.

المفاجأة هي مشاعرها الخائنة... والتي غافلتها في سهوة وتشعبت جذورها في حبه... نعم أحبته ولكن في الوقت الخطأ... وهو على استعداد لاستعادة ماضيه الآثم... وكأن كل حكاياته عنه مجرد حزن على ما ضاع منه، وهو يتمنى رجوعه... وهي ما كانت إلا محطة في حياته... نعم كانت محطة باختيارها... ولكنها اليوم فقط كانت على استعداد لتقديم قلبها قرباناً لهذا العشق...

تحسست جسدها وكأنها تحافظ على لمساته عليه لأطول فترة ممكنة تستعيد تلك الساعات التي أعاد فيها إحساس الأنثى الذي ضاع منها في غمرة إنشغالها سنوات طوال في الدراسة والتحصيل.

\*\*\*\*\*

. هه.. مستعدة

. أيوة... لأ... مش عارفة؟

. وبعدين معاكي يا بنتي.. غلبتي الراجل معاكي.. أرسى لك على بر...

. خايفة قوي... ومش قادرة آخذ قرار

. توكلي على اللي خلقك....

أغمضت عيناها بقوة وتمتمت:

. توكلت على الله...أبدأ بسرعة قبل ما أرجع في كلامي

تبادل الرجلان النظرات المتسلية وهتف أحدهما:

. ترددك دا معناه أنك بتشككي في قدراتي كطيب

. لا والله يا دكتور...بس...أنجز بقى

قهقهه ضاحكاً وهو يتوجه بالمقص الطبي نحو الأريطة التي تحيط بوجهها وبدأ بقصها بخبرة.

كادت دقات قلبها إعلان العصيان من فرط تلهفها على النتيجة..

تسللت يد أدهم لتمسك بيدها المثلجة يبشها الاطمئنان...أغمضت شاكرة دعمه غير قادرة على إصدار أي صوت.

أخيراً تحرر وجهها مما يحيط به وبدأت تشعر بنسمات الهواء تعلن فرحها باستقبال بشرتها الحساسة فشعرت بها كسنون الإبر ترشق فيها من كل حذب وصوب:

. تقدرني تفتحي عينيكي..

زادت من ضغط جفونها وكأنها تعاند إطاعة الأمر فهتف أدهم:

. يا بنتي اسمعي الكلام...الدكتور عنده حالات تانية غيرك..

فتحت عيناها ترمشان بتردد لتطالع وجهاً غريباً...رمشت عدة مرات أخرى حتى  
أدركت أنها تنظر في مرآة...بانامل مرتعشة تحسست بشرتها التي لم تخلو من البقع  
الزرقاء والخطوط التي أصر عليها الطبيب أنها ستزول مع الزمن..  
. إيه رأيك...زي الجديدة...مافيش تسلم إيدك يا دكتور...أشاحت عينيها عن المرآة  
تحقق في الرجلين هاتفة بانهيبار:

. أنا مش عارفة مين دي؟؟...أنا معرفتش نفسي يا دكتور...أنا....

وانخرطت في بكاء هستيري فضمها أدهم بعناق أبوي مشيراً للطبيب المذهول  
بالخروج...

تركها حتى هدأت تماماً ثم وضع وجهها بين راحتي يديه:

. كان دا ضمن توقعاتنا...صح...

هتفت بنشيج متقطع:

. بس أنا مش عارفة...وشي رجع زي ما كان ولا لأ...من غير ذاكرتي ما ترجع محدش

هيعرفني...عمري ما هعرف أنا مين....أنا مين يا دكتور أدهم...أنا ميبيبيبين؟

.....  
\*\*\*\*\*

. يا لهوي...حببتي يا بنتي.....كل دا يطلع منك يا ياسر...أنت يا ياسر...لاحول ولا

قوة إلا بالله...لا حول ولا قوة إلا بالله، يا بني دا أنت عندك ولايا، مفكرتش

فيهم..كله سلف ودين.

ريتت عليها ريتاج:

. خلاص يا ماما.. اهدي يا حبيبتى... ضغطك مش مستحمل

دفعتها باهتياج:

. ضغط إيه ونيلة إيه... مش سامعة المحروس أخوكي يقول إيه؟؟ المحروس ضيع بنته  
من بين إيديه...

تأوه جاذباً شعره بأصابعاً:

. أبوس أيدكي يا أمي أنا فيا اللي مكفيني

. لأ... لسة مش كفاية... لازم تتحرق وتتكوي أكثر وأكثر علشان تعرف قيمة الضنا اللي  
ضيعته من إيدك... أه يا حبيبتى يا بنتى...

لو كانت عيناه تنفث ناراً لأحرقها حتى تحولت رماداً مكتفية بذهولها ونشيجها  
الصامت:

. هي السبب... هي اللي...

قاطعته وجدان:

. متقولش هي السبب... لو كانت عاوزه تخبي عنك ضناك كانت بعدت بيه

عنك... وأهي كانت عايشة في بلاد برة... كان إيه اللي جابها... مسألش

نفسك... أكيد قابلتها بغاوتك اللي وارثها من أبوك... وسمعتها كلمتين حمضانين  
خليت البنية تكتم في قلبها...

. يا أمي...

. بلا أمي بلا زفت.... كل اللي انت فيه دا لأنك استقويت يا ياسر، وأهه ربنا بيقولك  
أنه أقوى منك هتقدر تعمل إيه يا مسكين

. بنتي مش هتروح وهلاقيها... أنا عارف هو عاوز أيه... هرمي له فلوسه اللي بيجري  
وراها زي الك....

. لأ.... أوعى تشتم أبوك حتى لو كان شيطان رجيم... إدعي له ربنا يهديه ويكفينا شره  
وأذيته. روح دلوقت ومش عاوزة أشوف وشك إلا وبتك في حضنك... يالا مستني  
إيه؟؟

غادر منكساً رأسه لتنهار دموعها كئيب فاض سيولاً... هتف الدكتور سلامة:

. كنتي قاسية عليه يا أم ياسر

. كان لازم يفوق من جلايبة أبوه اللي بدأ يشوف نفسه فيها يا دكتور... اللي حصل له  
دا قرصة ودن صغيرة، لعله يفوق ويرتجع عن طريقه اللي ماشي فيه.

حدجتها ريتاج بنظرة قاتلة:

. بقي أنتي مرأة ياسر... وليه مقلتيش ليا لما قابلتك

بصوتها المبحوح من البكاء:

. لو أنتي ناسية... كنا اتفقنا نتقابل في يوم.... جبت ميسون وقعدنا نستناكي بس أنتي  
مظهرتيش.

اعتصرت ريتاج ذاكرتها:

. أه.. فعلاً... مش فاكرة إيه اللي حصل... كنتي جايها معاكي فعلاً....

. أيوة... وزعلت قوي أنك مجيتيش... كنت حكيت لها كثير عنك... كان عندي أمل  
أنك تاخذيني لماما وجدان وأحط ياسر قدام الأمر الواقع...

. ولما محلصش قلتي تلفي من ناحية تانية... ليث..

. لأ.. أرجوكي يا ريتاج متظلمنيش... يوم ما شفيتني مع ليث كانت ميسون عاملة حادثة  
في الحضانة... هو كتر خيره عرض يوصلني...

ضربت وجدان على صدرها ناحية:

. يا حبيبي يا بنتي... منك لله يا جمال... منك لله ربنا يوريني فيك يوم.

نكست ميسم رأسها:

. أنا آسفة يا ماما والله كان نفسي أعرف بنتي عليك... أحنا ملناش حد... وكان نفسها  
يكون لها قرايب... أنا عمري ما فكرت اني أحرمها من أهلها... بس ياسر كان قاسي  
قوي.

. عارفة يا بنتي... عارفة... واخذ حنة من قساوة أبوه... بس مش كله.. أه دا عليه حنية  
...ربنا يبارك له ويعتره في بنته يا رب... لولاش الكام سنة اللي قضاهم مع أبوه مكانش  
بقي فيه في حنيته وطيبته.

\*\*\*\*\*

. صباح الخير... أنتي مش بتردي علشان مش سامعاني، ولا علشان مطنشانني

التفتت سلمى بتأفف:

.. أهلاً يا دكتورة رقية... صباح الخير... في حاجة

أجفلت رقية:

. لا حاجة ولا محتاجة... دا فيه حاجة بجد... مالك يا سلمى... حصل مني حاجة

زعلتك

. أنتي... أبداً... هو أنتي ممكن تزعلي حد أبداً... أنتي الملاك البريء وسط دنيا مليانة

شياطين

دبت رقية في الأرض بكعب حذائها:

. لأ أنتي لازم اتجننتي رسمي... يا تقولي فيه إيه يا تروحي تفشي خلقك في حد غيري

أنا مش ناقصة فيا اللي مكفيني

. متقلقيش.. شوية كدة وهتلاقي ألف من يمد إيدو ويمسح دمعتك، ويعزمك على لمون

علشان تهدي أعصابك

زفرت رقية بانزعاج:

. سلمى... هو فيه إيه بالضبط؟؟

حدجتها سلمى بنظرات محتقرة شملتها من رأسها لقدميها ثم تجاوزتها دون أن تكلف

نفسها عناء الرد... ارتفع حاجبا رقية وقد اهتزت شفيتها مهددة بانهيار باكي آخر... بعد

أن كانت تظن أنها ستجد لدى صديقتها الوحيدة الصدر الحنون الذي ستلقي عليه كل

همومها وستنصحها...

. دكتورة رقية.. أنتي كويسة؟؟

رفعت عيناها المغرورقتان، تنشقت محاولة التماسك:

. أنا بخير.. شكراً لسؤالك يا دكتور سليم...

. بس مش باين عليكى على فكرة... حصل مشكلة مع... مع...

. تقصد مع رأفت... لا... لا...

أشاحت بوجهها بالاتجاه الآخر تنظر بالاتجاه الذي اتخذته سلمى لتفاجأ بها واقفة  
تراقبهم بعينان تقدحان غيرة وألم... شهقت وهي تعيد رأسها لتلمح ما غاب عن ذهنها  
تماماً:

. دكتور سليم... أنا ورأفت مرينا بفترة صعبة... زي أي اتنين متجوزين، بس أكيد أنا مش  
بفكر في أي حد تاني...

انسحبت الدماء من أورده متراجعاً:

. أنا آسف... مكنتش أقصد... أنا كنت...

أخيراً استجمعت أنفاسها لتهدر بسطوة:

. أنا اللي آسفة يا دكتور... يظهر أنني امبارح أدت أنطباع خاطيء تماماً... عمل تشويش  
عندك... في الحقيقة...

ثم نظرت لساعتها بامتعاض:

. عندي معاد مع جوزي، عازمني على الغدا برة اعتذار منه على سوء فهم حصل... يا  
ريت تقدم لي على عارضة النهاردة... سلام.

وقبل أن تتيح له الرد قفلت عائدة بطريقها لتغادر المشفى كله.

رفع سليم رأسه ليجد نظرات سلمى المتشفية:

. تحب أجيب لك نشادر، ولا أدش لك بصة تفوقك بعد الدش الساقع

. سلمى أنا...

قاطعته بصوت مجلجل:

. أنا عازماك على فرحي الأسبوع الجاي يا دكتور سليم... لو اتأخرت مش هتفرق معايا،

أو مع أي حد تاني.. عن إذنك.

وركضت لتلحق بصديقتها... كانت توقف تاكسي..ربما سمعت نداءاتها

وتجاهلتها..وربما لم تسمعها، ولكن النتيجة واحدة، ركبت السيارة دون أي التفاتة

للخلف.

ضربت سلمى بقدميها في الأرض والندم يلتهمها بلا رحمة.

\*\*\*\*\*

فتحت عينها لترمش من أشعة الشمس تغزو الغرفة الغارقة في ليل أحزانها...حتى

اعتادت عينها الضوء لتجفل من الرجل الجالس على مقعد جوارها يتأملها بنظرات

غريبة...تلفتت حولها بضياء لتستعيد لذاكرتها كل ما حدث تحت أجنحة الظلام،

لتشرق الحقيقة بوضوح وبشاعة تحت نظراته القاتمة.

. صباح الخير.

حاولت الاستقامة رافعة الغطاء حتى عنقها:

. صب...اح الخير.

. شكران أنا....

نظر لأصابعه المتعاقدة بين ساقيه... وأردف بعد لحظات صمت أبلغ من أي كلام:

. أنا آسف... اللي حصل دا مكانش لازم يحصل أبداً... كان لازم أحترم رغبتك... كان

لازم أتفهمك... أنا مش حيوان يسعى لإشباع غريزته وبس... أنا... أيوة... مش قادر

أنساها... حاولت.. مقدرتش... حاولت أنسى نفسي معاكي... أحتقرتها أكثر

وأكثر... اتفضلي قومي ألبسي علشان أرجعك بيتك.

بجمود غريب وبدون أن تتحرك هتفت:

. أنا في بيتي.

حدجها بنظرة غريبة لتردف بذات الجمود الفولاذي:

. أنا مش عارفة أنت جاي منين... بس أنا عارفة نفسي... أنا جاية من بلد

فلاحين... العروسة اللي ترجع بيتها يوم صباحيتها ملهاش إلا معنى واحد يا... دكتور.

اتسعت عيناه بتدارك:

. أنا آسف... كان قصدي أنفذ طلبك

. لو سمحت يا مهاب... أطلع من الأوضة... وأبعد عني خالص...

. شكران

صرخت بدون عي:

. متنطقش أسمي على لسانك... أنت دبحتني مرتين... ولسة مش حاسس.

نهض يغادر الغرفة بعد أن ألقى عليها نظرة أخيرة.

تهدلت ذراعها تنهت بصوت مخنوق:

. يعني أعملك إيه يعني علشان تفهم أني بحبك... هي الرجالة منحها تخين ليه بس يا  
ربي...ليه؟

## الفصل الثامن عشر

.....

. أخيراً بنتقابل...أعترف أنت فاجأتني...

. كل معلم وله معلم...

. أكيد أنا عمري ما هوصل لقذارتك مهما حاولت...مرة تخطف مراتك، ومرة تتأمر

على بنتك وتبيعها ولا نخاس في سوق العبيد...ومرة تخطف حفيدتك...أيه..أنت

ملاكش حدود

ضرب بقبضته على المائدة بعينين متحجرتان قسوة:

. أنت اللي بدأت...كنت فاكر لما تلهف فلوسي...شقا عمري من الحساب المشترك

بيننا...أني هسكت..

. فلوسك وشقا عمرك دا من دم الناس الغلابة...

. لا...وأنت الصادق..دي من تفتيح المخ والشطارة...وكنت واخذ سكتي...بس

رجعتك لحجر وجدان وكستك زي ما كانت عاوزه توكسني معاها..

. متجيش سيرة أمي على لسانك

قهقهه بعنجهية:

. أنت بردو فاكر أن الحكم المستعجل اللي أخذته بمنعي من الاقتراب... هيمنعي

من اللي هعمله.

. دا بس لحد ما أخذ حكم بالطلاق النهائي...وأنت متقدرش تعمل أي حاجة

قهقهه مرة أخرى بسادية:

. تبقى عبيط وأنا معرفتش أريك للأسف...

. لو يمحت قول عاوز أيه وسلمني بنتي

. بنتك... أنت متأكد أنها بنتك..

قبضت أصابعه بغل على مفرش المائدة:

. هي فين؟؟

. فلوسي ترجع في حسابي ثاني..

. هيحصل بس أضمن رجوع بنتي

. عيب يا ياسر... دا أنا جدو... دا أعز من الولد ولد الولد...

. سيبك من كلام المساطب دا... فين بنتي..

ثم وضع دفتر الشيكات أمامه

لوح جمال باعتراض:

. أنا مش بتاع شيكات.. تروح للبنك وتحول المبلغ، هتلاقي بنتك رجعت لحضن أمها..

. وأنا إيه يخليني أصدق كلامك

. ولا حاجة... مغامرة ولا زم تخوضها... أنا لو منك..

قاطعه ياسر بمرارة:

. كنت هتفضل الفلوس طبعاً ومكنتش هتتخلي عن جنيته واحد

أكمل جمال:

. بالظبط...خصوصاً أن أمها ست مش ولا بد...يا بني لإمتي هعلمك...الأشكال دي  
ديتها ساعة حظ...أنما جواز وعيال...متنفعش.

. شوف مين بيتكلم..

. ما هو أنا بنصحك عن خبرة...لو كان حد قالي مكنتش اتقندلت واتجوزت  
وجدان..وكنت عشت حياتي بالطول والعرض...أهه النصيب...رينا رايد أنك وريتاج  
تيجوا للدنيا.

وقف ياسر متحكماً بصعوبة في رغبته في أزهاق روجه بيديه المجردتين  
. اتفضل معايا..

. على فين..

. نلحق البنك قبل ما يقفل...لأنك مش هتغيب عن عيني قبل ما تسلمني بنتي.

قلب شفتيه بامتعاض ونهض يتخايل أمامه بشعور عارم بالإنتصار.

انتهت معاملات البنك في وقت قياسي رغم انتهاء الوقت الرسمي للعمل، ولكن اسم  
جمال محجوب فتح كل الأبواب المغلقة...حذق في الأوراق التي تثبت عودة أمواله  
لحسابه وملاً صدره بدفعة هواء كبيرة:

. ريحة الفلوس...عمرك ما هتسلاها ولا هتشيح منها

. بنتي فين؟؟

. أنت عارف لما كنت في سنك...

من بين نواجذه هدد:

. بنتي... فين؟؟

رمقه جمال بحذر، أدرك أن ابنه لن يتورع عن الانقضاض عليه في أي لحظة دون أن يبالي بمدير البنك والموظفين... نهض:

. خلاص... طالما مصمم... اتفضل معايا...

اعتدل ياسر وأشار له ليتقدمه... مرة أخرى يختال جمال بنشيته المنتصرة كطاووس.

أصر ياسر أن يركب معه سيارته تاركاً سيارته أمام البنك، وترك تفسير تصرفه لذكائه... لم يعلق وهو يقود سيارته بين الزحام بدون أي عجلة على الإطلاق... ربما مستمتعاً برائحة الاحتراق التي تزداد ضراوة جواره... بعد نصف ساعة ركن السيارة في أحد المواقف أمام إحدى العمارات الشاهقة على كورنيش النيل...

تبعه ياسر بصمته الموشك على الانفجار... بقهقهة متعالية وهو يفتح الباب بمفتاحه:

رغم كل اتصالاتك معرفتش توصل لعنواني... علشان بعد كدة قبل ما تحاول تلمسني بس ولا تلمس فلوسي تفكر مليون مرة... جمال محجوب مش عضمة سهلة تقدر تبلعها...

دخل خلفه في الشقة المترامية الأرجاء يتطلع بلهفة وشوق لأي ظل يدل على وجودها.. ازداد وجهه شحوباً والدماء تنحسر عنه:

. أنت سايب البنت لوحدها هنا؟

مط شفتيه باستهزاء:

. هيصصل لها إيه يعنى... أهه عندك هتلاقىها فى الأوضة دي...

دفعه ياسر ليركض نحو الغرفة المعنية يفتحها على مصراعيها وينادي انبته بلوعة... كانت الغرفة مضاءة والسرير المرتب يتوسطها وصوت التلفزيون يعلو بأحد قنوات الأطفال....

التفت بسوداوية لجمال:

. البنت مش هنا

. هتروح فىن يعنى هتلاقىها عندك..

أمسكه بتلابيبه يهزه بعنف:

. أنت أيه... مش بتحس، وقلنا خلقتك كدة، معدوم الأنسانية وقلنا ربنا يصبره على ما بلاه، بس توصل ببيك الحقارة أنك تستهتر بحياة طفلة، وتبقى حفيدتك...

تحشرج صوت وقبضتا ياسر تضيقان عليه الخناق حتى شعر بهزات تكاد تكون محسوسة أسفل بظلمونه ليتطلع بذهول لذلك الوجه الصغير بعينيه الذابلتان من البكاء:

. يا عمو... يا عمو... ممكن ترجعني لمامتي... أصل هي وحشتني قوي... والراجل دا قالي أنها مش عاوزاني... بس أنا هصالحها ومش هزعها تاني أبداً... أنت بس وصلني عندها وأنا هتصرف معاها...

تخاذلت ذراعاً ياسر ليسقط جمال على الأرض ساعلاً، لم يلتفت إليه وهو يرفع ميسون ويضمها لصدره بقوة... أخذ ينشرها بالقبلات فدفعته بخوف:

. ماما قالت لي محدش يبوسك...

. أيوة يا حبيبي ماما صح.. أوعي تخلي أي حد ييوسك أبداً... بس أنا مش أي حد... أنا بابا..

مسحت عيناها المبتلتان بالدموع وهي تهز رأسها:

. ممكن مش تبوسني لحد ما أسأل ماما... مش يمكن تطلع حرامي.

. يعني يا ناصحة جاية تتشطري عليا.. كان فين شطارتك لما الرجل الشرير أخذك من الباص

. هو أخذني غصب عني والميس قالت لي أنه جدو

توهجت عينا ياسر بغيظ:

. الميس بتاعتك دي والسواق حسابهم نقل قوي معايا...

. مش أخذت بنتك.. أتفضل من غير مطرود

نظر لوالده ما يزال منبطح على الأرض يسعل.. ورفع حاجبيه باستهزاء:

. ودي تيجي... لازم أرد لك الواجب...

راقبه جمال بحيرة يتجه لباب الشقة الذي فتحه على مصراعيه لتدخل قوات الشرطة:

. أتفضل يا عصام بيه... زي ما وعدتك جمال محجوب بشحمه ولحمه... وتهمة جديدة بالإضافة لسجل التهم الحافل... خطف بنتي.

زمجر جمال والعساكر يحاوطوه:

. أنت اتجننت يا ياسر

. عيب يا معلم... دنا ابن المعلم... وعلى فكرة... فيلم التحويلات اللي حصل في  
البنك دا كنا متفقين عليه... يعني مافيش فلوس اتحولت... تعيش وتاخذ غيرها...

ثم نظر لابنته:

. وأنتي يا ميسون... يالا نروح لماما وتيتا وعمتو...

. لأ... أنا مش همشي معاك...

. ليه بس..

. أنت بتقول أنت بابا... لو تعرف أسم بابا تبقى أنت بابا

زفر ضاحكاً:

. ماشي يا ناصحة... أسم باباكي... ياسر... جمال محجوب

. وأنت عرفت منين

دغدغها لتضحك بقوة وتثلج قلبه المكلوم:

. علشان أنا ياسر جمال محجوب يا شقية.

\*\*\*\*\*  
.. ..

. خلاص يا ريتاج.. مش عاوز أسمع..

اضمت شفيتها بشعور هائل بالذنب، استدارت وأغلقت باب الغرفة التي وفرها لها

الدكتور سلامة في فيلته، ثم عادت مطأطأة لزوجها:

. مينفعش يا ليث... لازم تسمعني..

أمسكها من كتفيها وهزها بقوة غاشمة:

. وليه لازم... أنتي كنتي أديتيني فرصة تسمعيني... حكمتي ونفذتي حكمك بدون ما يعطيني حقي الشرعي في الدفاع عن نفسي.. ولا كمان توقعتي أنني هكذب . ليث أرجوك... أنا كنت...

. وأنا كمان يا ريتاج.. أنا كمان كنت للأسف فإكر أن الحب اللي بيجمعنا أقوى من أي شكوك... والثقة المفروض أنها متبادلة بينا... أكبر من أي تخاريف ممكن تتخيلها حقيقة... في لحظة واحدة هديتي البيت على اللي فيه وقررتي تهجريني... أنا آسف يا مدام... آسف جداً المرة دي مش هينفع.

حاولت ابتلاع كتلة في حلقها وهي تسأله بتخوف:

. إيه اللي مش هينفع

. حياتنا مع بعض يا ريتاج... لحد هنا وكفاية بقي... سيف هيعيش معايا.. ولما تولدي وتعددي فترة الرضاعة هاخذ الطفل دا كمان..

أحاطت بطنها البارزة بيديها شاهقة:

. متقدرش تحرميني من أولادي

تميز غيظاً وهو يكظ على نواجذه:

. أنتي بس اللي مسموح ليكي تحرميني من أولادي... مش كدة... حسي بقي.. حسي بإحساسي لما أخذتي ولادي واختفتيني وأنا مش عارف أوصلكم.

ارتج جسدها بانهايار:

. أنا آسفة... آسفة... بس كنت خايفة ومش عارفة أثق بمين

أمسك مرفقيها مرة أخرى يهزها بقوة:

. جوزك... المفروض تحطي ثقتك بجوزك وبس..

. جمال لعب بأفكاري.. خلاني أحس أنني وحيدة... أنت خاين... وياسر ممكن يقتله في

أي لحظة... معرفتش أعمل إيه... حرام بقى.. حرام

. نفض يديه عنها بتعالى:

. أنتي كبرتني يا ريتاج... طلعتني من توب البنت الصغيرة أم ضفاير... بقيتي زوجة وأم

مسؤولة... أخطائك اللي ماما بتسامحك عليها معادش لها وجود... أنا مش ماما... أنا

جوزك... أبسط طلباتي أنك تدوبي كيالك مع كياني.. أحميكي واحمي ولادي، أشقى

عليكم وأنا راضي ومبسوط... علشان نوفر مستقبل مشرق لأولادنا... أنما مع كل

مشكلة تقابلنا نهد المعبد على اللي فيه... مش طريقة عيشة دي... أسلم لولادي أننا

نعيش منفصلين.

\*\*\*\*\*

. متأكدة أنك عاوزة تقابليه؟؟

هزت رأسها للحظات حتى وجدت صوتها الهارب:

. أيوة... حكايته تشبه حكايتي... الفرق أنه عاوز ينسى كل حاجة وأنا عاوزة أفكر... هو

عنده ماضي بيهرب منه... وأنا بدور على الماضي بتاعي ومش لاقياه... عندي إحساس

أن أنا وهو عندنا حاجات كتير مشتركة.

. ممكن متستحمليش لو حكاالك عن ضحاياه

تنشقت دفعة من الهواء:

. حاطة في اعتباري حاجة زي كدة...

بتردد أمسك الدكتور أدهم بمقبض الباب، ثم عقد عزمه وأداره ليدخل:

. السلام عليكم... أزيك يا هيثم

التفت هيثم للدكتور بانسراح ما لبث أن اغتم والطبيب يقدم له ضيفته:

. اسمح لي أقدم لك... نشوى... اللي كلمتك عليها... أصرت أنها تقابلك..

وقف مشدوهاً يتطلع لها بمشاعر غامضة بينما تقدمت نادمة على جراتها في اقتحام

غرفته بهذا الشكل بدون أن تعطيه تحذير مسبق... وعندما تطلعت لوجه المحتد

القسمات وعيناه المسلطتان عليها وكأنه يرغب بنهشها بأسنانه، شعرت بزلزال يرجها

حتى النخاع... أجلى أدهم صوته:

. يظهر أنني غلطت... أنا آسف يا هيثم... يالا يا نشوى

أوقفه هيثم بحدة مبالغ فيها:

. لو سمحت يا دكتور... أنا آسف لرد فعلي... اعذروني... المفاجأة بس... اتفضلوا...

أخفضت وجهها الذي كان يتفرس فيه بشكل مستفز.. فسأله أدهم بتوتر:

. أنت بتشبهه على نشوى ولا إيه

أزاح عيناه عنها بصعوبة:

. لا...أبداً...قلت لي أنها كانت مصابة في حادثة...متخيلتش أنها اتعذبت قوي  
كدة...باين من آثار الجروح في وشها...حمد الله على السلامة يا آنسة.

أجفلت منتفضة عندما رجها صوته وشعرت وكأن يداً تمتد من القبر لتمسك  
بروحها...رفعت عيناها إليه ليظهر ذعرها في وجلها وتعرق يداها.

ضاقت عينا أدهم:

. نشوى..أنتي كويسة..

التفتت له محدقة وكأنها كانت في حلقة مظلمة وقد ظهر فجأة يمد يده لينتشلها  
منها...وقبل أن تمد يدها لتمسك بها سمعت صوت هيثم الساخر:

. لأ طبعاً...مش كويسة...عاوزها تحس بإيه وهي في أوضة واحدة مع سفاح النساء...

كانت المرارة تسيل من كلماته لتطعنها في الصميم...ورغم كل الهواتف داخلها التي  
تدعوها لتنفذ بجلدها وتهرب...إلا أنها تراجعت بتصلب:

. لو كنت سفاح زي ما بتقول كان مكانك اختلف كثير عن قسم الصحة النفسية في  
مستشفى كبير استثماري.

وكان دوره ليصعق متراجعاً بصدمة وهو يصرخ بعذاب:

. اطلعي بره...مش عاوز أشوفك...

وكانها حصلت على تذكرتها للخلاص فتراجعت خطوتين لتفر هاربة قبل أن ينهي  
جملته....

وقفت بالخارج لاهثة تضع يدها على صدرها لتهديء من ضربات قلبها... لحقها أدهم  
بعدها بلحظات يسألها بقلق:

. أنتي كويسة؟؟

أومات بدون كلمات ليردف:

. أنا آسف كان لازم أمتعك..

حدقت به بعينين زائغتان:

. أنا مش متخيلة أن فيه أنسان يكون محطم بالشكل دا؟؟ مين عمل فيه

كدة؟؟ وليه... مين أياً كان يملك الحق في تحطيم مخلوق زيّه؟

. صعبان عليكي

أومات بهزة رأس قوية ودموعها تسيل بشفقة فأردف:

. حتى لو عرفتي أنه ظلم بنات كثير ومهما عمل مش ممكن يقدر يصلح غلطه معاهم.

كتمت شهقتها الباكية:

. للدرجة دي...

. مش هقدر أحكي لك أكثر من كدة... أنا قلت لك كدة بس علشان تقدر تفهمي

هو ليه صعب عليه يتعامل معاكي... قبل ما يتعالج على الأقل.

. فهمت... مسكين.

\*\*\*\*\*

. مش قادرة أصدق أني شايلة بنتك بين إيديا يا ياسر...ياااه كأني بحلم...شوفتي يا ريتاج بنت أخوكي حلوة إزاي...

مسحت ريتاج دموعها خلسه وهي تحتضن الصغيرة السعيدة بالتفاف الجميع حولها يتناقلونها بينهم بالأحضان والقبلات:

. أيوة يا ماما... ما شاء الله واخدة حلاوة ماماتها

أطرقت ميسم بخجل بينما تتحاشى نظرات ياسر التي لم تخف حدتها بعد...لاحظتها عينا وجدان فهتفت:

. ياسر... خد مراتك وصفوا ما بينكم يا بني... بعد إذن الدكتور سلامة ادخلوا جوة...ومش عاوزاكم تطلعوا ألا وأنتم سمنة على غسل...اللي يجي على الولايا عمره ما يكسب

رحب بهما الدكتور سلامة:

. طبعاً...مش محتاجين إذن يا حاجة...ولا إيه يا سعاد

. الفيلا واسعة وتساع من الحبايب ألف..

تجهم ياسر:

. لأ متشكرين...أحنا هنصفي أمورنا في بيتنا ولا إيه يا ماما

. أنت هتزرغر لي يا واد على آخر الزمن...ولا فاكتر يعني أنك بقيت أب خلاص هتكبر على أمك...أنا قلت مش هتحرك خطوة واحدة من هنا إلا لما تصفي النفوس بينك وبين مراتك...لما أشوف كلمة مين اللي هتمشي.

أغلق الباب بحدة ليلتفت لها ويفاجأ بها تضحك بشدة:

. أنتي بتضحكي

. أه... أول مرة اشوفك واقف مش عارف ترد.. بقة ماما وجدان هي نقطة ضعفك... يا

ريتي عرفت كدة من زمان

. كنتي عملتي إيه يعني

. كنت عملت كثير... أولها كنت نزلت من أمريكا عليها فوراً، كنا اختصرنا وقت كبير

. والله يا هانم الوقت دا كنا هنختصره لو كنتي صريحة معايا من الأول.

. طبعاً... في أول مقابلة في المطعم.. أول ما تقولي... أرجعي مطرح ما جيتي ولما

توصلي اجراءات الطلاق هتبدأ فوراً... أرد عليك وأقولك بلاش الله يخليك أنا عندي

بنت... بنتنا خلفتها بعد ما هجرتني في الغربة... هتقوم عينيك تدمع وتحضني قوي

وتقولي خلاص أنا ماليش غيرك أنتي وبنتي سامحيني يا ميسم.

. أنتي بتتريقي

. حضرتك عندك سيناريو تاني غير دا... أحب اسمعه... إلا إذا مستعد تعترف أنك

غلطان في حقي...

. اسمعي يا ميسم... أنا مش ممكن أسامحك على غلطة كانت هتضيع بنتي من

أيدي... هنخرج دلوقتي قدام أمي هنمثل أننا اتصافينا... لحد ما أعرف أتعامل مع

الوضع الجديد وحقيقة أنك أصلاً خبيتي علياً أنك حامل، علشان أفاجأ أن عندي بنت

عمرها خمس سنوات.

. على فكرة يا ياسر... أنت عمرك ما هتعرف تظلمني أكثر من ظلمك ليا.. علشان كدة  
أنا مش خايفة... وأوك.. علشان خاطر ماما وجدان بس هوافقك على التمثيلية السخيفة  
بتاعتك.

\*\*\*\*\*

. كنتي فين لحد دلوقت

التفتت له بتمرد:

. هكون فين يعني... في المستشفى

. أنا عديت عليك هناك قالوا لي خرجت

. أنت بتراقبني؟؟

. ليه واخداها على انها مراقبة... كنت جاي أوصلك بدل ما تتهدلي في زحمة

المواصلات

. كان ممكن تكلمني في التليفون... إلا إذا كنت عاوز تفاجأني

. كنتي فين يا سلمى؟؟

. مش شغلك

تجاوزته ليعيدها من مرفقها الذي غرز أصابعه في لحمه:

. لما أكلمك تقفي تكلميني...

دفعت يده عنها بقرف:

. لما تحترمني هقف أكلمك باحترام.. أنا مش عيلة صغيرة بتهرب من المدرسة علشان  
تقف بالمنظر دا وتحاسبني... ناقص تضربني

رفع أحد حاجبيه مستهجنًا:

. إيه... كبرتي على الضرب؟؟

اتسعت عيناها عليها تلمح الهزل في نبرته الجادة أو من بين نظراته السلطوية:

. عثمان بيه... اعتبر الاتفاق اللي بينا لاغي..

بدون أن تتبدل خلجة واحدة من خلجاته إلا نبض مسعور أخذ يضرب في عنقه:

. مش بمزاجك؟

كان دورها لترفع أحد حاجبيها بسخرية:

. أنا لسة ملك نفسي... ومفتكرش أنك أخذت الحق دا لسة... ويظهر أنني كنت مجنونة

لما فكرت أنني ممكن أبقى مراتك.

ضاقت عيناه بتهديد:

. مين قالك أنك ملك نفسك؟ من اللحظة اللي وافقتني أنك تكوني مراتي... وقعتني

بمحض إرادتك على صك عبوديتك ليا.

. أنت... أنت أكيد مجنون...

أعاد إمساكها من مرفقها ليعيدها بخشونة بعد أن حاولت تجاوزه مرة أخرى:

. أنا لسة مخلصتش كلامي... أنا عارف السبب؟؟

. سبب إيه؟؟

. سبب موافقتك على الإرتباط بيا... وسبب رجوعك... سليم..

شهقت فتابع بنبرة جادة:

. أمبارح كسر قلبك لما سابك واهتم بالدكتورة صاحبك... فحييتي تنتقمي لكرامتك

المجروحة... جيتي ووافقتي... والنهاردة... صاحبك مسحت بيه بلاط

المستشفى... ورجع الدكتور خالي من تاني

سألته مبهوتة:

. أنت عرفت الحاجات دي مينين؟؟

. تقدري تقولي... أني بحب أحافظ على كل حاجة بتاعتي... بطريقتي..

انتفضت نائرة:

. أولاً أنا مش حاجة... ولا بتاعتك... ثانياً..

قاطعها بنبرة هادرة أحرصتها وسرقت أنفاسها ذعراً:

. ثانياً دي... اسمحي لي... بتاعتي أنا... أنا مش لعبة في إيدك... وسبق وحذرتك أن

مافيش تراجع... بشكل أو بآخر أنتي ملكي.

. يعني إيه... مش فاهمة..

. مش ضروري تفهمي... بس لازم تعرفي أن جدتك العجوزة دي مش هتقدر تحميكي

مني...

ارتعدت بخوف متعثرة بخطواتها وهي تتراجع عن نظرة الافتراس في عينيه كحيوان  
جائع فاته قطع من الغزلان حتى عشر على أحدهما شاردة..سمح لها بالهروب أخيراً  
وصدى قهقهاته تدوي في أذنيها لتزيد من تأثير تهديده.

\*\*\*\*\*

## الفصل التاسع عشر

.....

فجأة انهار عالمها... من غيابها ظنت نفسها تجمعها قطعة قطعة كلعبة البازل... تجمعه من أشياء مشتتة فقدت قيمتها بعد وفاة والدتها... وزادت تشتتها بعد زواج والدها من أخرى... أنهياره مرتين زاد من صلابتها لتحقيق المستحيل، ومعه حلم أمها أن تصبح طبيبة مميزة... لذلك تخصصت في أحد أصعب التخصصات والتي ينفرد بها عالم الرجال...

ورغم كل المضايقات ... تزيد من صعوبة حياتها العيشة مع زوجة أب... بصبر تحسد عليه كانت ما تزال تجمع القطع... وكادت تنتهي بتصنيع لوحها الخاصة... اعترض حياتها عفواً.. اغتصب جزءاً منها ليكون ملكه بدون أي تخطيط... فقد كانت قطعها الأخيرة هو الزواج بطبيب مشهور ووسيم... مثل الدكتور مهاب... ولم لا... فهي وهو على قدم المساواة... بعدها تخرج بحياتها للعالم تبهره بنجاحها.. ولكنه تدخل بكل صلف وجبروت ووضع القطعة الأخيرة بيده... فجأة حلم حياتها... لوحها التي ثابت بتجميع أحاجيها... أصبحت مشوهة... القطعة الأخيرة كانت نشاز... مزعجة وغير متلائمة... أغمضت عيناها وفكرت... سيستغرق الأمر بعض الوقت وبسهولة ستزيلها وتعيد القطعة المثالية لتختم بها لوحها... حتى هذا الحلم الصغير... أصبح من المستحيل تحقيقه... فقد دمغتها تلك القعدة الأخيرة، وشمتهما وحتى بعد إزالتها فقد تركت أثراً مشوهاً بشعاً لا يمحي، مع ثقب خاوى بالقلب... تصفر من خلاله حياتها الفارغة الجرداء.

. في حاجة يا أستاذة...سلامتك...أجيب لك كوباية مية تبلي بيها ريقك ولا علبة سفن  
أب..

بالكاد كانت تسمعه من أفكارها المشوشة التي أخذت تدور في فلك عقلها بلا  
هوادة...تسمع صوت عزيزة الشامت وهي تشيعها في الصباح بعد أن تأكدت من  
تصنتها على الباب أن رأفت ذهب:

. ودا من إيه يا عروسة...دا أنتي مكملتيش شهرين والراجل طفش من وشك..علشان  
أبوكي بس يقدر أنا مستحمالاكي قد إيه...من هنا ورايح ترجعي قواعدك يا  
دكتورة...أبوكي مش عارف ياخذ راحته في الأوضة الضيقة...هترجعي تلاقيني لميت  
كل حاجتك ورجعتها أوضتك القديمة...أسترها علينا يا رب..دحنا ولايا.

رمقتها بنظرة ميتة خالية حتى من أنفاس الحياه فهي بالكاد تلتقط أنفاسها بصعوبة  
وشيئاً يجثم على صدرها...ثم فتحت الباب لتغادر.

ستذهب لصديقتها، هي الوحيدة التي ستسمعها، ستفرغ على أكتافها همومها...  
شيء أندفع في وجهها ففتحت عينها مجفلة لتجد كوب الماء الذي يكاد يلتصق  
بفمها وسائق التاكسي يدفعه إليها:

. إشريني...لا حول ولا قوة إلا بالله...مالك يا بنتي ربنا يحوش عنك.

تلفتت حولها بعد أن سكب شربة ماء في فمها، فابتلعها وهي تتسائل:

. إحنا فين...

. في ملكوت الله...ما هو أنتي من ساعة ما ركبتني قاعدة تعطي ومش عاوزه تقولي

سكتك فين...

اعتدلت وهي تبتلع ريقها المتحجر رغم شربة الماء الغير مستساغة:

. لو سمحت...مصر الجديدة

. تحت امرك يا أستاذة...بس لو تقولي مالك...الدنيا فيها بلاوي...

شيء ما بدا غير مفهوم...ربما نظرات السائق الشبقة الغربية، وربما تلك الرائحة التي  
واكبت مذاق الماء المنفر...حاولت الشرود مرة أخرى في دائرة أحزانها، ولكن ظل  
ذلك الشيء يضرب عقلها بلا هوادة، تشعر أنها على قاب قوسين من الوصول  
لماهيته...ولكنه ما يبيلث أن يزوغ منها..بدأت تدرك متأخراً جداً ما يحدث عندما  
زاغت عيناها وثقل رأسها وبدأ الوعي يغيب عنا بالتدريج.

\*\*\*\*\*

. يعني إيه..مش فاهمة

. لأ فاهمة كويس قوي يا مدام...بس بتحاولي متفهميش...أو يمكن مش مصدقة أني  
ممكن أرفض النعمة العظيمة اللي هتغمريني بيها أنتي وأبوكي، والعربيات  
والبيوت...والافترا على كل حد أضعف منكم حتى لو مكانش يملك حتى قوت يومه.  
. أنت أكيد أتجننت ولا جرا لعقلك حاجة...ولا يمكن الزفتة اللي اتجوزتها لحست

مخك

وضع إصبعه على فمه بتهديد لأول مرة تراه جاداً لدرجة أنه أخافها:

. إياكي تغلطي فيها...

. يا اياها للدرجة دي وقعت في غرامها...أمال سبتها ليه ورجعت ورايا زي الكلب تلحس  
جزمتي .

مالت شفثيه بتعبير مقرف:

. الطيور على أشكالها تقع يا حبيتي...علشان أنا وأنتي من عينة واحدة...أنما الدكتورة  
رقية، نوع تاني ..نضيف..راقى...حاجة كدة عمرك ما هتوصلي لها ولو جبت فلوس  
أبوكي وكومتهم فوق بعض.

طوحت يدها لتصفعه بكل غل يعتمل في نفسها الحقودة:

. يا بن ال....

أمسك يدها في الهواء لتمنعه من الوصول لها..حاولت جذبها، فشد عليها بقسوة لتئن  
بزمجرة بينما تابع ملامحها الكريهة بتسلية:

. كان زمان...وجبر

. وإيه اللي جد...ما أنت رجعت زي ما كنت

أنزل يدها بطيء مستفد:

. دا بس بيتها لك...

ثم ربت على جيب بذلته:

. تفتكري أني لما عشت معاكي السنين دي كلها...وشوفت قذارتكم

واستحملتها...تفتكري أني بالغباء اللي يخليني مأمنش نفسي منكم...دا يبقى

عيب...خصوصاً أن سيد بيه أبو المفهومية..وما يدخلش أي عمليه من العمليات

إياها...بتاعة الفساد دي.. ما أنتي عارفة...إشي تصدير قت لاشعب الغلبان.. وإشي  
استيراد سم هاري يهري بدنهم.... وأشي تطبيع مع أخوانا البعدا وكله من النوع اللي  
يملا الجيوب طبعا.. وطبعاً عمره ما دخل عمليه من دول إلا وهو مأمّن  
نفسه...عاوزاني أنا أدخل عش الدباير برجلي، وما يكونش معايا اللي يحميني منكم  
ومن أنيابكم.

. علشان كدة رجعت معايا

. أيوة...عليكي نور... كل الفلوس اللي في البنوك ماليش فيها حق...بس علشان  
أضمن أعيش مرتاح بلغي سيادة النائب أني معايا ورق يوديه ورا الشمس ويرجعه تاني  
قولي خمس ست سبع مرات.

. والله والعصفور طلع له ضوافر

. من عاشر القوم يا...سرسور

. صحيح ميكانيكي...طول عمرك هتفضل ميكانيكي مشحم

. ما أنتي كنتي هتموتي عليا من شوية

. هه...ليه ما الرجالة مالية البلد هتروح هيجي ألف غيرك مستعدين يوسوا الرجل قبل  
الإيد علشان فرصة أقل كثير من اللي قدمها لك يا ناكر الجميل..

. رينا يسهل لهم...عن إذناك بقى علشان سايب الورشة لوحدها...زمان الواد دقدق  
محتاس من غيري...أورفوار...

ضربت بقدميها في الأرض وصاحت:

. وأضمن منين أنك متقدمش الورق للنائب العام

. لأ أطمني...رغبتي أني أعيش أكثر بكثير من رغبتي أني أشوف أبوكي  
مسجون...أه...بالمناسبة...أنتي طالق...بالتلاتة...ونصيحتي بلاش تطالبي بالمؤخر  
والمقدم والنفقة والمتعة...

أغلق الباب لتتغير ملامحه الساخرة بعلامات الألم ضاغطاً بيده على أعلى ذراعه  
الأيسر مخرجاً أنفاسه بتقطع...لم يصدق أنه خرج من جحر الأفعى بجلده...أمن  
على الأوراق بجيبه ثم اتجه للمصعد يطلبه بعجلة عندما ارتفع رنين هاتفه..نظر للشاشة  
ليفاجأ باسم رقية...لم يكذب يفرح بالبادرة حتى ازداد الألم في قلبه هذه المرة من شدة  
القلق وهو يسمع صوت أنفاسها المتحشجة وهي تتكلم ولكن بحروف غير مفهومة أو  
مترابطة:

. ألو...رقية...رقية...أنتي فين...مالك...رقية...

وازداد جنونه عندما انقطع الخط..بدلاً من انتظار المصعد ترحل على الدرج ينزل  
متغافلاً عن الألم المتزايد والذي وصل لمرحلة التتميل...أعاد اتصاله بها مرات حتى  
وصل لسيارته وانطلق بها بأقصى سرعة يسمح بها الطريق الضيق.

\*\*\*\*\*

جلدت نفسها لسهوها القاتل والذي على وشك أن يكلفها حياتها...كيف غفلت عن  
هذه الرائحة، وهي الطيبة...ادعت السكون التام لتشحد كل طاقتها بينما عينا السائق  
ترمقانهما من خلال المرآة الأمامية ليتأكد من استسلام ضحيته التام لغفوتها...وبدأ  
بالحديث في هاتفه عندما تأكد أنها لن تسمعه:

. ألو... أيوة يا درش... جايب لك معايا حنة أنما إيه... مش هقبل فيها أي فصال... حنة مشفية.. جسم ورسم، كل حاجة فيها على الفرازة... لأ مكشفتش عليها... بس الجواب ببيان من عنوانه.. مش بدل عيال الشوارع اللي نصهم عنده فيروس سي ونصهم فشل كلوي... دي بقى فشة كلاوي وقلب.. كله على الزيرو.

لم تستطع منع دموعها من السيلان للمصير المظلم الذي ينتظرها... والذي كان وسيكون مصير أرواح أخرى لا ذنب لها إلا أنها ضحية مثل هذه الحثالة التي سيظلمون الحيوانات لو سموها باسمها... حتى الحيوانات لا تفترس إلا لحاجتها... كانت يدها الخدرة تحاول خلسه الإمساك بمقبض الباب... مرات كثيرة كانت ترى نفسها مضرجة في دماؤها على طاولة عمليات قذرة وأشباه البشر يقتاتون على أعضائها... شحذت إرادتها، فهي لم تخذلها أبداً... حتى وهي تطرد رأفت من حياتها... رغم أنها كادت تتوسله بكل قسم أن يبقى جوارها.. أخيراً طوعتها أصابعها لتفتح المقبض... ورغم ثقله والخدر الذي لا تعلم متي سيستوطنها، ورغم السيارة التي تسير بسرعة على الطريق... انفتح الباب أخيراً لتلقي بجسدها خارج السيارة الملعونة لتدحرج على الأسفلت ممسكة بحقيبتها وكأنها خشبة الخلاص... توقفت السيارة على بعد عشرة أمتار وترجل السائق يشذرها بنظراته القاتلة... كيف لا وهي كانت حتى لحظات قليلة رزمة من الأموال المضمونة. رفعت رأسها ترقبه يقترب من خلال غلالة من الدم تسيل على وجهها... كان يتلفت حوله ويقترب وهي في نفس اللحظة تخرج تليفونها لتتصل بالرقم الوحيد الذي تتمنى لو ينقذها....

بضعة كلمات غير مفهومة كل ما استطاعت أخراجه من خلال الألم المبرح في كل جسدها.. وقبل أن يقترب تماماً توقفت سيارة جوارها وانحنى عليها رجل يسألها إن

كانت بخير... لم ترد ورفعت رأسها لتشير على السائق الذي أخذ خطوات متراجعة  
ببطيء حتى اختفى تماماً هو وسيارته.

آخر ما سمعته كان الرجل يتصل بسيارة الإسعاف دون أن يغامر بنقلها بنفسه.

\*\*\*\*\*

ألقي رأفت التليفون على المقعد جواره بعد أن يتس من أن ترد عليه... حدق بمبنى  
المشفى الذي غادره لتوه بعد أن أكد له الجميع أنها غادرت منذ ساعات... حتى  
أهلها في البيت لا يعرفون عنها شيئاً...

حاول التنفس بشكل طبيعي.. وفي كل محاولة يزداد شعوره أن روحه تنساب منه بدون  
أن يستطيع السيطرة عليها... هل هذا الوقت الذي يبكي فيه الرجال... لأنه على وشك  
ان ينهار باكياً حتى يسمع نحيبه كل من على الأرض...

لم يسمعه... ولكن ذلك الوميض المتراقص أنبأه عن وجود اتصال... عاد للواقع  
ليمسك بالتليفون بلهفة.. ولكن اسم رقية لم يكن مسطوراً أمامه... كان رقماً  
غريباً.. لإتاحة الخط متمالكاً نفسه ليرد بصوت أجش:

. أيوة... نعم...

. حضرتك متعرفيش... بس الرقم دا كان آخر رقم اتصلت بيه واحدة ست...

لم يدر... ما حدث ولكنه لأول مرة يدرك معنى أن تقف كل شعرة في رأسه رعباً... لأن  
هذا ما حدث له تماماً وهو يحاول غيجاد صوته ليرد على الرجل:

. ألو.. حضرتك معايا يا فندم

. م...مين حضرتك؟؟

. أسمي محمد...أنا لقيت الست دي في الشارع يظهر عربية خبطتها...وجت عربية الإسعاف أخذتها لمستشفى "أم المصريين"...الموبايل بتاعها كان فاصل شحن...بس قدرت آخذ نمرك منه قبل ما يفصل...ألو...ألو....

\*\*\*\*\*

. هو أنا هفضل كدة على طول يا دكتور؟

. كدة إزاي يعني؟؟

. النهاردة جت تزورني؟؟

. هي مين؟؟

. واحدة معرفهاش...قريبة الدكتور أدهم...سمعت عني وحتب تقدم لي دعمها لما صعبت عليها...ومعرفش إيه اللي حصل لي..أول ما شفتها مقدرتش أتحكم في نفسي...لقيت إقبال قدامي بكل جبروتها وسفالتها وانحطاطها....زي ما بيحصل في كل مرة بشوف فيها بنت أو ست...ومش برتاح إلا لما أحطمها..

. قصدك تحولها لواحدة شبيهة بإقبال؟؟

صرخ هيثم:

. هم كلهم إقبال...بس بأقنعة...أول ما يلاقوا الفرصة قدامهم مش يفكروا مرتين...مافيش حاجة اسمها أخلاق...ولا دين ولا شرف...ولا واحدة قابلتني حسستني أنها مختلفة.

. ولا واحدة...متأكد؟؟

تردد هيثم قبل أن يصر على رأيه:

. ولا واحدة

. وريم...

صر من بين أسنانه بزمجرة خشنة:

. ريم أكثرهم إنحطاط...

. ويمكن أكثر واحدة حبتك بجد...

رفع رأسه يحدج الدكتور باستغراب يردد الكلمة الغريبة على أذنيه:

. حبتي...مافيش حاجة إسمها حب يا دكتور...حضرتك متعلم وفاهم...سواء كنت  
متجوز أو خاطب أو لسة على البر...الحب له مرادف واحد بس...الجنس...أول ما  
الرجل ياخذ غرضه بتدوب كل المشاعر الغبية ويبقى حقيقة واحدة  
بس...البقاء...التوالد...حتى مشاعر الأمومة...أسطورة مشكوك في أمرها.  
هن الدكتور رأسه:

. أخالفك الرأي...مش علشان نموذج واحد مشوه يبقى قاعدة..أمي مثلاً ست عظيمة  
جداً...بعد وفاة والدى اشتغلت كل شغلة ممكنة علشان تربينا ونقف على رجلينا..أنا  
بقيت دكتور...وأختي مدرسة..وأخويا الصغير على وشك التخرج من كليه الفنون  
الجميل...ونماذج كثير، وأنت عارف كدة كويس.

رمقه هيثم بأذدراء:

. قصدك أني بدعي.. وأنى..

. لأ يا دكتور هيثم... أنت عايش الحالة بكل ما فيها... ومصدقها... الحل جواك وأنت عارف...

. جوايا إزاي..

. احنا مش بنختار أهلنا... ممكن أصدقائنا.. زوجاتنا... أنما أهلنا... ملناش يد في وجودهم على أي حالة... عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَذْنَتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأُمَّي فَلَمْ يَأْذَنْ لِي ، وَاسْتَأْذَنَتْهُ أَنْ أُزَوِّرَ قَبْرَهَا فَأَذَنْ لِي

عرفت معنى الحديث يا هيثم... ربنا سبحانه وتعالى لم يأذن للرسول عليه الصلاة والسلام، أن يستغفر لها... ورغم كدة سمح له أنه يزور قبرها... شفت عظمة أكثر من كدة؟. والدتك في حال أفضل... والدتك مسلمة، والله أعلم بعملها... كام من عاصي أحسن الله ختامه فدخل الجنة...

أنت عند ربنا عاصي أكثر من إقبال دلوقت... إقبال شايلة معصيتها لوحدها... أنما أنت حطمت كام بنت بدون أي ضمير... فكر يا هيثم.. أنت مش محتاج دكتور نفسي... أنت محتاج هيثم... هيثم اللي كافح لوحده لحد ما وصل للمكانة اللي أنت فيها دلوقتي... هيثم اللي اتحدى ظروفه ولما وقف على رجله شعر بالغضب وحب ينتقم... فنفذ أنتقامه في مخلوقات أضعف من أنها تدافع عن نفسها... مش محظوظة زيك بإرادتك ورغبتك في النجاح.

أنا هكتب لك على خروج، في ناس تستحق المكان دا أكثر منك.

\*\*\*\*\*

رفعت الغطاء حتى عنقها ترمش عيناها بقوة تستطلع من يقتحم غرفتها في هذا الوقت  
المتأخر من الليل:

. أنا... .

أجفلت عندما أغلق الباب وجاء صوتها ليترد آخر أطياف النعاس عن عينيها:

. لأ... أنا عثمان...

تحسست مفتاح الإضاءة الجانبية لتفتكه على عجل ويدها الأخرى متمسكة بغطائها:

. أنت إزاي تتجرأ تدخل عليا أوضتي.

. مش أنا قلت لك أنك هتبقى ملكي بأي طريقة...

ارتعشت تعض على شفتها السفلى:

. عثمان... من فضلك أطلع برة بدل ما أزحك وأنا تسمعني

. أنتي عارفة كويس أن أنا بتاخذ دوا مش بيخليها تحس بأي حاجة حتى الصبح...

. يعني إيه؟؟

ازداد اقتراباً حتى وصل لفراشها وبدأ بفك حزام الروب الأسود أمام عيناها الفرعتان:

. أنتي خايفة ليه... الحاجات دي عادي في تركيا... يمكن عاوزة تجربيني قبل الجواز

وتعرفني أن كنت....

احمرت وجنتيها بقوة وصرخت وهو يرفع الغطاء عنها لينزع عنها آخر حامية تحتمي بها... تدافعت بقدميها مبتعدة عنه حتى كادت تسقط على الأرض وهي تمد يديها لتمنعه الاقتراب أكثر:

. لو قربت مني هوديك في داهية... لأ... لأ

أمسك قدميها ليمنعها من الإنزلاق على الأرض ثم جذبها حتى أعادها لوسط الفراش ثم جلس جوارها يثبتها بكتفيها يجول بعينه على قميص نومها الجذاب:  
. أنتي عارفة أنك حلوة قوي...

لاهثة بنفس متقطع:

. عاوز مني إيه؟؟

. كل دا ولسة معرفتيش...

. يا خسارة ثقة أنا فيك... كانت فاكراك راجل بجد..

. وطلعت إيه..

شملته بنظرة محتقرة ثم بصقت في وجهه... توارت خلف يديها بخوف من نظرتة

اللاهبة وأصابعه تشتدان على ذراعيها:

. بكرة الصبح... هنروح المأذون وهنكتب الكتاب... ودي آخر فرصة.. بعدها متلوميش

ألا نفسك.

## الفصل العشرون

.....

فتحت الباب بمفتاحها ودخلت لتجد الظلام يعم المكان، قلبت شفيتها باستغراب  
ومدت يدها لتفتح النور عندما شهقت متراجعة، حتى أدركت أن ذلك الرابض في  
المقعد بدون حركة تدل على وجوده لم يكن إلا زوجها:

. حمد الله على السلامة يا مدام

استجمعت شتات أعصابها التي بعثرتها وجوده المفاجيء، زفرت بضيق وهي تتجاوزه  
لتجلس متهاككة على المقعد المقابل له، وبزفرة تعب أخرى خلعت حذاءها الكاعب  
لتمدد ساقها بتوجع... ليعود صوته المهدد:

. إيه... ما فيش حتى السلام عليكم.

رفعت عيناها إليه لتقول ببرود:

. السلام عليكم.

. ممكن أعرف حضرتك كنت فين؟

أعادت ظهرها للخلف لتسأله بامتعاض:

. ممكن أعرف مناسبة السؤال؟؟

. لما زوج يسأل مراته كنتي فين من الصبح لحد المغرب يبقى محتاج مناسبة؟

. طبعاً... لما متكونش أول مرة.. وكل يوم بخرج بنفس الطريقة وبرجع في نفس

المعاد... وتيجي النهاردة تسألني... يبقى أكيد في مناسبة؟

. بقى كدة.. وأنا اللي كنت فإكر أنى سايبك على راحتك احتراماً منى لحرىتك

رددت بنبرة ساخرة:

. حرىتك... ولا حضرتك بتريح دماغك علشان متشيلش مسؤلىتى...

هب منتفضاً:

. شكران... بلاش تزودىها...

وقفت أمامه تجابهه بتحدى:

. ولىه لأ...

. شكران..

. اسمع يا مهأب... أنت حكمت على جوزانا دا أنه مىت من قبل حتى ما نتجوز... أى

حأة بتعملها دلوقتى اسمها تمثىل... زى ما بىحصل فى المسلسلات كدة... الدكتور

بىجىب جهاز إنعاش القلب علشان يعطى المرىض صدمة ترجع نبضاته

ويعىش... والواقع أن المرىض دا مش مرىض... والثانى مش دكتور والجهاز دا يمكن

ىكون جهاز صدمات بس أكىد مش بىشغله... فهمتى... اسمع كلامى ومافىش

داعى.. وفر مجهودك.

أمسك بذراعها:

. أنا مش ممثىل... أنا دكتور فعلاً... وعاوز أنقذ المرىض بجد...

شملته بنظرات محترقة:

. فات الأوان يا دكتور... الغيبوبة طولت وخلايا المخ أصابها تلف... حتى لو فاق  
المريض من الغيبوبة هيعيش معوق...

تجاوزته لتدخل غرفتها التي انتقلت لها من اليوم الأول... ثم توقفت قبل أن تدخلها:  
. على فكرة... أنا بجهز أوراق الدكتوراة بتاعتي... علشان بس تكون عارف أن الفترة  
الجاية هتأخر كثير... وإن شاء الله أول ما أخلص رسالتي هنعمل مشكلة قدام أهلي  
وأهلك ونفضها سيرة بأي حجج... ممكن تقولهم أنني أهملتك واهتميت بالدكتوراة  
بتاعتي.. تصبح على خير.

تهالك على مقعده عيناه لا تحيدان عن طيفها الغائب... هز رأسه بأسف... "هل  
سينتهي زواجه فعلاً؟" سأل نفسه بعتاب..

حاول استجلاب صورة سالي لذهنه..وقف مصعوقاً عندما لم تقفز فوراً تفرض نفسها  
بابتسامتها الشقية ومرحها المعدي...حاول مرات اعتصار ذهنه ليتذكرها...أخرج  
محفظته بلهفة وكأنه يعتذر لها عن خطأ غير مقصود...أخرج الصور لتبعثر على  
الأرض...ألقي نظرة خاطفة على ما سقط منه لتجمد عيناه عليها...متى احتفظ بهذه  
الصور...انحنى ليلتقطها ويتفرس فيها...رغم حزنها الطاغي ولكن بريق عيناها كان  
ينطق بما عجز عنه اللسان...وتمتم باسمها بذكرى ليست بعيدة..منذ أسبوع واحد  
فقط عندما التقط لها المصور هذه الصور بدونه...كما قال عنها يومها أن الكاميرا  
عشقتها...

وقف فجأة وصمم على اقتحام حصونها...لماذا يتوقف مغلول وحياته بين يديه  
يستطيع إصلاحها متى شاء...لم يتردد لحظة واحدة وهو يدير مقبض الباب ويفتحه

على مصراعيه ليقف مذهولاً أمام صرختها... تحركت بسرعة لتنزع غطاء الفراش لتداري به عريها.. وبارتباك:

. إيه قلة الذوق دي... مش تخبط على الباب..

اهتزت شفتاه بغیظ... ثم تتمم بدون أن تحيد عيناه عن عينيها، لتفهم أنها صنعت جلبة من لا شيء:

. عاوز أتعشى...

أسقطت دفاعاتها وكاد الغطاء يفلت من يديها، فأعادته متسحلة بشجاعة واهية:

. نعم...

بنبرة أقوى أعاد:

. بقول عاوز أتعشى.... مش حضرتك الزوجة ولا إيه؟؟

. بس أنا...

قاطعها بنفاذ صبر:

. زوجة مؤقتة... فهمنا.... بس لسة زوجة... ولحد ما يتغير المسمى دا... عاوز

أتعشى... أتفضلي جهزي أكل على ما آخذ شاور

وصفق الباب خلفه شاعراً باستمتاع غريب... لأول مرة يستطيع رؤية الصدمة مرسومة

على ملامحها الناعمة ال...وقف فجأة يتذكر "سالي" ما زالت صورتها غائبة عن

خياله... وعندما أخرج المحفظة لينعش ذاكرته العاصية... صورة أخرى شغلته لتبعده

عنها مرة أخرى... وها هو كلما حاول تذكر عشقه الأول يجد شكران بالمرصاد....

ألقت بالغطاء أرضاً وجلست على الأرض تقضم أظافرها بغيظ:

.الراجل دا أهبل ولا بيستهبل...عشا إيه وبتاع إيه...هو فاكر نفسه بجد...ولا....ولا  
يمكن جعان...من الصبح وهو على لحم بطنه...يووووه..وبعدين بقى....هو هيشغل  
في الأزرق ولا إيه؟

\*\*\*\*\*

فتحت عيناها تتأوه...رفعت يدها لتضعها موضع الألم في رأسها...لتقف متحسسة  
تلك الأربطة...جالت بعينها حولها...كان أمامها يترقب بلهفة عودتها للحياة:

. رأفت...أنت هنا بتعمل إيه..وأنا فين؟؟

أمسك بيدها وقبلها بقوة:

. حمد الله على السلامة...ياااه كل دي غيبة؟

. إيه اللي حصل؟؟

. أنتي مش فاكرة؟؟

تلفتت حولها ثم هتفت:

. مش دي المستشفى اللي بشتغل فيها..؟؟ رأفت إيه اللي بيحصل...أنا حصل لي

إيه؟؟

. إهدي يا دكتورة...أكيد أنتي عارفة أن بعد أسبوع غيبوبة...مش هتفتكري كل حاجة

مرة واحدة...

. غيب...بوبة...

رفعت رأسها بصعوبة لترى جسدها تلفه الضمادات...أحداها على طول ساقها  
اليسرى...وذراعها الأيسر ...

أعدت النظر لرأفت برعب:

. إيه اللي حصل لي...؟؟

. الحمد لله قدر و لطف...إصاباتك كانت صعبة قوي...بس محدش مصدق أن عربية  
خبطتك...مافيش أثر لخبطة عربية؟؟ بقالي أسبوع هتجنن يا رقية...

اغرورقت عيناها بالدموع والذكريات تتوالى في رأسها بتدفق رهيب...لاحظ أظافرها  
التي أخذت تنشبهها في يده وهي تتمم بصوت مبحوح:

. بشع...بشع قوي يا رأفت...

للمرة الثانية بعد سماعه خبر الحادث يشعر بشعر رأسه يقف بخوف ورعب لم يقابل  
مثله في حياته:

. حد...حد حاول يغ...بس الدكتور أكد أن مافيش..

أغمضت عيناها بقوة تهتف:

. يا ريت...يا ريت...

. إيه أبشع من الاغتصاب يا رقية...عملوا فيكي إيه...كلميني...

دخل الطبيب تتبعه الممرضات يبعده عنها بصعوبة وهي تبكي بألم وعذاب...ترك  
يدها بصعوبة والطبيب يحاول تهدئتها، ثم حقنها بمهديء وانتظر حتى عادت  
لسباتها...التفت لزوجها:

. مين سمح لك تدخل هنا.... هي فوضى ... أنت ممنوع من الدخول هنا لحد ما أسمح  
بالزيارة..؟؟

كشر رأفت عن نواجذه:

. أنت متقدرش تمنعني... أنا جوزها..

. جوزها يبقى تقدر اللي هي فيه... مش تستجوبها وهي لسة يا دوب بين الحيا  
والموت.

شهق بالم:

. لازم أعرف حصل لها إيه... ومين عمل فيها كدة... لازم أجيب حقها.

\*\*\*\*\*

. مافيش أخبار عن رقية بردو؟؟

. لأ... رأفت بيقول لسة غايبة عن الوعي...

. رحتي لها..

. لأ... مش قادرة أشوفها بالمنظر دا.. خصوصاً أني كنت السبب أنها تمشي من

المستشفى ويحصل لها الحادث.

. بلاش تحملي نفسك فوق طاقتها.. محدش يعرف الغيب... أه بالمناسبة.. نسيت أبارك

لك... سمعت أنك...

نظرت لرفيقتها بانزعاج وقاطعتها:

. الله يبارك فيكي.. عن إذنك... عدني حالة نسيت أمر عليها.

. اتفضلي...

قلبت شفتها باستياء وسلمى تجر قدميها مبتعدة عنها قبل أن تمطرها بأسئلتها التي تحاول قدر المستطاع تحاشي الرد على مثيلاتها... بالكاد بدأت تعتاد ما حصل منذ أسبوع... ولا تنوى أن تظل تتذكره للأبد... بل تنوي التخلص منه في مقبرة النسيان، للأبد لو استطاعت... وكلما حاولت تجد ذكريات ذلك اليوم تطفو بإغظة مستفزة...

. إيه يا سلمى.. مش هتروحي...

. لأ... أنا مطبقة النهاردة

. ليه بقى.. أنتي هنا من الصبح... يا بنتي إن لبدنك عليك حق

. معلش... رقية مش موجودة وأنا هحل محلها...

. طيب على راحتك... أشوفك بكرة...

تأوهت تريح رأسها على المكتب في غرفة الاستراحة... نفذ صمودها منذ ساعات، ومازال العناد يسوسها أمامه.. تعرف تماماً ما ينتظرها إن هي عادت... ستظل هنا متحصنة بأسوار المشفى حتى ييأس منها ويجمع كل أوامره وغروره ويعود من المكان الذى جاء منه... للأبد.

فتح الباب وهتفت الممرضة:

. دكتورة سلمى.. دكتورة سلمى.

. خير فيه إيه... فزعتيني..

. حالة مستعجلة يا دكتورة... الله يخليكي بسرعة الحالة بتنزف..

وضعت سماعاتها الطبية حول عنقها وركضت لتلحق بالمرضة...

دخلت خلفها غرفة استقبال الطوارئ لتفاجيء بالظلام المعتم..

تلقت حولها تصرخ:

. الكهرباء قطعت... شغلوا المولد بسرعة في حالة بتنزف....

فجأة انفتحت كل الأضواء لتشهب من إبهار الضوء لعينيها... ثم فتحتهم ببطء لتشهب من صدمة جديدة... لا وجود لمريض ينزف... ولا وجود لغرفة الطوارئ... وكأن عصا سحرية حولتها لقاعة أفراح... الزينات معلقة في كل مكان والمفارش المزينة غطت طاولات الجراحة التي امتلأت بالحلويات والتورتات... وكل طاقم المشفى من الأطباء والمرضى وبعض المرضى يصفقون ويصفرون...

جفلت عندما لمس أحدهم يدها... رفعت عينها لتراه.. هو... وكأنه أمير هارب من كتاب الأساطير... ببذلته المحددة لتفاصيل جسده الرياضي، شعره الممشط بعناية وتفوح منه رائحة عطر يعيد الحياة للأمموات في المشرحة.

أمسك بيدها وأشار لرجل آخر يجلس على أحد الطاولات التي عادة مخصصة للأدوات الجراحية:

. لما اتأخرتي قلت أجي لك أنا...

أشارت له بدهول:

. إيه دا؟؟

. دا إسمه.. مأذون..

وضعت يدها على فمها لتدرك الفخ الذي وقعت فيه... لتفاجأ بصوت جدتها:

. نعمل إيه حضرة دكتورة مشغول... مشغول... عثمان اقترح نجيب فرح عندك...

. تيتا.. بس أنا...

. سوس... مافيش تيتا.. فيه شيخ مأذون.. يلا أكتب يا شيخ...

فتح الشيخ دفتره وبدأ بالكتابة... ثم رفع رأسه:

. أين وكيل العروس...

التفتت للصوت القادم من الخلف:

. أنا يا سيدنا الشيخ... الدكتور مهاب سلامة عبد الجواد

ثم غمز لها بعتاب:

. حطيتيني في موقف لا أحسد عليه... خطيبك اتهمني أنني بدورك في ساقية، ومش

لاقية ساعة تروحي تكتبي كتابك فيها...

هتفت بضياع:

. بس أنا....

هز رأسه بأسف وهو يقدم بطاقته للمأذون:

. أقل حاجة وافقت أن كتب الكتاب يكون هنا... في غرفة الطواريء...

ضمها عثمان من كتفيها بخشونة:

. نعمل إيه يا دكتور... بنت عمي دكتورة متفانية في شغلها... بس لازم تعرف أن الكلام

دا مش هينفع بعد الجواز

. صدقني يا عثمان بيه...

قاطكعه عثمان بنظرة انتصار جعلتها تشعر بانطباق الفخ على عنقها:

. من غير حلفان يا دكتور مهاب... أنا عارف الظروف... إن شاء الله سلمي هتخفف

شوية من حماسها.. مش كدة يا حبيبي..

وقبل أن يتسنى لها الرد بما يوقف كل هذه المهزلة ناداهم المأذون:

. اتفضلوا... فين الشهود؟؟

وقفت تراقب ما يحدث كأنها تشاهد فيلم سينمائي... دفعتها جدتها لتوقع على

الأوراق... فسارت كالمخدرة لتكتب اسمها كما أمرها... وضع المنديل فوق يدا

مهاب وعثمان وبدأ الشيخ يلقنهم ما يقال في هذه المناسبات... دقائق أخرى وسمعته

يقول:

. أَلف مبروك.. بالرفاه والبنين إن شاء الله...

وهجمت عليها صديقاتها يقبلنها ويهنئنها لتلقى قبالاتهم بجمود وهي ترمق بعيون

مغرورقة بالدموع عثمان المتبجح بانتصاره...

\*\*\*\*\*

. يعني مش ناوي تريح قلبي وتقولي مين الضيف المهم قوي اللي جاي يزورنا

. وأنتي مستعجلة ليه... مش بيقولك يا خبر بفلوس بعد دقائق هيبقى ببلاش

. الغريب أنك مش متعود تستقبل حد...

. حاجات كتير قوي مش متعود عليها بقيت أعملها... نشوى... أنتي متعرفيش عملتي

إيه في حياتي... أنتي ملتيها بعد ما كانت فاضية ومملة

. أمممم.. لو كان دي مقدمة علشان تطلب إيدي... بلاش أحسن

أدعى الغضب وهو يتراجع في مقعده:

. ليه يا بنت... إنتي هتلاقي أحسن مني؟؟

. لأ طبعاً... بس أنت ترضى لي المصير دا

أجاب بثقة:

. لأ طبعاً...

ضحكت وهي تمسك بيديه:

. أنت رجل عظيم قوي يا بابا أدهم...

. و أنتي....

قاطع كلامه طرقات على الباب فهتفت:

. ضيفك وصل... الحمد لله قبل ما ندخل في مشهد أمينة رزق... أنا هفتح.

قهقهه بوقار وهو يراقبها تركض باتجاه الباب لتفتحه وتقف أمام ضيفهم مصدومة:

. إيه يا نشوى... هتفضلي متنحة كتير... دخلي الراجل الأول

أخذت جانب الباب وأشارت له بفتور:

. انفضل يا دكتور هيثم...

أوماً بارتباك وهو يتحاشى النظر إليها...هم أدهم لاستقباله بحفاوة...أغلقت الباب  
وهتفت بتوتر:

. هروح أجيب حاجة ساعة...

ولم تنتظر إجابة وهي تركض باتجاه المطبخ...

ولكنه أوقفها بتساؤل منبهر:

. إنتي اتحجيتي؟؟

أطرقت بخجل:

. أيوة...مش حلو عليا؟؟

. ما شاء الله...مين قال كدة..حلوة قوي.

نحنحة أدهم بالخلفية جلعته ينتبه فتابعت نشوى ركضها للدخل بينما

جلس هيثم مطرق الرأس بإحراج:

. أنا آسف يا دكتور...أنا يظهر جيت في وقت مش مناسب...يمكن تكون الآنسة  
مخرجة من وجودي.

. ولا إحراج ولا حاجة...المهم أخبارك إيه...سمعت أنك سبت المستشفى

. أيوة... أتضح أنني مش مريض إلا بأوهامي... أنا رجعت شغلي... ودورت على  
إقب... أمي علشان أصلح علاقتي بيها

هز أدهم رأسه بتقدير:

. برافو...

. مش كدة ويس... وكل البنات اللي... اللي... دورت عليهم... للأسف كلهم ما  
يستحقوش أي تعويض... ومع ذلك حاولت....

. يعني أرضيت ضميرك

. الحمد لله... ما عدا... ريم... لسة مختفية وأهلها ميعرفوش عنها حاجة.

. ولو لقيتها هتعمل إيه؟؟؟

رد بان دفاع:

. هتجوزها طبعاً..

. أنت مقتنع..؟؟

. قصدك إيه؟

. الجواز خطوة مهمة وصعبة... واحدة زي ريم تعتقد أنها تنفع تكون زوجة أمينة على  
نفسها وعليك.

تعرق جبينه وهتف بنبرة مسحوقة:

. قصدك أنني مينفعش اتجوزها

. لأ يا ابني ... أنا مقلتش كدة... أنا عاوزك لما تاخذ خطوة الجواز من ريم لازم تكون متأكد مليون في المية من الخطوة دي.. وإلا حياتك وحياتها هتكون جحيم... من عدم الثقة لدوامة الشك...

. أنا دمرت حياتها يا دكتور أدهم... ريم كانت... أنا كنت... أول راجل في حياتها...  
. والأخير؟؟؟

أوما هيثم بتأكد:

. يمكن دي الحاجة الوحيدة اللي أنا متأكد منها أكثر من وجودي قدامك دلوقتي... ريم مشكلتها معايا حبها ليا كان جنوني... أنا الراجل الوحيد في عقلها وقلبها...

. دور عليها يا هيثم... ولازم تلاقيا...

دخلت نشوى تحمل كؤوس العصير.. قدمت للدكتور أدهم أولاً ثم التفتت للضيف محاولة ألا تقلتني بعينه.. كما كان يحاول تحاشيها...

همت بالانسحاب فأوقفها أدهم:

. نشوى... أقعدي معانا..

اعترضت:

. مافيش داعي.. علشان الدكتور هيثم يكون على راحته.

لدهشة كليهما هتف هيثم:

. لأ أبداً... اتفضلي لو سمحتي

جلست بتردد بجوار أدهم الذي لاحظ توترها... لم تستطع إجابة نظرتة المتسائلة بينما  
ساد الغرفة توتر مشحون... وقف أدهم فجأة:

. يظهر أنني نسيت أصلي العشا... أستأذنيك يا دكتور هيثم... البيت بيتك ..

. اتفضل يا دكتور

حاولت إيقافه ولكنه كمن يهرب قبل أن تستطيع.

الصمت المشوب بالارتباك كان العملة السائدة حتى قررت كسره:

. حضرتك دكتور في الاقتصاد

. أيوة.. أنا آسف جداً للي حصل في المستشفى...

. لأ عادي... بابا أدهم حذرني... بس أنا كنت مندفعة... يمكن دي طبيعتي... مش

عارفة...

ردد بدهشة:

. بابا... هو حضرتك تقربي للدكتور

. الصراحة... لأ... هو اتبناني .. بعد الحادثة بتاعتي فقدت الذاكرة... وهو بطيبة قلبه

قرر أنني أحل محل بنته اللي ماتت لحد ما ألقى أهلي.

. غريب قوي الراجل دا؟؟ أنا كمان حسيت من أول مقابلة أنه... ممكن نسميها تبني

كمان... حس بمشكلتي واتدخل بكل طريقة علشان يساعدني..

. أنا مبسوطة أنه قدر يساعدك فعلاً... أنا آسفة... بس أنا سمعت الحوار بينكم غصب  
عني... كان صوتكم عالي... البنت اللي بتدور عليها دي... أنت بتحبها ولا بتدور عليها  
علشان ضميرك بيعذبك؟؟

وكأنه فوجيء بالسؤال، تجمدت ملامحه للحظات وهو ريم تحتل أفكاره من أول لقاء  
بينهما في قاعة المحاضرات عندما كان بالنسبة لها كنجمة في السماء تتطلع له من  
بعيد ولا تجرؤ على لمسها... وفي السنة الأخيرة قرر أن يضمها لضحاياه، وكم كانت  
سعادتها عندما لمحتة أخيراً يبتسم لها... ملامحها لن تبرح خياله في ذلك اليوم  
قط... كانت تنطق بكل معنى للفرح... أغمض عيناه بألم... لقد كسرها... أهان أنوثتها،  
دنس كيائها... استغل برائتها بكل دنائة...

. دكتور هيثم

فتح عيناه يعتذر بشرود:

. آسف... يظهر شردت... مش عارف إحساسي بيها إسمه إيه.. تعود ولا حب، ولا  
علاقة سادية زي اللي بتربط المجرم بالضحية...

. يمكن لما تشوفها تحدد شعورك ناحيتها

. بعد اللي عملته معاها... احتمال بعيد قوي أنها تظهر تاني في حياتي.

## الفصل الحادي والعشرون

.....

. وسألت الضحية... هل لديك أقوال أخرى

هزت رأسها بالنفي غير قادرة على إخراج صوت ولو صغير غير نسيجها المكتوم،، شد  
رأفت على يدها زاجراً المحقق:

. لو سمحت... كفاية كدة ولا حضرتك مش شايف حالتها

. أنت عارف يا أستاذ رأفت أهمية شهادة الدكتورة...

باستهانة واضحة هتف رأفت:

. ولا لها أي تلاتين لازمة ولا هتعملوا حاجة... المخلوقات دي توحشت لسبب... أنهم

مش لاقيين حد يردعهم... كام من بلاغات اتقدمت لناس ربنا كتب لهم

النجاة... وما فيش أي تغيير... من سنين وأحنا عايشين الكابوس دا... محدش محمي

منه... ستات وأطفال وحتى الشباب... يا أما في تاكسي من غير نمر، أو توكتوك معدي

جاهز بمنديل مخدر... أو... أو... تعددت الأسباب والإهمال واللامبالاة واحد.

وقف المحقق يدافع بنبرة هجومية:

. أحنا مقيدين بالقانون يا حضرة

. لو كان فيه قانون مكانش الوحوش دي اتسمرت يا سيادة المحقق... قانون الغاب هو

اللي بيحكمنا دلوقتي... ولو سمحت المدام مرهقة وعاوزة ترتاح.

أوما يرمقه بنظرة نارية... غادر يتبعه سكرتير النيابة...

عاد للجلوس جوارها يمسد جبينها المتعرق:

. حبيبي .. أنتي بخير ...

. أنا بخير... بس في ناس تانية مش بخير يا رأفت... لازم نعمل حاجة..

. إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم... بصي حوالكي هتلاقي كل واحد همه

نفسه وبس... اتحولنا لمخلوقات أنانية.. طالما أنا عايش وولادي حواليا بياكلوا

ويشربوا وبيناموا... أفكر ليه في غيري نايم عريان في الشارع مش لاقى لقمة نضيفه

ولا هدمه تستره، أفكر ليه في أسرة فقدت عائلها الوحيد... اتخطف ولا اختفى ولا راح

في ستين داهية... احنا مالنا...

. لا يا رأفت... مش ممكن نكون بقينا كدة

. اعلمي زيهم وحطي راسك تحت الرمل، وتخيلي أن الدنيا حلوة

. أنا شفت بنفسي... عشت لحظات الموت بسمعهم يقطعوا في جسمي وأنا

عايشة....

.. يعني لازم تعيشي التجربة بنفسك علشان تحسي بناس غيرك...

. مع الأسف... أه...

. مع الأسف... كلنا كدة، المهم شدي حيلك علشان تخرجي بالسلامة كفاية كدة دلح.

. هو بابا مجاش النهاردة

. أنا قلت له يرتاح... وأحنا هنروح على بيتنا

تعاقد حاجباها في استغراب:

. بيتنا... هو فيه حاجة اسمها بيتنا؟

. أه.. فيه... مش مصدقاني

هتفت بإنهاك مشيحة بعينيها عنه:

. أيوة... آخر مرة شفتك فيها كنت..

وضع يده على شفتيها برقة:

. كنت بتوسل منك حرف... نظرة... أي إشارة أعرف منها أنك عاوزاني

هتفت بنبرة باهتة:

. بس أنا مش عاو....

أغلق فمها مرة أخرى:

. بلاش... خليني أفهمك الأول....

\*\*\*\*\*

. وبعدين يا ريتاج يا بنتي

. ولا قبلين يا ماما... اهه على الحال دا بقاله أكثر من عشر أيام من ساعة ما رجعنا من

البلد... مش بيتكلم معايا خالص ولا حتى يبص في وشي

. الراجل عنده حق بردو يا رورو... الواحد يقول اللي له واللي عليه... أنتي زودتيها قوي

المره دي.

. وأنا أعمل إيه يعني... الظروف جت كدة...

. وأنا كمان... نفس المشكلة... ياسر مش بيعبرني خالص...

التفتت لها وجدان:

. أنتي مصيبتك أدهى وأضل سبيل... وحد يعمل عملتك دي... تحملي وتخلفي من غير ما تجيبي لجوزك سيرة ولا خبر... ستات قادرة صحيح وعاوزين كسر رقابهم

. وأنتي كمان يا ماما وجدان

. أيوة يختي ولا علشان وقفت معاكي قصاد ابني، وقفت معاكي بس علشان أنتي ولية من غير ظهر... بس الحق.. أنتي غلطانة يا ميسم... والغلط راكبك من ساسك لراسك... بتضحكوا على إيه يا مقصوفة الرقبة منك ليها

من خلال قهقهتها هتفت ريتاج دامعة العينان:

. قلنا لك ميت مرة اسمها ميسم... ميسم...

. وكان جرى أيه يعني... ويعني هي الأسامي خلصت من البلد ملقوش غير الاسم دا يسموكي بيه.. القصد... الحمد لله أنك سميتي البت ميسون... أهه سهل الواحد يحفظه... وبطلتي قلة أدب منك ليها... في حد يضحك على أمه يا ناقصين الرباية... قومي.. قومي يا بت يا ريتاج خدي ابنك وعلى بيت جوزك... حماتك تربيكي وأنا هربي البت دي...

. أولك يا ماما... بس أوعي تعوريها.. يالا يا سيف... نروح نشوف حل في بابا...

التفتت وجدان لميسم بعد خروج ابنتها:

. تعالي بقى أقولك تجيبي ياسر على بوزه إزاي

. بجد... هتصحيني... وليه ما نصحتيش ريتاج

. نصحت ريتاج قبل كدة.. الدور عليكى... تعالي بقى وطقطقي ودانك.

\*.....

. كنتي فين؟؟

. عند ماما... أكيد الحرس بتوعك...

. أنتي اللي مراتي مش الحراس... أنتي اللي المفروض تستأذني مني مش الحرس....

. أوك يا ليث... المرة الجاية

هتف بشراسة:

. مافيش مرة جاية... أنتي مش هتخرجي تاني من الفيلا أبداً

احتدت نظراتها بتمرد:

. يعني إيه... أنا مسجونة ولا إيه؟

. لو حابة تحسبها كدة أنتي حرة

. ليث... أنا عارفة أني غلط وأنت بتعاقبني.. وأنا متقبلة كدة... بس احتمالي له حدود.

. ومفكرتيش إن أنا كمان ليا قدرة على الاحتمال

. خلاص يا ليث.. وأنا بدفع تمن غلطتي من أعصابي وحرقت دمي في كل مرة بتتجاهلني

فيها، وفي كل مرة بشوف نظرتك ليا لما أيدك بتلمسني من غير قصد وكأنك قرفان،

اعتذرت لك بدل المرة ألف... أعمل لك إيه تاني... أبوس رجلك علشان تسامحني.

بابتسامة هازئة ونظرة معذبة:

. لأ يا هانم... مش عاوزك تبوسي رجلي... مش عاوز منك أي حاجة... أنتي بالنسبة لي  
يا ريتاج انتهيتي... أنتي أم أولادي وبس.

بنبرة خوف متجاهلة تسارع نبضاتها:

. يعني إيه وبس...

قلب شفته السفلى:

. يعني ليكي عندي احترامك وتقديرك كأ سيف والبيبي اللي جاي... أنما بيني  
وبينك... العلاقة انتهت.

بأنفاس مسحوبة:

. علشان كدة بتنام في أوضة تانية... وأنا اللي كنت فاكراك بتعمل كدة لحد ما تهدي.

. أنا هديت خلاص... والإجراء دا هيستمر على طول

. لحد إمتي... هتستحمل

حدجها بنظرة ثابتة لم تلن:

. لو قصدك على المعاشرة الزوجية... زي ما أنتي عارفة الشرع محلل أربعة.

. أنت أكيد بتهزر

رمقها بنظرة ساخطة وهو يتجاوزها مبتعداً بخطوات واثقة...

دخلت غرفتها تدور حول نفسها:

. إيه اللي أنا عملته دا؟؟ معقول ... ليث هيتجوز عليا؟؟ إيه اللي كان جرى  
يعني... طيب يا ليث... أنا مش قاعدة لك فيها.

وتحركت تشرع أبواب دولابها وتلتقط ملابسها وتلقي بهم على الفراش، أخرجت أحد  
الحقائب الكبيرة وأخذت تلقي بملابسها عندما توقفت فجأة.. "إيه اللي أنا بعمله دا؟؟  
تاني يا ريتاج... تاني هتمشي... هسيبي ليث يضيع منك علشان حبة كبرياء... أنتي  
الأصل... واللي ناوي بعمله مجرد رد فعل... إوعي تغلطي الغلطة دي تاني"  
تهالكت بجوار الحقيبة المفتوحة تعيد حساباتها لتقرر ماذا ستفعل.

\*\*\*\*\*

. شكراااااااااان... أنتي يا مدااااااام

ركضت باتجاهه ليكف عن الزعيق:

. فيه إيه جرى إيه... الجيران يفتكروا أن عندنا حريق

ألقى أحد قمصانه بوجهها:

. تقدري تقولي لي إيه دا؟؟

أزاحت القميص عن وجهها ترمقه بنظرات نارية حارقة ثم كزت على أسنانها:

. ماله القميص

. بصي فيه... شوفي يا مدام... القميص ناقص زرار

. إيه يعني ناقص زرار

. ألبسه إزاي بقي إن شاء الله؟؟

. قبل ما تتجوز حضرتي كنت بتعمل إيه؟؟

. المكوجي كان بيركبه

ألقت القميص بوجهه كما فعل معها صارخة:

. أنا مش المكوجي بتاع حضرتك..

باستهزاء هتف هو يعيد إلقاء القميص:

. بس أنتي مراتي... المفروض تهتم بالحاجات اللي زيدي...فايدة الجواز غيه إن شاء

الله..منا كنت قعدت عازب....مش كفاية هدومي اللي في الغسيل وبترجع كلها ناقصة

وأنا قافل وساكت مش بتكلم.

. لا والله...مستحمل قوي يا حرام...أسمع يا مهاب...أنا الوضع دا مش عاجبني...أنا

مش خدامة ولا غسالة ولا سفرجية لحضرتك...

. أمال أنتي إيه؟؟

فاجأها سؤاله البارد فهمت بالرد...لتتوقف عاجزة عن إيجاد إجابة شافية...كتف

ذراعيه على أكتافه منتظراً ردها بتسلية:

. هه يا مدام...عاوزه أسمع...أنتي إيه؟؟

. أنا...أنا...أنا مراتك اللي طالبة الطلاق...هروح ألم هدومي وأمشي.

أمسكها من ذراعها ليوقفها...شهقت عندما لسعتها أصابعه على جلدها العاري

فأجفلت مبتعدة عن ملامسته:

. للدرجة دي مش طايقة لمستي...

شذرتة باحتقار:

. هروح ألم هدومي وأمشي

. أنا مش هسمح لك...

. مش بمزاجك...

. لأ... بمزاجي وأنتي عارفة... لو نفذتي اللي براسك ومشيتي... تليفون صغير مني

لوالدك هيرجعك وأنا قاعد مكاني... خليك قاعده بكرامتك أحسن

اغرورقت عيناها بالدموع:

. هي فين الكرامة دي؟ من اول ليلة وأنت بتدوس عليها من غير رحمة ولا شفقة...

. واعتذرت لك.

. على إيه بالضبط... على أنك اتجوزتني بس علشان أفرح أبوك بعيل من صلبك... ولا

أنتك اتجوزتني وأنت لسة بتحب شبح... عاشقه ومش قادر تنساه ولا تشيله من بالك.

. أنتي بس اللي موجودة دلوقتي يا شكران مش سالي

أغمضت عيناها بجفلة ألم وكأنها تلقت طعنة مسمومو في قلبها لمجرد ذكره

لاسمها.. ثم تمتت مشيحة بعيناها بعيداً عنه:

. نظرياً يا دكتور... أنما عملياً.. أنت عايش معاها... مش معايا.

. بعد أول ليلة مافيش أي حتصرف صدر مني يخليكي تعيشي الإحساس دا

. وما فيش تصرف يفيد العكس... غير أنك فجأة قررت تستفيد من وجود الزوجة بأي طريقة... حتى لو على حساب راحتي ومذاكرتي... زي الكتاب ما يقول بالضبط... مش كدة؟

. مش عارف أعمل إيه علشان أرضيكي...

تركها ودخل غرفته وأغلق الباب خلفه بعنف... حدقت بالباب وبدأت تسأل نفسها إن كانت زادت من انفعالاتها... كان من الواضح أنه بطريقته الذكورية الأنانية البحتة يحاول الوصول لطريقة تفاهم... وهي بعنفوان الأنثى المتعنت قررت تجاهل الأصل من التصرف... سخرت من نفسها لئن يركع أمامك باكياً طالباً الود والوصال... فقط لو ينساها... وأنا لم أساعده... ربما حان الوقت لأحاول اللقاء معه في المنتصف"

فتحت باب غرفته بدون استئذان ليقف مجفلاً بوجودها الصادم في محرابه... التقطت عينها تلك الصور التي تساقطت من حجره على الأرض... اقتربت لتمعن التحديق فيها... وكلما اقتربت ازداد شعورها أنها تتوغل في حفر ضريحها... انحنى لتلتقط إحدى الصور.. انحنى قبلها وأمسك رسغها ليمنعها:

. بلاش يا شكران... أنا...

تجاهلته وأبعدت يده لتكمل التقاط الصورة، والتي تليها، والتي تليها... رفعت عينها إليه... حتى الدموع أبت التحرر لتطفيء ذلك السعير المشتعل...

وقفت بعنفوان تحدجه بنظرات فوقية حيث ما يزال قابعاً على الأرض وقد اختلطت الصور ببعضها أمامه فلم يرى إلا شيئاً واحداً... لقد فقدتها... فقدتها... ذلك الخواء الذي يغتال روحه لم يكن موجوداً منذ لحظات.. والآن تكاد أنفاسه تتمزق تيهاً فيه.

هل انتهى كل شيء فعلاً... بماذا كانت تتمسك تماماً عندما تهجمت على غرفته وكأن لها أي حق لديه... والآن نالت ما تستحق.. رغم أنها تعيش معها تقريباً روحاً وخيالاً كضرة غير مرئية ولكنها المرة الأولى التي تراها فيها... منذ تلك اللحظة التي رأتها فيها بأوضاع مختلفة... ضاحكة... عابسة... شاردة... وكأنه سرق كل لحظة من حياتها ليعيد اجترارها مراراً وتكراراً... تكاد لا تغيب عن عقلها... لم يزيحها سيل الدموع الذي انهارت سدوده فجأة... لا تتذكر كيف ارتدت ثيابها ووضعت شالاً على رأسها... كانت تخشى أن يوقفها وعندها لا تدري ما الذي سيحدث... هل تخشى خسارته أم أنها خسرتة بالفعل... أوقفت أول سيارة أجرة ولا تذكر تماماً الوجهة التي أخبرته بها... بعد وقت ما... سمعت صوته الأجلش:

. وصلنا المحطة يا مدام...

أنقذته أجرته وركضت تصعد درجات محطة القطار...

\*\*\*\*\*

. أنت إزاي تعمل كدة؟؟

. نعم... وأنا كنت فاكرك أنتي هتفرحي لما تعرفي..

. أفرح... أنا شفتك وأنت بتركب معاها العربية وكنت بت... وهي بت....

قهقه ضاحكاً لملامحها المحتقنة باحمرار رغم شحوبها:

. إيه بت... وبت... دي... أنتي مكسوفة تقولي أنها كانت بتبوسني وأنا....

. خلاص يا رأفت... مش هي دي المشكلة... المشكلة أنك بتقول أنك عملت كدة

بس علشان تلعب عليها...

. ودي فيها إيه... كل شيء مباح في الحرب وفي... الحب...

. بس أنا لما شفتكم صدقت...

. وهو دا المطلوب... أنتي صدقتي وهي صدقت... وأنا أخذت اللي عاوزه...

. أنت إزاي ممكن تخدع حد باسم الحب... حتى لو كانت مبرراتك مشروعة... هيكون

إيه إحساسها دلوقتي وهي بتفكر أنك خدعتها وأوهمتها أنك بتحبها و...

فجأة قهقهه بضحك هستيري فهتفت بانفعال:

. أنت بتضحك علي إيه..

. أنتي بريئة قوي يا رقية...

. يعني إيه؟؟

. مش معقول... عندك كام سنة؟؟

. سبعة وعشرين..

. معقولة سنك دا ومقابلتيش في حياتك ناس بألف وش ووش... ناس بتغير كل يوم وش

علشان تغش، وناس الغش في دمها حسب كل يوم وش... سارة لما صدقتني.. صدقتني

بس علشان تثبت لنفسها أن أي حاجة بتملكها مش ممكن تضيع منها إلا

بمزاجها... ولو مكنتش أنا سبقت كانت هي مخططة تتخلص مني باقدر طريقة ممكن

تخيلها... كان ممكن تلفق لي تهمة... تحط لي في عربيتي مخدرات وتبلغ عني... أو

توصي بلطجي من بتوعها يخبطني في الطريق... أو....

شهقت برعب:

. كفاية أرجوك... في ناس كدة

. فيه يا رقية... أقسم لك السيناريو اللي كان مخطط لي مكانش هيخرج عن الحاجات  
اللي قلت لك عليها... وبالورق اللي أخذته محدش هيقدر يقرب لي أو يقرب  
لك... أبداً

. لحد أمتي؟؟

. لحد ما البلد تنضف من كل الفساد وأشباه النبي آدمين...

. بس يا رأفت الفلوس والعريية من حرام...

. رصيدي اللي في البنك دا تعبي طول السنين اللي فاتت.. أنا كنت بشتغل في الشركة  
بتاعتهم بما يرضي الله، وعمري ما دخلت جيبي قرش حرام ولا اشتركت في صفقات  
مشبوهة... وعرييتي وشقتي كمان فلوسهم حوشتها قرش قرش... الشقة مش واسعة  
قوي... بس هتعجبك.

. أنت خلاص عملت حسابك أني موافقة، وأنني هرجع معاك على شقتك.

. ليه وأنتي عندك رأي تاني؟ ولا خايفة؟

ثم نهض واقفاً فجأة وقد اغتمت ملامحه:

. أنا فهمت... أكيد مش عاوزه تربطي حياتك برجل قلبه على كف عفريت... لأ وإيه  
بيشتغل ميكانيكي.... يعني من كل النواحي مش مناسب لدكتورة مستقبلها لسة فوق  
.... وأنا كل مستقبلي تحت العربيات... من حقلك طبعاً... يظهر أنني غامرت بأحلامي،  
وللأسف طلعت أبعد بكثير من إمكانياتي.

. رأفت أنا مش قصدي...

بابتسامة مشوبة بالألم:

. ولا قصدك...هخلص أوراق خروجك وهاجي أوصلك بيت أهلك...عن إذتك.

حدقت بالباب المغلق.. "ماذا فعلت بنفسي...لماذا لم أخبره ببساطة أنني أحبه...وأن كل طموحي في الحياه أن أكون زوجته وأنا فخورة...حتى لو كان ميكانيكي وأنا دكتورة...هل هو كلام الناس...أم أحلامي المغتالة على يديه...نعم اغتال أحلامي، وكان أجمل اغتيال...

اتكنت على وسادتها تفضي إليها بدموعها عندما ظل الأمل من جديد مع طرقات الباب، اعتدلت وأذنت له بالدخول وقد قررت أن تصلح كل شيء:

. السلام عليكم..شكلك مصدومة بوجودي...أروح وأرجع وقت ثاني

زفرت رقية بتعب:

. سلمى...تعالى يا عبيطة.

وركضت سلمى لأحضان صديقتها تختلط دمعاتهم بقهقهات هستيرية..ابتعدت سلمى عن أحضان صديقتها تتأملها من خلال دموعها:

. أنا آسفة بجد...

. على إيه يا عبيطة

. ياااه يا رقية...أنا إزاي عملت كدة...

. الحب بهدلة...مش أنتي اللي كنتي بتقولي كدة

. وهو أنا بحب... بحب مين؟؟ ومين بيحبني؟؟

. أنتي هتجنيني يا سلمى... مش أنتي بتحبي سليم... وهو...

. أهى هو دي المشكلة... هو طلع بيحب واحدة بس... أنتي يا رقية... يعني لو هتدي

استمارة ستة لصاحبك أول واحد واقف في الطابور هيكون سليم... هو هياخذها

أمتى؟؟

. مين؟

. رأفت

. هياخذ إيه؟

. استمارة ستة يا روقة... اللي واخذ عقلك يا دكتورة

. مش عارفة يا سلمى... كل حاجة اتشقلب حالها... ومش عارفة .

. تعالي انضمي للقافلة... أنا كمان شرحه... حطي خيبتك على خيبتى ويالا نغني ظلموه.

\*\*\*\*\*

. مساء الخير يا ماما

. وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته... إيه مساء الخير دي...

تهالك على أحد المقاعد منهكاً:

. سوري... المرة الجاية إن شاء الله... أخبارك إيه؟؟ إيه الهدوء دا... فين ميسون؟

. دخلت تنام بعد ما هلكت نفسها من اللعب، والله ملت عليا البيت يا ياسر...عقبال  
ما تخاويها ...

أشاح بوجهه بتبرم:

. ماما..أنا جعان عاوز أتعشى..مممكن.

تنأبت بكسل:

. أنا صاحية من النجمة ومش قادرة أفتح عيوني...خلي مراتك تعشيك، تصبح علي  
خير.

. ماما..ماما...

وتجاهلته وهي تخطو لغرفتها وتغلق الباب...زفر بحنق ورفع عيناه للسقف  
ساخطاً...ثم قفزت ملامح صغيرته الشقية لتداعب عقله المنهك...انشقت ابتسامة  
بين شفتاه العاصيتان، فكر أن يراقبها وهي نائمة، كم يشتااق إليها.

بخفة توجه لغرفتها التي خصصها لها، تلفت حوله خوفاً أن يضبط بمحاولة  
التسلل..فتح الباب بهدوء ودخل مسرعاً وأغلقه خلفه..بصعوبة استطاع تمييز الفراش  
الصغير من ضوء القمر الشحيح المتسلل من النافذة....جلس جوارها ووضع يده  
عليها لتتصلب..اتسعت عيناه مصدوماً وذلك الجسد الذي لا يمكن أن يكون لابنته  
الصغيرة يتقلب بتأوه وينحسر الغطاء عن ساقها المرمريتان... أخذ نفس ولم يستطع  
إخراجه فقد التهبت أطراف أعصابه محاولاً تجاهل كل هذه الإثارة المحطمة  
لرجولته....حاول الانسحاب عندما سمع شهقتها وهي ترفع الغطاء عليها بخجل دون  
أن يغطي أي شيء بالفعل:

. ياسر... أنت بتعمل إيه هنا؟؟

. كنت... كنت جاي أشوف ميسون... أنتي بتعملي إيه في سريرها

. كنت نايمة معاها بحكي لها حدوتة قبل النوم... بس يظهر أنها عملت زي كل ليلة... نيمتني وراحت تنام في سرير جدتها...

وقف يداري ارتبأكه بأوامره العصبية:

. لو سمحتي متعمليش كدة تاني...

. أعمل إيه؟؟؟

. كدة... تنامي في... يوووووه.. دي عيشة تقرف وتقصر العمر

وخرج بالكاد يرى طريقه وصفق الباب خلفه.

قهقهت مضجعة على وسادتها تغمض عيناها براحة:

. تسلم أفكارك يا ماما وجدان...

\*\*\*\*\*

## الفصل الثاني والعشرون

.....

أخذت مجلة كبيرة من سيجارتها لتفتتها في الهواء... ثم ألقته عليه نظرة خالية من أي معنى:

. لسة مش فاهمة أنت جاي هنا ليه؟؟ كل الكلام الكبير دا مفهمتش منه  
حاجة... سامحني يا ابن... دكتور... علامي على قدي...

. جاي أفتح معاكي صفحة جديدة

نفثت دفعة أخرى من الدخان الأبيض في وجهه:

. كدة... بكل بساطة... بعد كل اللي قلته واللي عملته

. وندمت...

. مش باين عليك...

أخرج زفرة احتبست طويلاً بصدرة لتساعده على احتمال المكان وصاحبته، بمنظرها المقزز... ملابسها التي تظهر أكثر مما تخفي من لحمها المترهل، تلك الألوان الصارخة التي تلتخ بها وجهها في محاولة فاشلة لتبدو أصغر سناً... وأضاف لكل تلك اللوحة التي تبعث على التقيؤ، ذلك الشاب الذي يصغره في السن بعشر سنوات على الأقل وقد جلس يدلك ساقها الممدتتان بانهماك غريب... أعاد هيثم أمداد رثيته بالأكسجين الذي بات يشك في وجوده من شعوره العارم بالاختناق:

. سامحيني... أنا ماليش حق أني أحكم عليك... هتفضلي الأم اللي ولدتني

زمجرت باستياء تكرر كلماته:

. إيه يعني... القوط في الشارع بتولد..

وقف وقد استهلك آخر مخزونه من الاحتمال:

. أنا بس حبيت أعرفك .. لو احتجتني لأي حاجة... هساعدك بدون تردد.

ووضع كارت تليفوناته أمامها وأوماً مستعداً للإنصراف عندما أوقفته:

. استنى عندك... إيه اللي غيرك؟؟

. أنت خسرتيني... بس أنا مش عاوز أخسر نفسي... عن إذتك.

\*\*\*\*\*

. إيه الأخبار؟؟

. أخبار إيه؟؟

. أخبارك... كل يوم خروج ومشاوير...

. ما هو أنا بستأذن حضرتك

. وحضرتي مش معترض... بس ..

. بس إيه يا بابا...؟؟

. أنتي مرتاحة للراجل دا فعلاً؟؟

أطرقت بخجل... ثم رفعت رأسها:

. مش عارفة... أحيانا بحس أني مرتاحة له قوي... كأني أعرفه من سنين... وساعات  
متهيأ لي أني مش قادرة أشوف وشه...

. وهو...

. في الأول كان بيتصرف معايا زي اللي ماشي على إزاز... كل خطوة بتجرحه... وخايف  
يجرحني.. هو مش وحش... هو حاول يكون وحش... لو كان فيه ذرة شر مكانش قدر  
يتحدى ظروفه ويبقى دكتور

. عندك حق... بس يمكن ضحيته اللي مش لاقها تختلف معاكي في الرأي  
. قصدك ريم.

. أيوة.. أنتي عارفة أنه لو لاقها هيتجوزها

أطرقت:

. عارفة...

. ومش متضايقة

. وهتضايق ليه؟؟

. خليك صريحة مع نفسك... فيه مشاعر بدأت بينك وبينه

. يمكن... مش عارفة؟؟

. هو قالك عمل إيه في ريم بالضبط

. لأ.. مش بالتفصيل...

. معنديش فضول تعرفي

هزت رأسها بقوة بالنفي:

. لأ... كفاية أنه بيتعذب كل ما يفكر... مسكينة... وهو كمان مسكين.

نظرت لساعتها فسألها:

. اتأخر؟؟

. أيوة... كان رايح لماتته النهاردة... المقابلة دي هتكون صعبة قوي... أنا خايفة عليه.

أمسكت هاتفها لتضرب على أرقامه تنتظر الرد... راقبها أدهم بمشاعر غامضة، تنهد

وأفكاره تدور في دوامات الحيرة... ماذا يفعل؟؟

جرس الباب كان المنقذ قفزت بتهليل لتفتح... ثم اغتمت عندما ألفتته يتكبي على إطار

الباب واقفاً بصعوبة:

. هيشم... مالك في إيه؟؟

ساندته ليستقبله أدهم... ساعده على الجلوس ثم أمرها أن تحضر له كوب

ماء... ساعده في فتح رباط عنقه الخانق... أدهشه أنفاسه المتسارعة وكأنه كان أسير

صندوق محكم ممنوع من دخول الهواء... وفجأة فتح له لآباب فأخذ يعب قدر حاجته

ولو استطاع لاستولى على المزيد... شرب الماء بلهفة فأراق بعضه على صدره دون أ

يبالي.. تتمم شكراً معياً الكوب للمتلهفة القلقة:

. اطمنوا... أنا بخير...

. للدرجة دي اللقاء كان صعب...

زاغت عيناه على وجهها البريء رغم ألوان الكدمات التي باتت تتدرج في درجات الأصفر...

. أيوة... بس أنا ارتحت... هي هتفضل مسكينة مهما عملت... ربنا رزقني بناس زيكم... ساعدوني رغم كل مساوئي... وأنقذوني من الحفرة القذرة اللي كنت هدفن فيها نفسي... يمكن لو كانت... أمي لقت ناس زيكم في بداية حياتها مكانتش وصلت للـ.....

ثم حدج نشوى بنظرة متألّمة:

. أنا لازم ألاقي ريم... لازم أساعدها... لازم يا نشوى.

أومأت تطرف عيناها المغرورقتان وتمتمت بشبح ابتسامة:

. طبعاً لازم... أوعى تتخلي عنها...

. ولو مقبلتش أعمل إيه

. أنا هاجي معاك وأشرح لها.. ولازم تسامحك... أنت كنت ضحية زيها.. لو بتحبك بجد هتسامحك.

.....\*

جلس ينظر للشابين أمامه يحدجهما بنظراته المتعالية تارة ثم يزفر مستعيذاً بالله من

الشیطان الرجيم تارة أخرى:

. وأنتم عاوزين إيه دلوقت...

بدأ الاثنان في الحديث سوياً فأوقفهم... واحد واحد... أنا مش ناقص وجع  
دماغ... اتكلم أنت الأول يا ليث خلى الدكتور على جنب حسابه ثقيل لوحده.. خير:  
باحترقان ومحاولة للتكلم بأدب في حضرة عمه:

. أنا عاوز مراتي..

. ملاكش حريم عندنا.. اللي بعده.

وقف ليث بهتف بغيظ:

. جرى إيه يا عمي... حضرتك اتصلت بيا تقولي أن ريتاج وسيف عندك... وأنتك مش

هتخليهم يروحوا، ولازم آجر بنفسي أخذهم.. ودلوقتي بتقولي ما فيش... يعني إيه؟؟

. اللي سمعته يا سيف... اللي ما يحافظش على النعمة تزول من وشه... مش مقدرها

سيبها غيرك يتاقلها بالذهب

. إيه الكلام دا يا عمي

. هو دا اللي عندي وأعلى مافي خيلك اركبه... مش حضرتك عاوز تتجوز... أهه الفيلا

خليت روح اتجوز ولا تجنز وهيب اللي تهيبه طالما اعتريت نفسك كبير وبتتصرف

بدون شورة...

. العفو يا عمي.. بس لازم حضرتك تعرف إن ريتاج غلطت

وضع يده على رأسه:

. طلبا السماح يا ليث بيه.. حقك على راسنا... إيه هتعلق لها المشنقة... غلطت وعرفت

غلطها... جرى إيه يعني...

. وغلطت تاني لما جت هنا

وقف سلامة بصوته الهادر:

. أنت اتجننت يا ولد... مراتك قبل ما تخطي عتبه اليلا استأذنت جنابك وحضرتك

وافقت

. وافقت على الزيارة مش...

. مش دي عندي أنا... أنا اللي منعته ترجع لك... هي بنات الناس لعبة في إيدينا...

قال جملته الأخيرة بنظرة ثاقبة اخترقت مهاب الذي تفصد عرقاً في مكانه...

. خلاص يا عمي.. اسمح لي آخذ مراتي وفي بيتي هعرف أتفاهم معاها

. آسف يا ليث بيه... مراتك هنا في الحفظ والصون... وقت ما تحس أنك كمان غلط

في حقها تعالى بوس راسها وخدها...

ازدادت أوداج ليث احتقاناً وهو يلوح بقبضته بانفعال:

. يا عمي أرجوك...

. أنت بتكسر كلمتي يا ليث...

دخلت ريتاج بسرعة قبل أن ينفجر الموقف بسببها

. خلاص يا عمي... أنا هروح معاها

التفت لها صارخاً بغضب:

. أنتي إيه اللي دخلك هنا... اتفضلي اطلعي برة.

تسمرت مكانها تحاول تجاهل نظرات ليث الالهية:

. أنا آسفة... مش هقدر أسمع كلامك... هسمع كلام جوزي... ولو هو سمح لي  
هفضل.. لو صمم هروح معاه.

التفت سلامة لليث:

. شايف يا بيه يا محترم بنات الأصول اللي كنت عاوز تكسرهما وتجيب لها  
ضرة... شايف عملت إيه... وقفت قصادي علشان خاطرك... اتفضل خدها  
وراضيها.. وقسماً عظماً... لو اشتكت منك تاني ما هتشوف ضافرها طول ما أنا  
عايش.

كتمت تأوهاً وهو يغرز أصابعه في مرفقها ويدفعها أمامه بصوت مكتوم:

. عاجبك الفضايح دي... اتفضلي لينا بيت أعلمك فيه الأدب.

التفت سلامة لابنه بعد خروج ريتاج وليث:

. أهلاً يا حضرة الدكتور... أهه لو جدك الله يرحمه طلع من تربته وقالي أسامحك على  
عملتك المهيبة.. مش هسامحك.

. أنا آسف يا بابا.. عارف أني غلطان

. غلطان ويس... دا أنت الغلط راكبك من ساسك لراسك.

. بابا لازم تعرف أن حضرتك... حضرتك..

. إيه... غصبتك على الجواز... خلى عندك الشجاعة الأدبية وقولها...

أخرج مهاب زفرة طويلة:

. لأ يا بابا... مافيش حد يقدر يجبر راجل على الجواز...

. أيوة.. خاصة لو كان دكتور ومدير أكبر مستشفى في البلد...

. عارف يا بابا

. ولما أنت عارف يا بابا... إيه الهباب اللي هيبته دا؟؟

. صدقني... مش عارف...

. أمال مين اللي يعرف... مراتك جاتي هنا مروحتش بيت أبوها... عارف دا معناه إيه؟؟؟

رفع مهاب عيناه بشرود فهتف سلامة:

. معناه إنها لسة باقية عليك يا جيلة رغم كل اللي عملته فيها... رينا صاييني في ابني

وابن أخويا الاتنين جبالات مبيفهموش معاهم ستات تناقل بالذهب وعقولهم مقفولة

وقلوبهم مصدية... قولي يا مهاب... أنت عاوز إيه... عاوز تتطلق مراتك.

اصفر لونه بشحوب:

. أطلقها... لأ طبعاً...

. أمال عاوز منها إيه؟؟؟ تغسل وتطبخ وتنضف وراك؟؟

. لأ طبعاً

. حيرتني يا ابني... أمال عاوز منها إيه؟؟

. عاوزها تكون.. زوجتي... حبييتي، وأم أولادي... سكاني وراحة بالي.

. وسالي...

. يمكن متصدقنيش..بس دي الحقيقة...من يوم ما شفت شكران وصورة سالي مش  
بتحضر في خيالي...لدرجة أنني بقيت أطلع صورها القديمة علشان افكرها.

. أه..لما مراتك دخلت عليه لقيتك قاعد بتحب في الصور

. هي ليها الحق تظن كدة طبعاً....بس يا ريت تصدقني...أنا كنت بحافظ على آخر  
حصوني من الغزو

. غزو...غزو إيه يا مهاب

. غزو شكران...أيوة...شكران بتهاجمني من أول لحظة...مش بتفارق خيالي...وكل ما  
أحس بالخطر كنت بفتح صور سالي علشان أحسن نفسي منها...

. وليه يا ابني...؟؟

. علشان غبي...

التفت كلا الرجلان لقائلة الجملة الأخيرة...فأطرق مهاب رأسه بخجل وهي تتقدم  
ويبدو أنها سمعت كل حرف، فعاودت هجومها وهي تقف أمامه:

. اللي يقابل الحب الحقيقي ويقاومه زيك يبقى غبي

. أستحق أكثر من كدة...صدقيني يا شكران...الصور كانت..

. مش مهم...كفاية عليا أنك اعترفت أنني عاملة شغل جامد في صواميل مخك...من

أول مقابلة ياااااه دنا سري باتع ومعرفش

. أنا وافقت على كلامك بس متزوديهاش...

. ماشي...أنت الراجل وكلامك ماشي

غير مصدق سألها بلهفة:

. أفهم من كدة أنك... سامحتيني... بسهولة كدة.

هتف سلامة:

. خلاص يا شكران يا بنتي ادخلي ساعدي الحاجة سعاد وجوزك يرجع بعد شهر تكوني

فكرتي كويس

هتف مهاب بارتباك:

. لأ... أبوس إيدك يا بابا... شهر إيه...؟

. زي ما قلت لابن عمك... اللي مش بيصون النعمة هنزول من وشه... وبالا وروني

عرض اكتافكم... دوشتونني الله يخرب مطنكم..

. بجد يا شكران..

. أيوة... بس ما تفتكرش أن الكام يوم اللي سبتني فيهم من غير ما تسأل عليا هيعدوا

بالساهر.

. طالما هبنقى جوة بيتنا وسقفه فوق راسنا مش هيهمني

. سامع يا عم سلامة... هم اللي حكم على نفسه

. وأنا شاهد... ربنا يهدي سركم يا بنتي.

\*\*\*\*\*

. مالك يا سلمى...؟؟

. مافيش يا آنا... هو عثمان ما اتصلش؟؟

. لأ...ليه؟؟

. مافيش... من يوم كتب الكتاب وهو مسافر، حتى متصلش ولا مرة يطمئن علينا.

. الغايب حجته معاه... وما تنسيش أنه رجل أعمال كبير وراه أشغال ومصالح... ربنا

يكون في عونته.

فركت سلمى يديها ببعضهما بتوتر فعادت جدتها تسألها:

. أنتي ليه قلقان ومتوتر... عثمان وحشك

. لأ طبعاً... أنتي عارفة أنني اتجوزته غصب... هو أخرجني قدام كل زمايلي في

المستشفى ومكانش ينفع أرفض.

. تمام... مكانش ينفع... هو فاكر نفسه مين... الحاكم بأمره ولا السلطان قلاوون

...لازم أول ما يرجع يطلقك فوراً

شهقت سلمى:

. يطلقني...

. مش أنتي عاوز انفصال

. أنا قلت كدة يا آنا؟؟

. لأ.. بس أنا عاوزك يرتاح يا سلمى... وأنتي تعبان.

. عثمان غصبني على الجواز.. وفجأة مشي وسابني... أنا مش فاهمة حاجة... ليه ما

أخذنيش معاه؟

. كنتي هتوافقني؟

. لأ...يمكن كنت أوافق...مش عارفة.

. هو رجل مش بيحب يفرض نفسه...هو اتجوز أنت لسبب...

. وإيه السبب دا...علشان طبعاً يسيطر على ميراثي.

. غلطان يا سلمى...عثمان مش ممكن يفكر كدة...هو عمل كدة علشان يحافظ على

ميراثك ..

. يعني إيه..مش فاهمة.

. سامحني يا رب...هو حلفني مش أقول...

. قولي يا تيتا بقى...

. سلمى...كل أملاك ملك عثمان...باباكي باع كل حاجة لعثمان قبل ما يموت.

شهقت سلمى بفرع:

. ليه...ليه بابا يعمل كدة

. كان خايف عليك من ولاد حرام...وكمان خاف عثمان يسيبك وحدك في

الدنيا...فقال يربطه بمصر...وبيكي...وهو كان واثق في أخلاقه ومتأكد أنه مش هياكل

حقلك أبداً..

بتحطم تام تمتت:

. وبابا اللي فرض عليه يتجوزني

. لأ... هو بس قال له يحسن اختيار زوج لكى...وبعدها يسلمك ميراثك. رايح فين سلمى

. هنام يا آنا...هنام...تصبحي على خير.

بقلب مهموم أمسكت هاتفها تجري اتصالاً هاماً:

. ألو...أنا بخير...لأ...سلمى مش كويس...أنا قلت له كل حقيقة...كان لازم يعرف كل حاجة...هي طلع نام حزين...تصبح على خير.

\*\*\*\*\*

. يا باش مهندس...يا باش مهندس...

. ناولني مفتاح عشرة...

. بس يا باش مهندس

زمجر صوته من أسفل السيارة:

. مفتاح عشرة بسرعة يا دقدق..

أمسك المفتاح ثم هتف بعد لحظات:

. مفتاح تمانية...

أمسك المفتاح وصعق عندما رآه فتدحرج من أسفل السيارة ليصرخ على صبيه بعد أن

قرر زرع المفتاح الخاطيء في رأسه:

. دا مفتاح تمانية يا.....رقية؟؟؟

وقف مصعوقاً يتلفت حوله ليجد دق دق يضحك من بعيد:

. ما أنا قلت لك يا باش مهندس أنت مردتش تسمعي.. أمسك أحد المناديل التي  
شبت زيتاً يمسك فيه أثر الشحوم على يديه متوعداً دق دق الضاحك:

. أزيك يا باش مهندس

تلفت حوله بقلق:

. إيه اللي جابك هنا؟ المكان مش مناسب لحد زيك؟

. حبيت أطمئن عليك...

. أنا كويس..

وضعت يدها على أعلى ذراعه فانفض بانزعاج:

. قلت لك كويس يا دكتورة... والدوا باخده في مواعيده

. لازم تعمل فحوصات جديدة كل فترة... من ضمن التعليمات

. وأنتي جاية هنا علشان تفكريني بالتعليمات

. لأ... علشان أقولك على حاجة ...

. خير...

. أنا... حامل...

التفت يحدجها بصدمة:

. أنتي إيه؟؟

تضرجت وجنتيها بحمرة قانية:

. حامل يا رأفت ...

. بس إزاي... وبعد كل اللي حصلك ..إزاي...

. ربنا قادر على كل شيء... .

. زمانك حاسة أنك اتورطي... لو عاوزة تنزل....

وضعت يدها على فمه مقاطعة:

. إوعى تقولها... أرجوك...

ثم أمسكت بيده لتضعها على بطنها رغم مقاومته الواهنة:

. إيدي مشحمة و... أغمض عيناه مستمتعاً بلمسها... بلحظة التقارب، رأتحتها تطرد

روائح البنزين والتربانيتين المستعمرة أنفه، لتحتل رائحة الياسمين أحلامه.

. معجزتنا هنا يا رأفت.. تستاهل أننا نحاول علشانها... تستاهل شوية تنازلات من عندك

على شوية من عندي... علشان خاطر ابننا أو بنتنا..

. مش هتندمي يا رقية؟؟

. دي شغلتك يا باشمهندس... ولا أنا هعمل كل حاجة لوحدي...

. ولو سألوك يجوزك بيشتغل إيه

. هقولهم باشمهندس ميكانيكي قد الدنيا.. بياكل لقمته بالحلال... وعمره ما غمسها

بالحرام...

\*\*\*\*\*

. صباح الخير ....

فركت عيناها بقوة... هل تتخيل وجوده... هل جاء فعلاً... كيف ومتى؟؟

. عثمان..؟؟

. أيوة... مش مصدقة ولا إيه؟؟

. أنت جيت أمتي؟؟

. من نص ساعة بس...

. وقاعد تبص لي وأنا نايمة؟؟ ولا بتراقبني؟

تنهد بابتسامة:

. لأ... لا دي ولا دي... وحشتيني... ملامحك مغابتش عن بالي.

. حضرتك ممكن تبطل تمثيل... أنا عرفت كل حاجة... بجد أنت بطل... زي ما بنشوف

في المسلسلات التركي بالضبط.. حقهم يدوك دور بطولة...

. بس أنا مش بعرف أمثل...

. لأ إزاي.. دا أنت أخذت دور البطولة من ساعة ما عرفتك...

. سلمى.. أفهميني..

. افهم إيه؟؟ الأمانة اللي بابا سابها لك مكانش فيها بند جواز... ولا طمعت بالثروة

والعروسة فوق البيعة.

. أيوة... طمعت... مش من حقي

. أنت بتعترف؟؟

. أيوة... قبل ما آجي كنت ناوي أسلم لك ميراثك وأرجع تركيا... قلت أنتي كبرتني ومن

حقك تختاري الزوج اللي يناسبك بدون وصاية مني... ومن اول لحظة شفتك فيها

... دنيتي كلها اتشقلب حالها.

حدجته بنظرة ساخرة:

. إيه.. حب من أول نظرة؟؟

. ما كنتش قادر أقرر وقتها... غير حاجة واحدة بس... أني مش قادر ابعد

عنك... وزادت غيرتي لما عرفت بموضوع سليم دا... ولما شفته صممت أنك تكوني

بتاعتي...

. حطمت حياتي علشان عنادك الذكوري..

. علشان حبيتك... أنا مش صغير يا سلمى علشان أجري ورا هرموناتني.. أنا فعلاً

حبيتك... وأنتي كمان... بس لسة مش عارفة... أنا متأكد لو أعطيتي لنفسك الفرصة

هتعرفي أنك بتحبييني

. ودا سبب سفرك... علشان آخذ فرصتي..

. أيوة... محبتش أضعط عليكى أكثر من كدة.. لحد ما آنا قالت لي أمبارح أنك

حزينة...

أمسك يدها الخارجة من الغطاء:

. سلمى... لو عاوزاني أطلقك...حالا هجيب المأذون...

. هتطلقني؟؟؟

. أيوة وفوراً... وهسلمك ميراثك...بس مش علشان مش عاوزك...لأ..علشان هقرب  
منك بطريقة مختلفة...هحاول أكسب قلبك من تاني...وأوعدك مش هسيبك المرة  
دي إلا وأنتي واقعة لشوشتك في حبي.

. يعني هتطلقني علشان تحبني؟؟

. أيوة... لو دي الطريقة الوحيدة..هعملها...

. ولو في طريقة تانية..؟؟

. اشتعلت عيناه بالرغبة وهو يلمح رضاها بين أهدابها المسبلة...نهض واتجه ناحية  
الباب لتصاب بخيبة أمل...وفجأة ارتفعت كل أمالها حتى ناطحت السحاب وهو يدير  
المفتاح في قفل الباب ويستدير نحوها بنظرات غازية.

\*\*\*\*\*

## الفصل الثالث والعشرون

.....

دفعها أمامه أدخلها غرفتهما وأوصد الباب بالمفتاح ..ألتفت لها بنظرت شر:

. أنتي عاوزة إيه بالضبط؟؟

. أنا عملت إيه دلوقتي؟؟

زمجر يكاد ينتزع شعره من فروة رأسه:

. مرة تروحي لعمي سلامة وتطلبي منه حق اللجوء السياسي...ومرة قاعدة تهرجي مع

الحرس ولا كأنكم كنت أصحاب في الجامعة مع بعض...وهاتك يا كركرة ومسخرة

...أنتي مش حاسة بنفسك...

. قصدك إيه يا ليث...أني مش محترمة

. والله يا هانم الست المحترمة مش بتعمل عمايلك دي...

. الست اللي جوزها مش معبرها تعمل أكثر من كدة

. الاهتمام بيحي من الحب

ندت عنها صرخة ألم:

. يعني أنت مش بتحبني يا ليث..

توتر مزيداً في النار:

. حب..حب إيه...أنتي قتلتيه بإيدك من زمان...ولا مش حاسة بنفسك؟

. ولما هو مات...أنا بعمل إيه هنا...

. قلت لك..أم أولادي...

. يعني أنت مصمم...

. أيوة يا ريتاج...مافيش حاجة اتغيرت...

. أوك يا ليث...أنا آسفة...كنت فاكرة أن حبي في قلبك مش ممكن يهزه أي

عواصف...زى حبك في قلبي...رغم كل اللي حصل منك في الأول قدرت

أسامحك...أنما يظهر قلبك مصنوع من حجر لا بيحس ولا بيتألم...عن إذتك

. هتروحي فين المرة دي...

بدون ان تلتفت له:

. هنام في أوضة سيف...

. خليكى هنا أنتي ناسية أني مش بنام هنا أصلاً

. لأ مش ناسية...بس دا لما كنت منتظراك...بس من هنا ورايح هحط على قلبي حجر

أنا كمان ومش هستناك يا ليث..

تأوهت بألم مكتوم وترنحت لتمامك بالباب...شحذت كل قوتها الواهنة عندما

سمعت ضحكته المقهقهة:

. ألعي غيرها...حتى وجعك مش هياثر في قراري...دا لو فيه وجع من أصله.

عضت شفتها لتكتم موجة ألم جديدة وهي تشيح بوجهها عنه..دخلت غرفة سيف

واستقلت على فراشه تكتم تأوهاتها في وسادته...وضعت يدها على بطنها

برعب..خوفاً أن يؤثر وجعها على جنينها...مع الألم كان اليأس الوحدة.. يوماً ظنت أنها ان تكون بحاجة لأي مخلوق آخر..لم يتعد هذا اليوم كثيراً عن يوم آخر...يوم وعدها فيه أن يكون سندها...مسكن آلامها، ومحقق أحلامها وأمنياتها...وها هي بعد أن صدقته تتلوى وحيدة في الظلام تشكو وصادتها وتعص عليها لتحتمل موجة ألم أخرى.

. سيف حبيبي...ليه مش بتاكل...؟؟

عبث سيف بملعقته في الطبق وتنهد...أمسك والده بيده:

. سيف...بطل لعب وأبدأ أكل..

. بابا...قول لماما تنزل تاكل معانا...هي بس بتخليني آكل..

هتفت درية بحدة:

. بلاش دلع يا سيف...أنت صغير عاوز ماما جنبك على طول...

تجاهلها الولد ونظر لوالده برجاء:

. بابا...لو سمحت...يمكن هي جعانة...وعاوزه تاكل...

رضخ ليث بنزق:

. وليه ما قلتش لها تنزل تاكل معانا...أكيد قلت لها وهي رفضت مش كدة؟؟

هز الولد رأسه:

. أيوة...أنا قلت لها...بس هي مش ردت عليا...قعدت أناديها كتير...وهزبتها علشان

تصحى...وكان فيه مية كتير على راسها...ازدرد ليث ريقه بصعوبة وهو يقفز من مكانه

صاعداً الدرج مثنى حتى وصل لغرفة ابنه... توجه لها ليجدها كما وصفها سيف  
تماماً... كالخرقة المبللة بوجهها المقارب للون الغطاء الأصفر الشاحب... هزها بجزع  
يناديه... بلا مجيب...

لفها بالغطاء وأسرع بها للمشفى بعد أن أوصى أمه أن تتأكد من وجود مهاب  
بانتظارهم.

\*\*\*\*\*

. ياسر... أنا عاوزة أتكلم معاك في موضوع مهم.

. آسف مش فاضي.. عندي شغل ضروري

. لو مشيت هترجع مش هتلاقيني... ولا ميسون

وقف يحدجها بنظرة نارية:

. أنتي قلتني إيه؟

. اللي سمعته

. أنتي متقدريش تهربي ببنتي... دنا كنت قتلتك

. مش فارقة معايا... أنا عايشة معاك زي الميتة... أنت مش حاسس بوجودي

. لأن وجودك مالوش أي معنى في حياتي غير أنك اللي حرمتيني من بنتي خمس سنين.

. خلاص طالما مش قادر تسامح ولا تلتمس الأعذار ولا حتى شايف نفسك طرف في

المشكلة... هاخذ بنتي وأمشي.

. هتروحي فين؟؟

. هرجع شقتي.. وطبعاً هنتظر ورقة طلاقى...ومش همنعك تشوف بنتك وقت ما تحب  
كلمني في التليفون وأنا أجهزها لك تاخدها تقضي معاك يوم

. إيه الكلام الفارغ اللي بتقوليه دا؟؟؟بنتي مش هتتربى بعيد عني...ولا ساعة واحدة.

. الأم لها حق الحضانة لحد سن معين...مش دا القانون...لما توصل للسن تقدر  
تاخدها...

ارتبك وكأنه يبحث في قواميس عقله عن المخرج القانوني ولم يجد:

. وأنتي هتعملي إيه لوحدك

. هعيش زي أي واحدة غيري عايشة

بنظرة شيطانية هتف:

. وطبعاً هتتعرفي على رجالة وهتجوزي...وساعتها بنتي هتكون من حقي.

أومات بدون اعتراض:

. اتفقنا...بنتي هتكون معايا لحد ما توصل لسن الحضانة أو أتجوز...عن إذتك هروح

ألم شنطي

راقبها مذهولاً من النتيجة الغير متوقعة...كيف حصل هذا...هو لم يخرج خاسراً أبداً

من أي قضية...كيف خسر هذه القضية...كيف؟؟

. علشان بتفكر بعقله اللي مش بيسامح...

التفت لأمه التي قرأت أفكاره فأردفت:

. الحق نفسك واخرج من عباية أبوك... شغل قلبك شوية مع عقلك... خليهم الاتنين  
مع بعض... أنت بتحب مسيم... أنا حاسة بيك... بلاش تعاند... وروح راضي مراتك.  
أخذ نفس عميق ودخل خلفها... فوجيء بصوت نحيبها المرتفع وانهارها على الفراش  
بدون أن تنفذ تهديدها:

. يعني لسة ملمتيش هدومك

انتصبت بحددة تمسح دموعها:

. أنت جاي ليه؟؟

. علشان أشيل الشنط... وقفت لك تاكسي وافتكرتك خلصتي

حدقت فيه بدون تصديق:

. للدرجة دي ما صدقت... للدرجة دي مش طايقني...

وانخرطت في نوبة جديدة من البكاء... وجد نفسه يقترب ويضم رأسها لصدره وهي  
جالسة على الفراش... لم تصدق ما حدث.. هل يضمها ياسر فعلاً... هل لان قلبه  
المتحجر منذ قرون... رفعت عيناها الدامعتان إليه:

. ياسر...

عاد يضمها:

. شششش... أهدي... هنتفاهم على كل حاجة... الطلاق والحضانة وال...

صرخت تضربه بقبضتيها على صدره:

. أبعد عني أبعد عني..

سيطر على حركاتها ضاحكاً:

. خلاص... خلاص... كنت بهزر...

ابتعدت تنشق أنفها باستغراب:

. من امتى بتعرف الهزار؟

. ميسم... أنا فيا اللي مكفيني... واللي حصل منك... عارف هتقولي إيه... بس مش

قادر أستوعب اللي حصل... أنتي عارفة أن سواق الباص بتاع الحضانة

والمشرفة... عملت فيهم إيه... بعتهم ورا الشمس... وانتي مش قادر أعمل معاكي أي

حاجة... قاعدة قدامي كل يوم بتتحدي سيطرتي على نفسي... نفسي أمسك راسك

وأفضل أخطها في الحيطه لحد ما تتكسر لحتت صغيرة... وفي نفس الوقت نفسي

أضمك على صدري وتفضلي في حضني لحد ما أموت.

. بعد الشر عنك... ولما هو دا إحساسك معذبني ليه معاك...

. أنا كدة... مش بعرف أخرج من مود وأدخل مود تاني إلا بصعوبة... مش هقدر تبعدي

عني.. خليكى جنبي... لو سمحتي... على الأقل لفترة لحد ما....

. تحبني من جديد...

. أنا بـ.....

انفتح الباب على مصراعيه ليستدير كلاهما بخوف على صوت وجدان:

. الحق يا ياسر.. أختك في المستشفى.

\*\*\*\*\*

. دكتور أدهم... أنا يشرفني أطلب إيد الأنسة نشوى من حضرتك... بعد إذذك أنا  
سألته رأيها وهي موافقة

. أنت بتلاحقني علشان مقولكش اديني وقت لما أسألها

. آسف... بس مكنتش أقدر أتقدم بطلب زيدا من غير ما أتأكد من مشاعرها

. وأنت متأكد...

. أيوة يا دكتور..

. رغم ظروفها ..أنت عارف أنها لسة فاقدة الذاكرة

. أيوة عارف...هي وافقت عليا زي ما أنا...ووافقت كمان أن لو ريم ظهرت في أي

وقت هتساعدني على إقناعها أنها تتجوزني

. هي قال لك كدة

. أيوة

. مش شايفها غريبة شوية أن أنشى توافق على ضرة من قبل ما تتجوز

. أنا قلت لحضرتك هي وافقت على كل ظروفني...

أطرق أدهم بتفكير عميق ثم نادى على نشوى وهو متأكد انها تستمع لكل كلمة:

. نشوى تعالي لو سمحتي

تقدمت بخجل مطرقة:

. أنا فعلاً موافقة يا بابا...

. اتفضلني اقعدني لو سمحتي...جنب أدهم...عاوزكم أنتم الاتنين قدامي...

جلست جواره مستغربة الطلب...وكذلك هيثم:

. خير يا دكتور

. مافيش كنت بس عاوز أوضح الأمور بينا أحنا الثلاثة..

. أنتي موافقة على هيثم رغم كل ظروفه وعقده، وعرفتني عنه كل حاجة حتى اللي عمله في ريم.

. أيوة يا بابا...هو صمم يقولي على كل التفاصيل قبل ما أوافق.

. ووافقتي رغم كل دا؟؟؟

هزت رأسها بالموافقة...ثم نظرت لهيثم الذي دعمها بابتسامة متوترة ثم شحذ اهتمامه للدكتور أدهم:

. وأنت يا دكتور هيثم...عارف أن نشوى فاقدة الذاكرة...وعارف أنها عملت عمليات تجميل شاملة غيرت ملامحها

. أيوة..هي حكيت لي على كل التفاصيل...

. وعارف أن الذاكرة ممكن ترجع لها في أي وقت...عندك استعداد لمواجهة الظرف  
دا..

أمسكت نشوى بيده فأطبق عليها بأصابعه الكبيرة:

. أيوة...أنا ونشوى هنتحدى كل الصعاب...

. وأنتي موافقة أنه لو لقي ريم هيتجوزها عليك..

أومات:

. وهقنعا كمان...

تنهاته أزعت العروسان وزادت من توترهما خاصة وأدهم يحدجها بتلك النظرات  
الغامضة...

. أنا طبعاً مش هقدر أعترض على ارتباطكم... بس عندي معلومة صغيرة أحب أنكم  
تعرفوها قبل ما نبعث نجيب المأذون...

شدد هيشم على أصابعها بين يده:

. أي حاجة عن نشوى مش هتغير من قراري.

هزت نشوى رأسها بانشداد:

. وأنا كمان... أي حاجة هتقولها عن هيشم.. مش هتغير قراري.

. عظيم جداً... اسمعوني بقى...

\*\*\*\*\*

خرج مهاب مجهداً ليسرع ليث نحوه يسأله بلهفة وقلق:

. إيه يا مهاب... ريتاج مالها..

. اطمئن... أن شاء الله خير..

هتف ياسر:

. كلامك مش مريح ما تقول ما مهاب ريتاج فيها إيه؟؟

. اطمنوا يا جماعة... أنتم عارفين وضع ريتاج المحرج... والحمل زود كمان من حرج  
الحالة... خاصة...

شعر ليث أن ما لم يقال أسوأ بكثير، وللحظة تخيل حياته بدون ريتاج... أزاح صورة  
لاصحراء المقفرة من أمام عينيه وهو يستمع لمهاب:

. ريتاج جالها سكر حمل...

صراخ وجدان وهي تضرب على صدرها بالخلفية وميسم تحاول دعمها، بينما تهالك  
ليث مشدوهاً يحدق في الفراغ بينما يستمر ياسر في السؤال:

. وجالها ليه وازاي؟؟

. عادي يا ياسر بتحصل لبعض الحوامل... اطمنوا يا جماعة كل الحكاية أن هنكون  
حذرين أكثر لحد ما تعدي فترة الحمل... بعد كدة السكر هيختفي... بس لازم نساعد  
بعض على العناية بيها:

هتف ليث أخيراً:

. والجنين هيتأثر

. لأ.. الجنين مش هيتأثر خالص بالموضوع دا... الخوف على ريتاج نفسها.. لازم تاخذ  
بالها من أكلها كويس جداً... بس في كل الأحوال حجم الجنين هيكبر وهيكون في  
صعوبة في الولادة الطبيعية... هنلجأ للقيصري مع الأسف... من دلوقتي لمعاد الولادة  
عاوزين نحافظ على نسبة السكر في دمها... وهعلمك حاجة وجدان إزاي...

قاطعته ليث:

. ريتاج مراتي أنا ... أنا اللي هعتني بيها

حدجه مهاب بنظرة ثاقبة:

. أه وبالمناسبة كنت عاوز أتكلم عن الضغط... ريتاج مش لازم تتعرض لأي ضغط من أي نوع... هتقدر توفر لها جو مناسب يا ليث

قاطعته وجدان:

. أنا أمها... ومحدش هياخد باله من بنتي غيري... كفاية أن كل اللي بيحصل لها دا بسببك أنت... من أول ما خبطها بعريبتك... لحد ما البت هتضيع مني... أنا مش مستغنيه عنها يا ليث بيه... بنتي مش هتفارق حضني كفاية بقى حرام عليك... حرام عليك.

\*\*\*\*\*

. سامعينك يا دكتور أدهم.. أتفضل...

بعد لحظات تفكير أخرى سأله أدهم:

. أنت ساكن فين يا هيثم؟

. حضرتك عارف العنوان يا دكتور وزرتني قبل كدة

. يعني نسيتته ولا مكسوف تقوله قدام نشوى... هو فيه حاجة عيب...

ضحك هيثم بتوتر وهو يردد عنوانه..

التفت أدهم لنشوى:

. أنتي عارفة الحادثة بتاعتك حصلت فين يا نشوى؟؟

هزت رأسها باستغراب بعد أن رمقت هيثم بنظرة تائهة:

. لأ...مخطرش في بالي أسأل السؤال دا قبل كدة...ليه...هو له أهمية.؟؟

. يمكن في الأول مكانش له أي أهمية...بس النهاردة...الوضع اختلف تماماً..

ازدادت الحيرة والتساؤلات وشعر هيثم ونشوى أنهم مقبلون على معرفة معلومة خطيرة

احتفظ بها الدكتور أدهم طويلاً ويبدو أنه على استعداد لسبب ما للبح بها

أخيراً...هتف هيثم عندما طال الانتظار:

. خير يا دكتور أدهم...

تحرك أخيراً ليعتدل في جلسته وهو يحدق بكلاهما:

. الحادثة بتاعتك كانت في نفس العنوان اللي هيثم قاله من شوية...

تبادل الاثنان النظرات المستغربة:

. معقولة...معقولة فيه صدفة كدة؟؟

هز هيثم أكتافه بذهول وكأنه بدأ يستوعب ما يحدث حوله وإلام يرمي الدكتور أدهم

الذي أردف:

. أيوة يا نشوى...يا ترى نسبة الصدفة دي تتعدى كام في المية...

. قصدك إيه يا بابا؟؟

انتقل بسؤاله لهيثم:

. كل مرة لما بتطرد ريم يا هيثم إيه اللي بيحصل...

غار قلبه وعمت عيناه، تلجلج في الإجابة فربت نشوى على يده لتشجعه ببراءة:

. بترجع أول ما بكلمها... وكأنها... وكأنها...

أكمل أدهم:

. وكأنها منتظرك برة... صح..

التفت هيثم ليحديق بلامح نشوى بنظرة جريحة وهو يوميء برأسه، أردف أدهم:

. أنت طردتها يوم إيه يا هيثم... انزع يده من أسفل يدها وبدأ يفركهما ببعضهما

بقوة.. ثم تمتمت بالتاريخ...

انتقل إليها الشعور بالخوف والرهبة وأدهم ينظر إليها:

. عارفة تاريخ الحادثة بتاعتك يا .....

وقفت لتطلق صرخة كحيوان جريح وهي تجيل نظراتها الضائعة بينهما.

\*\*\*\*\*

فوجئت بليث يقتحم غرفتها، لولا أنها تعرف زوجها جيداً لظنته رجلاً آخر... متبدل

تماماً عن ليث الواثق القاسي الذي كان يحدجها بنظرات قاتلة مستخفة منذ ساعتين

فقط... أغلق الباب خلف واقترب منها... كانت عيناه محمرتين وملابسه غير

مهندمة... ولكن قسماته لم تلن وهو يلوح بقبضته أمامها:

. ريتاج... بلغني مامتك أي أنا الوحيد في المكان دا اللي من حقه تقرير مصيرك... أنتي

مراتي أنا... بتاعتي أنا... أنا بس هعتني بيكي محدش هيقرب منك غيري... سامعة يا

ريتاج.

لولا مظهره لقامت وانتفضت ورمت بأوامره عرض الحائط... ولكن هذا التعارض اخترق قلبها بسهم ماضٍ لتدرك ما حاول هو نفسه إخفاءه... أو مأت لتهدئته:

. حاضر يا ليث.. ابعث لي ماما وأنا هكلمها

تهدلت ذراعاه وكأنه فوجئي باستسلامها وقد كان على استعداد تام للقتال، ولكنها لم تعطه الفرصة... تراجع منكس فنادته:

. ليث... وأنا كمان...

عاد إليها يضمها بقوة يستمد من ضعفها قوته، ويجبر ما كسر من سندها:

. ريتاج... الدنيا مش دنيا من غيرك.

\*\*\*\*\*

ركضت نشوى لغرفتها أو صدتها خلفها بينما انهار هيثم أرضاً لا يصدق ما حدث للتو... ثم نظر للأدهم:

. أنت ليه خبيت علينا كل المدة دي؟؟

. زي ما قلت... الملعومة نفسها في الأول مكانش ليها اي أهمية... مجرد صدفة... بس بعد كدة الصدفة تحولت لمعاني كبيرة قوي... خاصة لما قررتم تتجوزوا...

. يا ريتك ما اتكلمت... أنا لازم أشوفها

. بعدين يا هيثم... خليها لوحدها دلوقتي تستوعب اللي حصل...

. دكتور أدهم...

. أعتقد أن القدر اللي جمع بينكم مرتين... أكيد له حكمة في كدة... أوعى تياس من  
رحمة ربنا...

. خليك معاها.. أرجوك كلمني في التليفون وطمني عليها... أرجوك يا دكتور.  
أوماً له أدهم:

. حاضر.. أكيد إن شاء الله.

بعد خروجه اتجه لغرفتها... طرق بل أن يحاول فتح الباب ليجده موصد... طرق مرة  
أخرى... بلا مجيب...

. نشوى... نشوى يا بنتي... ربييييييم

تمت بحمد الله

.....



قلوب مغلقة .. حتر اشعار اخر

## الجزء الثاني من ربح العلب

احنا هنتجوز امتي رسمي؟؟

رمقها بنظرة هازئة من عليائه

. ومين جاب سيرة الجواز.. اللي زيك يا حبيبيتي

آخره ورقته عرفي ما تساويش عندي أكثر من

كده!

انسحب الدم من عروقها وجحظت عيناها برعب

. بس أنت مضمتمنيش كده؟

قهقه بدون أن يصل المرح لتقويست شفتاه

القاسيتان

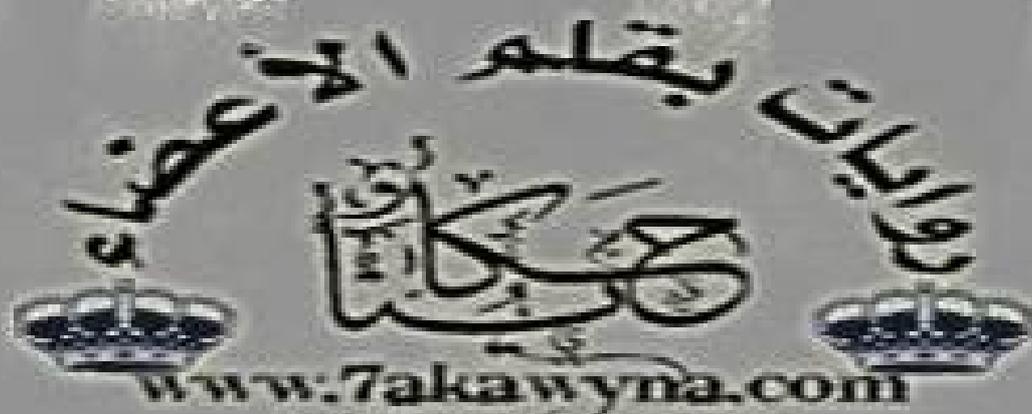
. مش غلطتي أنك عبيطت.. القانون لا يحمي

المفضلين.. أنا قطعت الورقة بتاعتي وبتاعتك

كمان.. متتعبيش نفسك علشان تشبتي أي

حاجة علشان مش هتقدري.. قومي البسي

هدومك ومش عاوز أشوف وشك ثاني أبدأ.



www.Takawyna.com

مستديرات حكومتنا الاحمدية